

# لا زنا انخرهؤلاء؟

فوندى

اعداد وتوسيع  
هاني الحسني



ما ذالنتج هوذا ؟

# ما فو الانحرؤ ؟

إعداد وتوضيح :  
هسائي انخسیر



جميع حقوق التأليف والطبع

محفوظة لدار دمشق

الطبعة الأولى ١٩٩٢

الطبعة الثانية ٢٠٠٠

لماذا انتحر هؤلاء

هاني الخير

جوهر الشام

دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق

شارع بور سعيد - فاكس ٢٢١١٠٢٢ - هاتف ٢٢١١٠٤٨

ص.ب ٥٣٧٢

الكتاب:

المؤلف:

المطبعة:

الناشر:

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

[سورة النساء : ٢٩]

﴿وَلَا تُقْتُلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

[البقرة : ١٩٥]

﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾.

[يوسف : ٨٧]

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

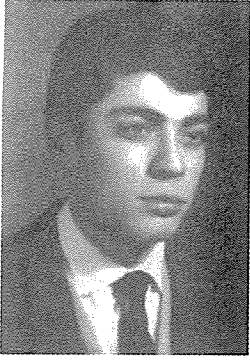
[الأنعام : ١٥١]

\* \* \*

وعن الرسول العربي - ﷺ :

(أكبر الكبائر الإشراف بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور).





## الاهداء

إلى ذكرى وروح شقيقي  
الفنان التشكيلي أديب الخير  
توفي عام ١٩٦٧  
ودفن في مقبرة السيدة زينب (ع) بدمشق

هاني

---



## بسم الله الرحمن الرحيم تمهيد

(١)

تؤكد احصاءات هيئة الصحة العالمية، أن الكوكب الارضي، يشهد يومياً . . . وعلى مدار ساعات النهار والليل (٨٠٠٠) محاولة انتحار. . . وأن (١٠٠٠) من هذه المحاولات، مع الأسف الشديد والأسى العميق تنتهي، بالنجاح . . . وإزهاق الروح البريئة . . . فيسدل الستار . . . وتطوى صفحة أيامه وأعماله وأفعاله . . . لكن بعد أن يسبب المنتحر لأهله . . . ومعارفه . . . الأذى النفسي . . . ومرارة الفجيرة . . . ولوعة الفراق .

وتشير هذه الاحصاءات الرسمية، أن الشبان بين سن (١٥) و(٢٥) عاماً هم الأكثر انتحاراً . . . وأن النساء بصورة عامة أكثر قبولاً من الرجال لفكرة الانتحار . . . ولكن الرجال أكثر جدية وصرامة في تنفيذ هذه الفكرة المريعة (تدمير الذات) .

وفي حالات قليلة . . . فإن الانسان المعاصر لا ينتحر قبل سن (١٥) أو بعد سن (٦٥) . . . طبعاً هناك استثناءات .

(٢)

وفي هذا الصدد . . . فإن في الانسان (قوتان) . . . قوة واعية تعمل على بقاءه واستمرار حياته . . . وقوة مزججة تعمل على تدميره وفنائه . . . والأصل هو سيادة تواجد

قوة البناء، وأن تسيطر هذه القوة على الوجدان الانساني، وتوقف مفعول قوة التدمير الهوجاء، التي عادة ما تكون متوارية عن ساحة الشعور. . وكامنة في أعماق النفس البشرية التي تشبه الأغوار العميقة. . والخلجان السرية. .

(٣)

ولا نذيع سراً إذا قلنا. . إن البعض ينتحر يومياً دون أن يدري. . ويحدث ذلك في صور عديدة نذكر منها: الشراهة في التدخين. . والشبق في الجنس وفنونه وشذوذه. . والافراط في الأكل. . واحتساء المشروبات الكحولية (مرحلة الادمان). . أو تعاطي المخدرات. . ولا حاجة للتذكير. . بأن كل متعة يعقبها (ألم) ليست بمتعة إنها نقمة ولعنة.

(٤)

ومن المفيد هنا التأكيد. . أن المتحر ليس جبناً. . ولا شجاعاً. . لأنه يمثل حالة مرضية حادة. . بسبب لوثة عقلية. . أو حالة اكتئابية مزمنة. . أو عدم القدرة على السيطرة على النفس، والمشاعر والأحاسيس. . إذن نحن أمام شخصية سلبية غابت عنها الصحة والعافية النفسية.

ولكن الانتحار الهروبي. . للهرب من المشاكل سواء أكانت عاطفية أم مالية أم شخصية ذاتية، فهو يمثل حالة صريحة من الجبن والضعف البشري، والهروب السلبي. . والاستسلام أمام المصاعب والتحديات قبل أن تبدأ الجولة الأولى. . وقبل أن يُقرع جرس الخطر. . والأجراس فقط تقرع للرجال «الشجعان» الذين يلبون النداء. . . نداء الواجب. . . ونداء التضحية. . . دون وجل أو تردد. . . كذلك فإن الشجاعة (ضمن مفهوم الانتحار) إذا زادت عن حدها الطبيعي، تتحول إلى تهور. . وحماسة. . ونزاقة. .

(٥)

إننا نؤمن بأن الموت الحق، يجب أن يأتي كزائر (مرغوب) في اليوم الذي جدّده الله سبحانه وتعالى في صفحة القدر. . لا أن نختر يوم موتنا بالساعة التي نشتهيها. . لذلك يجب علينا أن نتشبث بالحياة لأنها تستحق أن تعاش أكثر من مرة. . وأن لا نفقد إيماننا بالقيم والمثل العليا، لاسيما في هذا الزمن الاستهلاكي الصعب، الذي يكاد يطحن نفوسنا وأرواحنا. . .

(٦)

إن الحياة قيمة عظيمة . . ونعمة من الباري لا تقدر بثمن . . وإن التفكير المنطقي والواقعي يدعونا أن نكون أحياء . . بخاصة وأن الحياة التي لا تعرف التوقف أبداً، تقدم دوماً كثيراً من الحلول الرائعة للمشاكل الصعبة التي يعاني منها الكثير من الناس . . في الشرق . . وفي الغرب . . هنا . . وهناك . .  
والمطلوب فقط الانتظار . . والتريث . . والتحلي بالصبر والشجاعة . . وروح المسؤولية . . ريثما تنفجر الأزمة التي يعاني منها الشخص الذي ربما يكون قد فكر بالانتحار كخلاص فردي .

ويبدو أن الاكتئاب . . وإدمان الكحول . . والفقر اللعين . . والعزلة الاجتماعية التي يعيشها البعض، والافتقار إلى الشعور بالأمن، والثقة بالنفس، هي من العوامل التي تزيد من تعرض المرء للانتحار . . وقتل نفسه دون مبرر . ودون وجه حق .

(٧)

هذا الكتاب الشائق الذي أضعه - بكل اعتزاز - بين أيدي القراء العرب الكرام أينما كانوا، ليس دراسة نفسية اجتماعية موسعة لظاهرة قتل النفس . . أو الموت اختياراً . .

إنما صفحات الكتاب مجتمعة تحاول وبلغة هادئة . . تسليط الضياء على شخصيات سياسية وعسكرية، وأدبية، واجتماعية، وفنية، أنهت حياتها مع سبق الاصرار والتعمد، باللجوء إلى الانتحار، تاركة خلفها السؤال الكبير: لماذا انتحر هؤلاء؟ على الرغم من أن معظم هذه الشخصيات المنتحرة، كانت تحظى بسمعة عالمية طيبة، ولها حضورها المتميز في الحياة العامة . . .

فجاء هذا الكتاب المتواضع، ليشرح الملابسات . . والأسباب السرية والعلنية التي دفعت هؤلاء إلى الانتحار . . فخرتهم الانسانية . . والحضارة العالمية . . .

(٨)

وأخيراً . . فإن الفضل كل الفضل . . في إعداد هذا الكتاب الممتع وتأليفه وتوثيقه، دون إطالة أو ثثرة لفظية، يعود إلى المراجع والمصادر والوثائق التي

استعنت بها، ووثقتها كما وردت، للأمانة العلمية، وهي مثبتة بصورة واضحة في صفحات الكتاب. وهذه المراجع والمصادر هي وحدها التي ساعدتني في إصدار هذا الكتاب، بطابع يغلب عليه الدقة والايجاز والرشاقة، والتوثيق الحرفي، والمناقشة الهادئة. . . ولا يعني كلامي هذا أنني لا أتحمّل مسؤولية ما ورد في كتابي من معلومات وأحداث ساخنة. . تحبس الأنفاس في الصدور المتعطشة دوماً للحقيقة ولو كانت صعبة. .

وكلي أمل وثقة أن أكون قد وفقت في مهمتي التي كلفتني خمس سنوات من المتابعة الجادة، من أجل إمتاع القارئ العربي، وإغناء معلوماته العامة، والأهم من ذلك كله ابعاد شبح الانتحار عن المجتمع الانساني.

هاني الخير

الشام مساء ١٣/١٢/١٩٩١



## الأرشيدوق رودلف

لا يجهل أحد الرواية التي تناقلتها الألسنة ورددها المؤرخون عن حادث «مايرلنج» الذي وقع في ليلة ٢٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٨ .

وعدا كتب التاريخ فقد وضعت عن هذا الحادث مسرحيات وروايات قصصية وسينمائية . . . تنطبق جميعها على ما أقره وأذاعه بلاط النمسا في ذلك الوقت وصدّقه الناس . والرواية الرسمية تتلخص فيما يلي :

كان الأرشيدوق رودلف ، ولي عهد النمسا وابن الامبراطور فرنسوا جوزيف ، يحب فتاة تدعى ماري فتسيرا . ولكن الأسرة المالكة - وأبوه على الخصوص - حنقت عليه بسبب علاقته الغرامية بتلك الفتاة وحالت بينه وبينها . ولما أدرك الأمير الشاب أن زواجه بالفتاة أمر مستحيل ، لم يطق صبراً على هذا . . . فآثر الموت على الحياة . وفي ذات يوم ، ذهب إلى منزل صغير أعده للصيد في مايرلنج ، مع حبيبته . فأطلق عليها رصاصة اخترقت رأسها ، ثم انتحر .

هذه هي الرواية الرسمية التي أقرها الامبراطور فرنسوا جوزيف ، وأمر بإذاعتها على الرأي العام . فاعتقد الناس منذ ذلك الوقت أن ولي العهد رودلف قد انتحر بعد أن قتل عشيقته وأن المسألة كلها مأساة غرامية دامية .

ولكن ، هل هذه هي الحقيقة ؟ وهل هذا هو الواقع ؟ أم ان هناك سرّاً رهيباً أرادوا إخفاءه عن الأجيال المقبلة ؟

ان ما اكتشف أخيراً من الوثائق ، بعد مضي أكثر من ستين سنة على ذلك

الحادث الذي هزّ النمسا، يدل على أن هناك خيانة عظيمة كانت على وشك ان تقترف .

وهناك خطأ جسيماً قد ارتكب . وهناك امرأة لعبت دورها خلف الستار، فانتقمت من الأرشيديوق وعشيقته . . . وذلك كله بدون أن يكون للامبراطور فرنسوا جوزيف علم بشيء منه .

فقد وضع رئيس البوليس النمساوي «بياك» تقريراً عن الحادث قال فيه : «إن قطع الأثاث محطمة في داخل البيت الصغير، وملطخة بآثار البارود، وعلى الجدران والمرايا آثار الرصاص مما يدل على أن طلقات كثيرة قد تبودلت بين جماعة من الناس» .

فما معنى هذا؟ ومن أين جاءت تلك الآثار، وذلك البارود، وكيف تحطم الأثاث؟ إذا كان كل ما حدث أن أطلق الأرشيديوق العاشق رصاصة على عشيقته وأخرى على نفسه؟ .

الحقيقة أن ضحايا هذا الحادث كانوا أكثر من اثنين : كانوا خمسة أشخاص قتلوا في بيت الصيد الصغير في مايرلنج . ولم يكن هناك موعد غرامي بين الأرشيديوق وماري فتسيرا بل كان هناك موعد من نوع آخر، ذهب إليه عدة أشخاص من أصدقاء الأمير ولي العهد .

ففي ذلك اليوم، وصل إلى مايرلنج خمسة رجال من الجنسية الهنغارية . وقد فتح لهم الباب الحارس الأمين باور الذي عهد إليه الأرشيديوق بيت الصيد في غيابه . ثم وصل رودلف ودخل البيت على أثرهم واجتمع بهم سراً . . .

وكان الاجتماع على جانب عظيم من الخطر . فإن الارشيديوق رودلف كان بخلاف أبيه فرنسوا جوزيف، ميالاً إلى الإصلاح، يرغب في إطلاق الحريات للشعوب الخاضعة للتاج النمساوي، وفي إعلان دستور يتمشى مع مقتضيات العصر، إلى غير ما هنالك من أمور سياسية وإدارية لم يكن الامبراطور ليقرها، وكان ولي العهد من أشد أنصارها .

ولما ضاق الأمير ذرعاً بأبيه، ولم يتمكن من إقناعه بوجوب الاقدام على تلك الاصلاحات التي يراها ضرورية، عزم على السير في طريق أخرى، ووضع أبيه أمام الأمر الواقع، حتى ولو كان في ذلك تقطيع الامبراطورية الشاسعة . .

فاتصل الأمير الشاب بجماعة من الهنغاريين طلاب الانفصال عن النمسا، وتآمر معهم على إعداد العدة لإعلان ذلك الانفصال الذي ينشدونه، على شرط ان ينادوا به ملكاً على هنغاريا. وهكذا، بعد أن يجلس على عرش هنغاريا بدون ان يتنازل عن حقه في وراثة العرش الامبراطوري عن أبيه، يقدم على تحقيق برنامج الإصلاح الذي وضعه، في داخل مملكته، ليضع والده أمام الأمر الواقع. . . .

إذن، مؤامرة الابن على أبيه، وولي العهد على مليكه، والأرشيذوق على الامبراطور. وهذه المؤامرة لا ترمي إلى إسقاط الامبراطور بل إلى ما هو أفظع من هذا. . . . إلى تمزيق وحدة الامبراطورية وفصل أهم جزء عنها وهي هنغاريا، وكانت الامبراطورية في ذلك العهد تعرف باسم «امبراطورية النمسا وهنغاريا» أو «النمسا والمجر».

ولكن الأرشيذوق رودلف كانت تنقصه صفة لا بد منها للمتآمرين، وهي التكتّم المقرون بالحدّر. . . . فقد أفضى بسر المؤامرة إلى امرأة، وكان هذا كافياً لهلاكه.

والمرأة هي الكونتيسة لاريش التي كان يحبها في وقت من الأوقات، وظلّ يثق بها ولكن هي من ناحيتها نغمت عليه لانه ارتقى في أحضان عشيقته الشابة ماري فتسيرا. فقد أعمت الغيرة قلب الكونتيسة لاريش وأدمته، فأسرعت من جهتها إلى الأرشيذوق البرخت من الأسرة المالكة عدو رودلف اللدود فاطلعت على كل شيء. خرج السر إذن من نطاق حلقة المتآمرين. وأرسل البرخت في طلب المرشال مونتوفو، رئيس البوليس، واتفق معه على مراقبة ولي العهد ومداهمته في إحدى جلساته مع شركائه الهنغاريين.

واتخذ رئيس البوليس التدابير اللازمة لذلك. وفي اليوم الذي ذهب فيه رودلف إلى مايرلنج بحجة الصيد واللهو، لحقت به جماعة من رجال البوليس أوفدهم مونتوفو ورافقهم في هذه الرحلة البرنس أوف كوبورج، وهو أيضاً من خصوم ولي العهد.

كان ذلك في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٩ فوصل الهنغاريون المتآمرون الخمسة. ووصل رودلف على أثرهم ولحقت بهم أيضاً

ماري فتسيرا عشيقه الأمير.

وكانت ماري قبل ذلك بيوم واحد قد غادرت بيت أهلها بعد مشادة عنيفة معهم بسبب علاقاتها بالأمير ولي العهد. فرأت أن تلجأ إلى مايرلنج، ولم تكن قد أنبأت عشيقها بذلك لسوء الحظ. وهكذا شاءت المصادفة وحدها أن توجد الفتاة في بيت الصيد الصغير، في وقت واحد مع ولي العهد وشركائه المتآمرين.

وبعد اختفائها من بيت أبيها، أبلغت أسرتها الأمر إلى البوليس، فأرسلت مركبة بحراسة بعض الرجال المسلحين، للعودة بها من مايرلنج حيث اعتقد الجميع أنها لجأت إليها كغادتها. وشاءت المصادفة أيضاً أن يلتقي رجال البوليس الذين كلفوا بإرجاع ماري فتسيرا إلى بيتها، بزملائهم أولئك، الذين أوفدهم موتوفو لمداهمة المتآمرين في منزل الصيد.

دخلت ماري فتسيرا على عشيقها ورفاقه، فدهش رودلف لمجيئها، ولكنه تمالك نفسه وطلب إليها أن تدخل إلى حجرتها وتأخذ نصيبها من الراحة ريثما ينصرف أصدقاؤه الخمسة . . .

وفي طريق الغابة، كان فريقا البوليس قد التقيا، فطلب البرنس كوبورج من حراس المركبة أن ينضموا إلى رجاله للقيام بعمل مشترك. وهكذا وصل إلى منزل الصيد المنعزل عشرون فارساً من فرسان البوليس المسلحين.

وما أن وقع نظر باور عليهم. حتى أسرع لاختبار سيده، ولكن رصاصة أردته قتيلاً فسمع رودلف في الداخل إطلاق المسدس وأدرك أن في المسألة خطراً فتناول مسدسه أيضاً وأطلق رصاصة على المصباح فأطفأه . . .

ولم يكن ذلك العمل حكيماً، فقد اقتحم البرنس كوبورج القاعة، وتبعه رجاله ودارت معركة عنيفة في الظلام بين الفريقين. وعندما أعيد إشعال المصابيح، كان الأرشيديوق رودلف مطروحاً على الأرض جثة هامدة، وقد تحطمت حجمته بالرصاص وقتل اثنان من الهنغارين فأصبح مجموع القتلى أربعة بما فيهم الحارس باور. ولكن ماري فتسيرا سمعت الضوضاء فخرجت من غرفتها تستطلع الخبر ورآها كوبورج فأطلق رصاصة عليها، فخرت على الأرض تتخبط بدمها وهكذا أصبح مجموع الضحايا خمسة. وقبض على اثنين آخرين من الهنغارين لا بدّ أنها قد أعدما سراً، وهرب الخامس.

وبعد ان انتهت المعركة ، أدرك كوبرج فداحة ما حدث وخطره ، فتشاور مع رجاله واتخذوا التدابير لخداع الرأي العام وإظهار المأساة في غير مظهرها الحقيقي : خمسة قتلى ، بينهم الأرشيديوق ولي العهد وعشيسته . إن هذا ليس بالأمر الهين .

دفن رجال البوليس جثث باور والهنغاريين القتيلين في حديقة البيت ، وجردوا ماري فتسيرا من جميع ثيابها ومددوها على السرير ، وأجلسوا الأرشيديوق الميت في مقعد أمام المرأة . ومن هنا نشأت الرواية القائلة إن الأمير العاشق قتل عشيقته وهي على سريرها ، ثم جلس أمام المرأة وأطلق رصاصة على نفسه . أما باور فقد قيل إنه انتحر بعد انتحار سيده .

وظلّ الناس إلى أيامنا هذه يعتقدون أن الحقيقة هي ما أذيع في فيينا رسمياً عن ذلك الحادث . ولكن الهنغاري الخامس الذي نجا هو الذي سجل القصة على حقيقتها . فقد لجأ هذا الرجل إلى بادن فيما بعد ، واسمه هنريخ بلتازي ، وهناك أدلى بتفاصيل تلك المأساة التي كان هو أحد أبطالها المشتركين فيها ، واستطاع الفرار من وجه رجال البوليس النمساوي ، وبذلك نجا من المصير التعس الذي انتهت به حياة شركائه الأربعة . ولكن الذين عرفوا تلك الحقيقة أخفوها عن الناس بل أخفوها على ما يظهر عن الأمبراطور فرنسوا جوزيف نفسه الذي اعتقد مثل غيره أن ابنه قد قتل عشيقته وانتحر . ولم يعلم بما حدث في الواقع إلا في أواخر أيام حياته الطويلة التعسة .

## الرواية الثانية

دموع كثيرة سالت وهي تشاهد على الشاشة فيلم «مايرلنج» وبشكل خاص المشهد الأخير من «الفيلم» عندما يقدم الأرشيديوق وليّ عهد النمسا على قتل حبيبته ماري فتسيرا ، ثم يقتل نفسه لأن والده عارض هذه العلاقة العاطفية ، وعارض زواج وليّ العهد من فتاة من عامة الناس .

وما أكثر الكتب التي صدرت لتروي قصة هذا الحب العنيف والصارخ ، وما أكثر ما صدّق الناس هذه الرواية وأضافوا إليها مشاهد وفصولاً . غير ان المفاجأة

جاءت أخيراً في كتاب جديد صدر عن دار فرنسية بعنوان «حكايات من التاريخ» روى فيه المؤلف غوتراك سان بري، حقائق جديدة وتفاصيل دقيقة عن حياة وموت وليّ عهد النمسا وعشيقته، وأبرز هذه الحقائق وأكثرها إثارة للاستغراب أن الأرشيديوق وعشيقته لم ينتحرا حباً بل زورا شخصيتهما وهربا من النمسا تحت أسماء مستعارة وعاشا معاً في جزيرة كورفو في اليونان، ورزقا ولداً كان ثمرة حبهما الكبير. ويقول المؤلف إن إحدى خالاته وهي البارونة ماري سيركوف كشفت له تفاصيل تلك المرحلة من تاريخ الأباطورية النمساوية، وأعطته الوثائق والأدلة ما يؤكد أن عاشقي مايرلنج لم يقضيا انتحاراً، بل عاشا قصة حبهما حتى الثواني الأخيرة من عمرهما. وأنها أقاما في منزل بجزيرة كورفو أطلقا عليها اسم «اليامة البيضاء» وقالت البارونة للمؤلف إن تفاصيل القصة أخذتها من البارون فون لندن كنبرغ.

مايرلنج هي في الواقع مزرعة للصيد تبعد ٤٠ كيلو متراً عن فيينا، وكان الأرشيديوق رودلف - أورودي كما كان يناديه اصدقائه الحميمون - يقصد هذه المزرعة برفقة أصدقائه هرباً من قيود القصر وعيون رجال الحاشية. وكان رودلف شديد الضيق من زوجته «ستيفاني دي بلجيك» التي اقترن بها بضغظ من والده الأباطور وكان هو في الثالثة والعشرين وهي في السادسة عشرة من العمر. وحاول اصدقاء رودلف الترفيه عنه بأن يصطحبوه إلى أمسيات يلتقي خلالها بحسناوات المجتمع الراقي. غير أنه كان دائم الحذر من وزير الداخلية الذي كان يرصد حركاته وسكناته، وينقل إلى والده تفاصيل مغامراته.

وزاد يأس رودلف عندما رزقت زوجته بطفلة ثم جاء الطبيب ليؤكد أنها لم يعد بإمكانها أن تلد بعد ذلك وبمعنى آخر ما عاد بإمكان رودلف أن يكون له بدوره ولي عهد.

وفي إحدى الأمسيات الراقصة قالت له الكونتيسة لاريش، وكانت عشيقة سابقة له، إنها ستعرفه إلى فتاة جديدة، وانها واثقة على أنه سيعجب بها ويهواها وأبدى رودلف تردداً وقلقاً من هذه المحاولة، غير انه عندما رأى الفتاة ماري فتسيرا ابنة السابعة عشر خفق قلبه بحبها من النظرة الأولى، فلقد كانت أجمل بكثير مما وصفتها الكونتيسة. . . واجتمع فيها الدم الهنغاري من والدها والدم اليوناني من

والدتها وتميزت بجهال أنحاذ وثقافة واسعة وبشخصية جذابة .  
وهكذا اندلعت شرارة الحب ، ومنذ تلك اللحظة غدا مستحيلاً الفصل  
بينهما . فهما معاً في معظم الأحيان ولا يفترقان إلا عندما تفرض الضرورات  
البروتوكولية على رودلف ان يقوم ببعض الواجبات الملكية . . .

وما عاد بالامكان التستر على قصة الحب هذه أو خفايا تفاصيلها . وفي  
لحظات الهناء والسعادة قال رودلف لما ري إنها سيعيشا معاً وان حبهما سيكون أقوى  
من كل العقبات غير إن حسابات رودلف لم تكن مماثلة لحسابات والده الأمبراطور ،  
إذ رفض الوالد أن يطلق رودلف زوجته كما رفض فكرة زواجه من ماري . . . وهنا  
لم يجد رودلف من وسيلة يهدد بها والده . سوى التلميح برغبته الانتحار إذا هو لم  
يتزوج من ماري . بل إنه قال له إن فكرة الانتحار راودته قبل ذلك مراراً لأن حياته  
كانت سلسلة من العذاب النفسي وأن كل ما يريده هو أن يكون رجلاً عادياً مثل  
كل الرجال وأن يكون متحرراً من كل القيود وفروض البروتوكول وعيون الحرس .  
وقال رودلف لوالده إنه لا يريد أن يكون ولياً للعهد ولا أن يكون ملكاً ، ولا يريد  
أن يبقى عضواً في أسرة هابسبرغ ، بل كل ما يريده أن يغدو واحداً من عامة  
الناس ، مثل كل الناس . . . وباختصار أن يختفي . . .

وهنا طلب الأمبراطور من ابنه أن يبحث معه بالتفصيل ما يريد وكيف  
يمكن تنفيذه . . . ودار بين الاثنين حديث طويل . وبعد أن خرج رودلف من  
مكتب والده كانت خطة الاختفاء قد رسمت ، إذ بدأ رودلف بالإنجاء اللفظي إلى  
اعتزاه الانتحار ووضع حدّ لحياته المعذبة ، كما ان ماري أكثرت من الحديث عن  
يأسها من الحياة ولهفتها إلى الموت .

غير إن كل هذه الأحاديث لم تكن سوى تمهيداً للخطوة الثانية التي هي  
خطوة الاختفاء . . . ففي اليوم المحدد خرجت ماري مع الكونتيسة لاريش  
وتوجهت الكونتيسة لشراء بعض الأغراض وعادت إلى عربتها لتجد ورقة على  
المقعد تركتها ماري وكتبت فيها : أنا لا أريد أن أستمّر في الحياة ، وسأكون في أعماق  
مياه الدانوب قبل أن تتمكني من العثور عليّ .

وتوجهت الكونتيسة إلى مدير الشرطة تطلب إليه البحث عن ماري إذ لعلها  
تكون قد قصدت مزرعة مايرلنج غير ان مدير الشرطة اعتذر لأن المزرعة أرض

امبراطورية ودخولها يحتاج إلى إذن من الديوان الامبراطوري .  
غير إن ماري بعد أن غادرت العربية توجهت إلى مزرعة مايرلنج ، وهناك  
لقيها رودلف وبدأ الاثنان عملية التنكر، فقصت هي شعرها الأسود الطويل ،  
وحلق هو شاربيه وشعره وارتدى الاثنان ثياب الناس العاديين . . ومع الليل غادرا  
المزرعة ليأتي في الصباح خادم الأرشيديوق وليكتشف في السير جثتي رجل وامرأة .  
واضطرب القصر لاكتشاف الجثتين ، وقيل يومها إن رودلف قتل عشيقته ثم  
انتحر وجرت مراسم دفن الاثنين بشكل سريع .  
وعندما لاحظ طبيب رودلف أن يد الجثة لا تشبه يد رودلف وإن الوجه ليس  
هو نفسه اقنعوه بالسكوت .

وبناء لأوامر الامبراطور لم يوضع ملف انتحار رودلف في أرشيف العائلة بل  
سلم إلى رئيس الوزراء . . . وعندما فتح هذا الملف في عام ١٩١٢ لم يجدوا بداخله  
سوى مجموعة من الأوراق البيضاء .

ويختتم المؤلف كتابه ناقلاً عن خالته قولها له :  
- سوف أكشف لك الآن عن سر آخر وأخير . . . فبعد وقت قصير من انتهاء  
الحرب التقيت مصادفة بشخص غريب يحمل اسم فورمان واسمه الأول (فرانسوا  
جوزيف) ، وقال إنه نشأ وترعرع في جزيرة كورفو وأن والديه من نبلاء النمسا  
المهاجرين . وأن جدته امرأة رائعة الجمال كانت تزوره من حين لآخر . وبعد أن  
بحثت وحللت واستقصيت تبين لي أن الجدة التي أشار إليها لم تكن سوى  
الامبراطورة ساسي زوجة الامبراطور فرانسوا جوزيف ووالدة الأرشيديوق  
رودلف . . . وفي الأوراق التي تركها لي البارون فون لندن ، عثرت على لفافة من  
الأوراق تضم رسائل من فرانسوا جوزيف فورمان كتب عليها «رسائل من فورمان  
ابن الأرشيديوق رودلف وماري فتسيرا» .

### الرواية الثالثة

. . . تبقى مأساة مايرلنج مثار اختلاف كثير بين المتحدثين عنها في مختلف  
أنحاء العالم . فمن قائل : إن موت الأرشيديوق وعشييقته كان انتحاراً اتفقا عليه

رغبة في إنهاء حياتها وهما في أوج السعادة والصفاء، قبل ان يشوب هذه الحياة ما يكدرها وقائل إن العاشقين قتل أحدهما الآخر، ثم قتل نفسه خلال ثورة عاطفية هوجاء بعد ان شربا حتى ثملا. ومن قائل: إن موظفاً من موظفي الغابة التي بها قصر الأرشيديوق قتله انتقاماً منه لاغوائه زوجته ثم قتل ماري معه حتى لا تشي به أو قتلت هي نفسها متأثرة بموت الأرشيديوق أو خيانتة لها مع زوجة ذلك الموظف. وليس من شك في أن كثيراً من هذه الروايات كانت بإيحاء من أعداء الأسرة المالكة في النمسا والمجر، لتشويه سمعتها وتسويد صحتها والطعن في كفاءة أفرادها لتولي العرش والحكم، ولكن ليس من شك أيضاً في أن الامبراطور فرنسوا جوزيف نفسه كان في مقدمة المروجين لهذه الاشاعات ولم يمنع نشرها كلها ما عدا اشاعة انتحار ولي عهده، لأن الكنيسة الكاثوليكية التي يتبعها تحرم الصلاة على المنتحر.

## الرواية الرابعة ونرجحها

مايرلنج ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٩ بداية المساء:  
كانت هناك وسيلتان للذهاب من «فيينا» إلى «مايرلنج» في ذلك العهد . . .  
أولاهما القطار من محطة الجنوب حتى (بادن) ثم مركبة تقطع المسافة إلى «مايرلنج»  
في ساعة . . . والأخرى مركبة تجرها الخيل، وتقطع المسافة من «فيينا» إلى  
«مايرلنج» مباشرة، في ثلاث ساعات أو أربع.  
وكان رودلف قد وجه الدعوة إلى الكونت «هويوس» و«فيليب دي كوبورج»  
لمشاركته الصيد، فكانا الأسبق إلى الوصول للاستراحة . . . وقد كان الأمير يفضل  
صحبتها، لما اتصفا به من ثبات ومرح، ومحافظة على الأسرار . . .  
أما رودلف وماري، فقد وصلا إلى الاستراحة في حوالي الساعة  
الخامسة . . . وآوت ماري مباشرة إلى حجرة الأمير فلم يفتن الصديقان إلى  
وجودها، ولم يخبرهما الأمير بوجودها، بل تناولت عشاءها وحدها، بينما شاطرهما هو  
العشاء . . . وفي حوالي الساعة التاسعة، صعد الأمير إلى الطابق الأول، حيث  
كان مخدعه وحيث كانت الفتاة تنتظره بفارغ الصبر.

«مايرلنج» ٢٩ كانون الثاني (يناير) حتى منتصف الليل :  
انطلق هويوس وزميله إلى الصيد وحيدين في الصباح إذ قيل إن رودلف  
شعر بوعكة والواقع أنه مكث في مخدعه مع ماري . ويبدو أنه كتب الرسالة التالية  
إلى زوجته في ذلك الصباح :  
«عزيزتي ستيفاني :

إنك . . . تتخلصين أخيراً من عذاب وجودي ، فاسعدي كما يحلو لك  
وكوني بارة بالصغيرة المسكينة ، فهي الشيء الوحيد الباقي مني . . .» .  
وتناول رودلف الغداء مع صديقيه ثم انطلق الصديقان مرة أخرى إلى  
هوايتهما المفضلة ولم يعودوا إلى مايرلنج إلا حوالي الساعة السادسة إلا الربع ولم  
يلبث كوبورج أن رحل إلى فيينا حيث كان عليه ان يحضر العشاء على مائدة  
الامبراطور . . . أما رودلف فأبرق إلى زوجته راجياً ان تعتذر للامبراطور عن تخلفه  
عن العشاء العائلي ، لاصابته بزكام حاد . وبعد أن تناول العشاء مع هويوس ، عاد  
إلى ماري . . . ثم أرسل العاشقان يدعوان براتفيش المرح ليغني لهما . . . وبعد  
انصراف براتفيش حوالي الحادية عشر مساءً ، جلست ماري تكتب خطابات  
الوداع . . . فقالت لأُمها :

«إننا الآن شديدا التلهف لمعرفة كنه العالم الآخر . . . اغفري لي ما فعلت ،  
فما استطعت أن أقوم الحب . . .» .  
وكتب رودلف آخر تعليماته ، طالباً أن يدفن بجوار حبيبته ماري . . . كما  
كتب خمسة خطابات . . .

## ليلة المأساة

في أية ساعة قتل رودلف خليلته برصاصة من مسدسه ، اخترقت الجبهة  
وخرجت من فوق الأذن اليمنى ؟ ليس في الامكان تحديد ذلك . . . كل ما نستطيع  
أن نقوله . وفقاً لشهادة الدكتور هوفر هو أن رودلف قتل ماري قبل أن يتحرر هو  
بساعات . ويبدو أن القتل حدث بينما كانت الشابة نائمة . . . ثم غطى رودلف  
جسدها بالزهور ، ووضع وسادة على وجهها . وحوالي السادسة والنصف صباحاً ،

ذهب رودلف في ثياب النوم، إلى لوشيك وقال له: أشرف على إعداد المركبات للصيد، واحضر لي الافطار بعد ساعة.

صباح ٣٠ كانون الثاني (يناير) السابعة والنصف: وفي الساعة السابعة والنصف صباحاً، ذهب «لوشيك» إلى جناح سيده وطرق الباب فلم يجبه أي صوت... ودبّ القلق في نفسه. فأخذ يطرق الباب بقبضة يده... ولا جواب سوى الصمت. فأسرع وأخطر الكونت «هويوس» وأخذ الاثنان يطرقان الباب المغلق بالملزاج بعنف وأزاء الصمت المستمر، طلب هويوس من الخادم بلطة وكسر الباب.

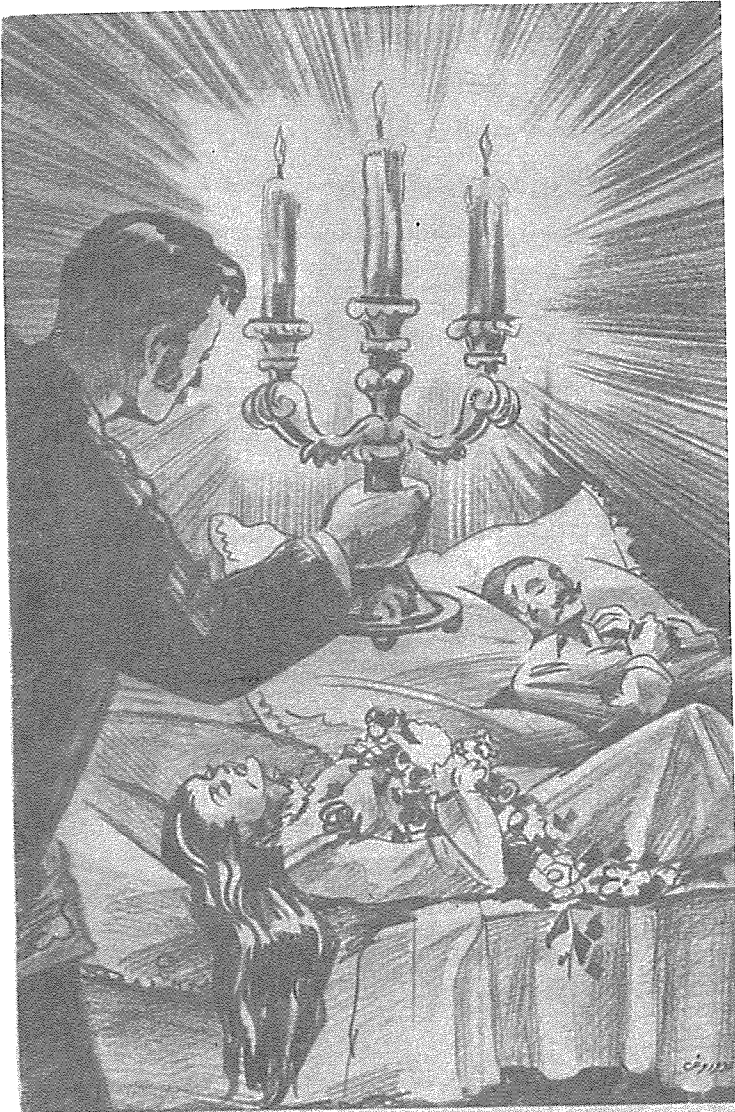
وفي الغرفة شبه المظلمة، اكتشفا جثتي رودلف وماري متجاورتين... ولم يكن هناك أي أثر للمقاومة... وبالقرب من وليّ العهد، وجد مسدسه تنقصه طلقتان... وعلى المائدة الصغيرة المجاورة للسرير، وجدا كأس «كونيك» ملأى حتى منتصفها.

وعندما سمع الامبراطور الخبر... تأوه وتهالك، وهو يقول: لم يبق لي شيء.

---

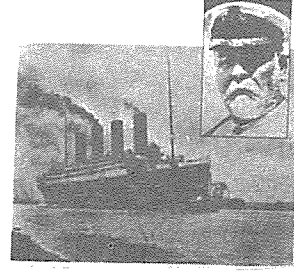
#### المصادر:

- مأساة مايرلنج، بول ريبو، ترجمة: د. أمير بقطر، سلسلة كتاب الهلال - القاهرة.
- أسرار مثيرة من العالم، هاني الخير، ط ١، دار اليقظة العربية - دمشق.



وهنف لوشيك مذعوراً: «يا إلهي!.. إن الدم يسيل من فم الارشيدوق!»

## القبطان إدوارد سميث



صنّف عالم الاجتماع (دوركهيم) الانتحار إلى ثلاثة أصناف رئيسية وهي :  
أولاً: الانتحار الأناني، أو (الأثري)، وهو يتم تحت وطأة عوامل قاسية  
ومحن وظروف غير مريحة في الأسرة أو الحلقة الاجتماعية الخاصة، فهو نوع من  
الاراحة أو التهرب من الأزمات، ويحدث غالباً لدى الناس الذين لم يتقمصوا  
مجتمعهم بما فيه الكفاية فتكون المصلحة الفردية هي العليا والمأساة الشخصية  
أجدر بالمعالجة، وفصم أوشاج التعاطف الاجتماعي أيسر من التقيد بها.

ثانياً: الانتحار الفوضوي، وطابعه الاضطرابات الحادة والأزمات المفاجئة،  
التي تدفع ببعض الناس إلى إزهاق أرواحهم، كما يحدث عادة في الأزمات  
الاقتصادية والبطالة المفاجئة، أو ارتباك النظام الاجتماعي العنيف، أو الثورات  
والانقلابات. فهو إذن انتحار فرد وجد نفسه على حين غرة وقد انقطعت صلته  
بمجتمعه الذي ألفه منذ زمن.

ثالثاً: الانتحار الايثاري، كانتحار الاستشهاد والتضحية والفداء في  
الحروب (ومنها انتحار الهاميكازي لدى اليابانيين)، وكانتحار الكابتن إدوارد  
سميث قبطان الباخرة العظيمة (تيتانيك)، التي غرقت في شهر نيسان (أبريل) عام  
١٩١٢ وعلى متنها عدد من المشاهير والأثرياء. وذلك بعد أن ارتطمت بجبل  
جليدي عائم.

إن قبطان السفينة العملاقة لم يشأ مغادرة سفينته قبل نزول آخر راكب منها،

وكذلك البحارة، لكن هذا لم يحدث للأسف الشديد فإن قوارب النجاة التي كانت على متن الـ (تيتانيك) تتسع لأقل من نصف مجموع الركاب والبحارة الذي وصل عددهم إلى حوالي (٢٢٠٦) من الرجال والنساء والأطفال والبحارة.

وبعد مرور ساعتين على اصطدام السفينة المنكوبة بالجبل الجليدي، أعطى الكابتن إدوارد سميث أوامره الصريحة بمغادرة السفينة نهائياً، وكل شخص مسؤول عن نفسه. أما هو فقد ظلّ في مقصورة القيادة ولم يشاهده أحد بعد ذلك..

إن ما فعله القبطان إدوارد سميث ليس من الناحية الأخلاقية انتحاراً بل تضحية وبطولة. والحق أن نية انتحار إدوارد سميث غائبة هنا كل الغياب ولكننا نكتفي بالتساؤل هل تأمر الأخلاق بمثل هذه الواجبات؟ لا بدّ في مجال القواعد الأخلاقية من تمييز الالتزامات الأساسية عن الالتزامات الجائرة، إن لم نقل الممكنة. أجل إن البحرية تحرص كثيراً على قاعدة هذا الشرف التقليدية. خاصة فيما يتعلق بمنع القبطان من مغادرة السفينة الغارقة إلّا بعد أن يرحل الجميع عنها.. بل يستحسن أن يغرق مع سفينته!!

ولكن الأوامر والتقاليد في عالم الطيران أوامر مغايرة تماماً. فحياة طاقم الطائرة الحربية تعتبر أثمن الأشياء كلها، ولذلك يباح له تماماً ودون عقوبة مسلكية مغادرة الطائرة المعطوبة بقذف نفسه في المظلة، بدون أن يعتقد قائد الطائرة أو رئيس السرب أبداً أنه ملزم بأن يموت بسقوط طائرته.

إن فعل قبطان السفينة بهذا المنظور ليس انتحاراً.. وليس تضحية تقتضيها الأخلاق المثالية، بل أن الأمر لا يتعدى سوى تقاليد اجتماعية ومهنية شائعة في عالم البحرية والسفن سواء أكانت عسكرية أم مدنية..

والجدير بالذكر أن الموت أدرك ما يزيد على ألف وخمسمائة شخص غرقوا في مياه المحيط الأطلسي المظلمة. على أن الذعر لم يدبّ في النفوس وبقيت الفرقة الموسيقية الخاصة بسفينة (تيتانيك) تعزف تسلياً للركاب حتى النهاية..

ومنذ تلك الليلة المربعة.. لم تزل أسطورة (التيتانيك) تقض مضاجع ملايين البشر، كما يتضح من الأفلام السينمائية والكتب التي أحييت لحظاتها الأخيرة.

نعود الآن إلى الكابتن سميث . . لقد شعر في قرارة أعماقه بأنه كان سبباً رئيسياً لوقوع هذه الكارثة ، بدليل أن برقية لاسلكية وصلت إلى السفينة (تيتانيك) من السفينة البخارية كارونيا جاء منها :  
«إلى ربان التيتانيك . . السفن البخارية المتوجهة غرباً تفيد عن وجود جبال جليدية عاثمة وحقول جليدية ضمن ٤٢ درجة شمالاً وبين ٤٩ و ٥١ درجة غرباً .  
تحياتي . . بار» .

ونقلت البرقية إلى منصة القيادة ، وسلّمت إلى القبطان إ. ج . سميث الذي قرأها ببرودة أعصاب دون تقدير العواقب الوخيمة وبث إشعاراً بتسلمها مع الشكر .

لقد أخطأ الكابتن سميث لأنه لم يطلب من الضابط المناوب في غرفة القيادة ، ضرورة اليقظة . . ومراقبة مياه المحيط بالمنظار . . وأخيراً تخفيف سرعة أكبر سفينة في العالم آنذاك ، مما جعل الناس يتوهمون أنها سفينة لا تغرق !! وهي في أول رحلة لها بعد تدشينها الرسمي ، حيث أبحرت من ميناء سوئمبتون في بريطانيا إلى ميناء نيويورك .

ومن أخطاء الكابتن سميث أيضاً أنه لم يختبر كفاءة البحارة والضباط في سفينته ، فكانوا أقرب إلى موظفي الفنادق منهم إلى البحارة . فعندما سمعوا بوجود جبال جليدية أمامهم زادوا سرعة الباخرة بدلاً من أن يغيروا اتجاهها . لهذه الأسباب وغيرها . . وجد القبطان سميث نفسه متورطاً من قمة رأسه حتى كعب حذائه . . فرغب بدفع الفاتورة . . أغلى فاتورة في العالم . . نقصد حياته . . والسلامة لنا ولكم .

## ■ ■ حكاية الأدميرال ماكينج جونس

وقد حدث في بداية الحرب العالمية الثانية ، أن إحدى الغواصات الألمانية أصابت حاملة الطائرات الانكليزية «كارجيس» ، فما كان من قبطانها الأدميرال ماكينج جونس إلا أن قرر مصيره غرقاً مع سفينته ، حتى إذا بلغت هامته الماء وبدأ يغرق ألقي ببقعته على صفحة الماء تحية للبحر وإجلالاً للموت الذي حمله حياً وضمّه ميتاً . . .

وفي تحية هذا الحدث قال الشاعر الكبير علي محمود طه :

هوى بك الفلك إلّا هامة رفعت لها من المجد إعظام وإكبار  
واستقبل البحر صدرًا حين لامسه كادت عليه جبال الموج تنهار  
وغاب كل مشيد عند قبعة ذكرى من الشرف العالي وتذكار  
ألقيتها فتلقى الموج معقدها كما تلقى جبين الفاتح الغار  
نزلتما البحر قبراً حين ضمكما رفّت عليه من المرجان أشجار  
نام الحبيبان في مثواه واتّسدا جنباً لجنب فلا ذل ولا عار  
وهكذا نجد أن هذا النوع من الانتحار (الايثاري) يحدث في الأشخاص  
الذين تكامل امتزاجهم بمجتمعهم وفاض على كل ما عداه من ميول. لذلك فإن  
الفرد لا يدرك وجوده إلّا عن طريق وجود مجتمعه، وهو نوع من التقمص  
الامتصاص جعل من (الأنا) و(الأنا الأعلى) أجزاء من ذلك المجتمع.

#### المصادر:

- الانتحار والأخلاق، ليون مينارد، ترجمة: د. عادل العوا، دار دمشق، ص ٧٨ و ٧٩.
- الموت . . اختياراً، د. فخري الدباغ، ص ٤٨ و ٤٩.
- المختار من ريديرز دايجست، أيار (مايو) ١٩٨٦.
- المختار من ريديرز دايجست، حزيران (يونيو) ١٩٨٦.
- المآسي الكبرى - بعض الكوارث التي وقعت في القرن العشرين، إعداد جون كاننغ، ترجمة: الأستاذ منذر الصالحاني المعط، (مخطوط).
- كيف تموت مستريحاً، السيد فرج، دار الشروق القاهرة، ص ٩٧.
- الأعمال الشعرية الكاملة، علي محمود طه، دار العودة - بيروت.



حين غرقت التيتانيك . . كانت تغوص شيئاً فشيئاً . . بينما مؤخرتها فكانت ترتفع كما يظهر في الصورة



## عبد المحسن السعدون

وقع اختيار «دار الاعتماد البريطاني» عليه، بعد أن خيب «عبد الرحمن النقيب» بترده بين الاقدام والاحجام في موقف يتطلب الحزم، لاسيما بعد أن اشتدت مقاطعة الشعب لانتخابات المجلس التأسيسي، واتخذت شكلاً عنيفاً في الجنوب، حيث انتشرت فتاوى المجتهدين التي تقضي بتحريم المشاركة في الانتخابات وتكفير كل من يسهم فيها. وفي وسط هذا الجو الملبد بالغيوم والمشيع بروح معادية للسلطات، مضى «عبد المحسن السعدون» يشق طريقه لانتخاب أول مجلس تأسيسي يضع اللبنات الأولى لكيان العراق الدستوري، ولم يتردد في سبيل ذلك رغم مشاعر الخوف التي كانت تساور الملك فيصل من اندلاع ثورة من الاقدام على نفي «مهدي الخالصي» كبير المجتهدين وعدد من أنصاره خارج العراق، اعتقاداً من أن وجوده لا يسهل سير الانتخابات.

واستطاع «عبد المحسن السعدون» أن يخطو خطوات واسعة في إجراء الانتخابات ويحقق نجاحاً في تذليل المصاعب التي قامت أمامه عزز مركزه السياسي كرجل قوي يواجه الأحداث بجرأة وشجاعة كسب بها ثقة «دار الاعتماد البريطاني». ولعل الذي زادها ميلاً إليه، هو أن الرجل كان يؤمن يومها بضرورة التعاون بين العراق وبريطانيا اعتقاداً منه أنه مادامت حدود العراق من الشمال والشرق والجنوب غير مؤمنة فلا غنى للعراق عن التعاون مع بريطانيا لأنه لا يتمكن بمفرده وهو في أول تكوينه من حماية حدوده من مطامع جيرانه.

وفي الوقت الذي اختار «عبد المحسن السعدون» لنفسه هذا المنهج في العمل التي لم تكن بطبيعة الحال لتجد تقبلاً لدى جماهير الشعب .

وقد كان «السعدون» صريحاً في المجاهرة بهذه الآراء والاعراب عن هذه الأفكار السياسية ، وجمع حوله عدداً من الساسة في حزب برلماني عرف باسم «حزب التقدم» يواصل العمل وفق ذلك المنهج ، انبرى «ياسين الهاشمي» يعارضه باسم «حزب الشعب» الذي انتهج خطه أخرى تقوم على أساس مبدأ خذ وطالب أو عارض لتكسب أكثر ما تستطيع ، لذلك جنح هذا الحزب إلى تشجيع المعارضة الوطنية للمعاهدات والاتفاقيات مع السعي لابرامها بأقلية ضئيلة لتسحق الفرصة مرة أخرى لتحقيق ما فات من مكاسب تتحقق تدريجياً ، وقد دار بين الحزبين صراع كان شديداً تارة وخفيفاً تارة أخرى ، وكان «الملك فيصل» يختفي تارة وراء هذا الصراع ، و«دار الاعتماد البريطاني» أحياناً أخرى ، وقد حاول «فيصل» خلال ذلك الصراع أن يجد لنفسه موضع قدم في الحزبين المذكورين فاندس رجاله في صفوفها ، حتى أن «جعفر العسكري» قال يخاطب زعماء «حزب التقدم» إن لم تسمحوا لي بالدخول من الباب فسوف أدخل إلى حزبكم من الشباك !

وقد أثار النهج الذي اختاره «السعدون» معارضة في أوساط مختلفة ، فإذا كانت بعض الأوساط تميل إلى الاعتقاد بأن هذه السياسة تنطوي على تساهل لا يؤدي إلى تحقيق الأمان الوطني ، فإن الملك فيصل كان يشجع من طرف خفي هذا الاعتقاد قلقاً على مصيره من ازدياد ثقة «دار الاعتماد البريطاني» بالسعدون ازدياداً يعزز نفوذه إلى الحد الذي يهدده ويجرده من نفوذه كملك ، ويجعل من «السعدون» وسيطاً يرجع إليه في حل ما يقع من خلاف بين «دار الاعتماد البريطاني» والبلاط وكان «فيصل» يريد ألا يشاركه في اعتماد الانكليز أحد سواه ، ولعل شعوره تجاه «عبد المحسن السعدون» الذي كان موضع ثقة السير «هنري دويس» المندوب السامي ، لا يختلف عن شعوره تجاه السيد «عبد الرحمن النقيب» الذي كان موضع اعتماد السير «برسي كوكس» من قبل .

وقد حسب «فيصل» بعد أن اعتزل «عبد الرحمن النقيب» السياسة أن الفرصة قد سنحت له لاختيار رئيس الوزراء من بين (أنصاره) و(أعوانه) ، ولكن

ظنه قد خاب عندما وجد الانكليز قد رشحوا له «السعدون» بديلاً أو خلفاً لـ «عبد الرحمن النقيب».

ومن هنا كان «فيصل» يشجع من طرف خفي كل دعاية تسيء إلى «السعدون»، وتقلل من قدره في الأوساط الوطنية، ويسعى بأساليب ملتوية إلى وضع المصاعب وإثارة المتاعب أمام «السعدون» لخلق الفرص وفتح الطريق أمام رجاله وأعوانه لتأليف وزارات ذات مسحة فيصلية، وقد أفلح «فيصل» في بعض الظروف وأخفق في ظروف أخرى في تحقيق ذلك.

وقد واجه «عبد المحسن السعدون» هذه المتاعب بصبر ونبيل، وواجه الانقسامات التي سادت صفوف حزبه بمساعي الملك «فيصل» ورجاله بحزم، ومضى في السبيل الذي انتهجه بإيمانه بأن الظروف التي يجتازها العراق في تلك المرحلة تقضي بذلك، إذا ثبتت حدود العراق وسويت قضية الموصل اتجه «السعدون» اتجاهاً جديداً تحت تأثير حملات المعارضة يميل إلى تقليص النفوذ الأجنبي. وطالب في وزارته الثالثة عام ١٩٢٨ بتعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية بحيث يتولى العراق مسؤولية الدفاع عن الأمن الداخلي والخارجي، ويحدد عدد الضباط الانكليز في الجيش العراقي. وتعهد بإدارة الأحكام العرفية إلى ضابط عراقي بدلاً من ضابط بريطاني. وتتملك الحكومة العراقية السكك الحديدية ولا تتحمل نفقات «دار الاعتماد البريطاني» ويحدد أجل الاتفاقيتين المالية والعسكرية بأربع سنوات.

وقد تمسك «السعدون» بهذه المقترحات تمسكاً شديداً أدى به إلى الاصطدام مع «دار الاعتماد البريطاني» لأول مرة، فأكبرت المعارضة التي طالما شنت عليه في الصحافة والبرلمان حملات شديدة موقفه وسارع زعمائها أمثال «ياسين الهاشمي» و«جعفر أبو التمن» إلى دعمه.

وقد حاول السير «هنري دويس» المندوب السامي أن يعالج هذه الأزمة فعرض على «السعدون» أن يصرح في البرلمان بأن التفاهم قد تم على ابقاء الاتفاقيتين العسكرية والمالية دون الالتفات إلى المواعيد الزمنية المحددة لها بشأن المساعدة العسكرية التي تقدمها بريطانياً. إلا أن «السعدون» رفض هذا العرض لاسيما بعد أن جمع حزبه «حزب التقدم» وحصل على تأييده وكتب إلى السير

«هنري دوبس» كتاباً سرياً كشف فيه عن أنه رجل شديد الاعتزاز بكرامته لا يرضى أن يتراجع عما التزم به أمام الرأي العام وأنه كثير الاحترام للمعارضة . . . ولعلّ هذا التقارب بين المعارضة و«السعدون» قد شجعت على أن يخطو خطوة أخرى للتعاون مع العناصر التي كانت تعبر عن أهداف المرحلة الوطنية في ذلك الوقت . فرأى أن يقوم بتجربة جديدة في وزارته الأخيرة، لذلك ضم إليها «ياسين الهاشمي» زعيم المعارضة وزعيم حزب الشعب ليستعين به في دعم موقف وزارته أمام المفاوضات مع الإنكليز، فجاءت الوزارة بشكل ائتلاف بين «حزب الشعب» و«حزب التقدم» في الظاهر إلا أن الحقيقة أن حزب الشعب كان خلال تلك الفترة يعاني من بلبلة تسربت إلى صفوفه، أدت إلى تقلص أعضائه، بحيث لم يبق منهم سوى اثنين هما «ياسين الهاشمي» و«محمود صبحي الدفترى» . لذلك حاول خصوم الوزارة أن يجردوها من هذه الصفة : صفة الائتلاف الحزبي . . . وقد كشف البرنامج الوزاري عن الأهداف الوطنية التي كانت وزارة «السعدون» تسعى إلى تحقيقها والتي قوبلت من «دار الاعتماد» بغضب شديد لعله كان السبب في عدم إعلانه على الرأي العام تحاشياً من الاصطدام مع تلك الدار .

وقد كان من بين الأهداف التي تضمنها المنهاج «العمل على رفع كل صفة احتلالية من صلب المعاهدة الجديدة» و«انتهاء مسؤولية الحكومة البريطانية في قضية الدفاع» و«تطبيق التجنيد بصورة سريعة» و«حصص السلطات العامة بشخص الوزير» .

ومنذ الأيام الأولى لتأليف الوزارة ظهرت على «السعدون» روح جديدة، فإذا به وهو الرجل المعروف بصمته وتحفظه يذكر النار في خطبه ومسيل الدماء في تصريحاته ويردد عبارات لم يألّفها لسانه . . .

ودهش المجلس النيابي بما فيه من مؤيدين ومعارضين لهذا الكلام الجريء يصدر من «عبد المحسن السعدون»، ووجم «الملك فيصل» لذلك الموقف واتجه إلى «دار الاعتماد البريطاني» بنظرات تمتزج فيها الشكاة بالرجاء فإذا هي الأخرى أشد ذهولاً تتساءل ماذا دهى هذا الرجل حتى انفجر مرة واحدة وأصبح كما عبرت جريدة «الأوقاف العراقية» أشد حماسة من المتطرفين !!

وتهاشم الناس يومها في الأندية والمقاهي وفي المساجد قائلين : إن رئيس

الوزراء يدعو إلى الثورة ورفع السلاح لطرده الانكليز.

ولا شك أن الحملة القاسية التي تعرض لها «السعدون» في تلك الجلسة النيابية، والتي اتهم فيها بمسايرة الانكليز وخدمتهم قد استفزته وأثارت أعصابه وقد كبر عليه أن يواجه بحملات تتناول وطنيته بالتجريح، وكرامته في التعريض والتفت بقلب أنظاره في المجلس لعله يجد من يسارع إلى الدفاع عنه من أعضاء حزبه الذين يؤلفون الأكثرية فلم يجد أحداً يتحرك بل راعه وآلمه ان بعض صنائعه يسهمون في تلك الحملة، فشعر بنفسه وحيداً في ميدان انهالت عليه السهام من كل جانب فاسودت الدنيا أمامه واستولت عليه عوامل اليأس من كل جانب. يئس «السعدون» من حزبه الذي خذله في هذا الموقف فلم يبادر رجاله إلى مساعدته أمام تلك الحملات التي انهالت عليه...

يئس من الأوساط الوطنية التي أساءت فهمه ولم تحمل اتجاهاته الأخيرة في التقرب إليها والتصميم على تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية وفق الأهداف الوطنية على محمل الجد فراحت تثير الضباب وتثير الشكوك حوله.

يئس من «دار الاعتماد البريطاني» التي طالما تعاون في انتهاج سياسة تحمل بسببها حملات قاسية واتهامات شديدة لايأنه بأن العراق لا غنى له عن التعاون معها مادامت حدوده غير مؤمنة، ولاعتقاده بحكم تفكيره البدوي بأن الانكليز يؤمنون بصدق الوعد، ويمكن الاعتماد عليهم في تحقيق الأمان الوطني. ولعل هذا ما جعله يؤمن بنظرية الالتقاء مع الانكليز في منتصف الطريق، واختيار المفاوضة أسلوباً للتوصل إلى تحقيق الأهداف الوطنية، لذلك كانت الصدمة شديدة عليه عندما اكتشف حقيقة تنكر الانكليز لما تعهدوا به.

يئس من الملك «فيصل» الذي كان لا يكف عن تدبير مختلف المشاورات من وراء الستار بقصد اضعافه تارة بتشجيع المعارضة عليه، وطوراً في التسلل إلى صفوف حزبه «التقدم» لجر بعض الأعضاء منه واستطاع بهذه الأساليب أن يسلط العيون والجواسيس على الحزب ينقلون إليه ما يدور في اجتماعاته وما يقرر في جلساته بحيث تألف منهم جناحاً داخل الحزب يعمل ضمن توجهاته ويتحرك رهن اشارته تمكن بواسطتهم في بعض المواقف من إحراج «السعدون». فعندما رشح «عبد المحسن السعدون» «حكمت سليمان» لرئاسة المجلس النيابي خذله

حزبه وهو حزب الأكثرية في ذلك ، واختار رشيد عالي بدلاً منه وكان فيصل يختفي وراء هذه اللعبة التي أخرجت «السعدون» وحملته على الاستقالة!!

وقد سُئل مرة «نوري السعيد» - وكان من أقرب الساسة إلى فيصل - لماذا تعارض يا باشا «حزب التقدم» وأنت من أبرز أعضائه؟ فضحك «نوري السعيد» وتلفت يساراً ويميناً حتى إذا اطمأن من عدم وجود أحد همس في أذن الصحفي لأني أؤمن بأن تحطيم الحزب من الداخل أسهل من تحطيمه من الخارج!

يشس من هذه الجوانب كلها ولم يجد في زوجته (حورية هانم) وهي سيدة تركية من الأناضول الرفيق الذي يخفف آلامه، والصديق الذي ينسبه متاعبه، والانسان الذي يداوي همومه، وبالعكس قد قلبت بمزاجها السوداءي وشدة عصبيتها داره إلى جحيم . فقد كانت لا تكف عن مشاكسته تارة باساءة معاملة أهله وأقاربه بحيث لم تتورع في بعض المناسبات من غلق الأبواب في وجوههم إذا أقبلوا لزيارة «السعدون» . . .

وقد لقي «عبد المحسن السعدون» بسبب هذا المزاج الكثير من المتاعب وقاسى الرجل كثيراً من الآلام، وعبثاً حاول أن يلطف منه وأن يخفف فلم يفلح فالتجأ بعد أن يشس من ذلك إلى الشراب والورق يستعين بهما في التغلب على همومه ومتاعبه . . .

وأغلب الظن أن هذه العوامل تضافرت وتجمعت أسبابها واستولت على ذهنه فراودته أفكار سوداء تميل إلى الانتحار، وقد كانت أعصاب الرجل من الضعف بحيث لم تقو على الصمود أمام هذه الأفكار لاسيما بعد أن وجد هذه الحملة التي قام بها النواب في البرلمان قد امتدت إلى الصحف فراحت هي الأخرى تواصل حملاتها مما ضاعف آلامه . . .

ويشير «عبد العزيز القصاب» في ذكرياته ص (٢٨١) إلى اللقاء الأخير الذي وقع له مع «عبد المحسن السعدون» حيث زاره الأخير في داره في يوم ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٩ وهو نفس اليوم الذي انتحر فيه وحده عن الجدل الذي قام بينه وبين السير «كورنو اليس» في المأدبة التي أقامها الملك «فيصل» بمناسبة ختام اجازة «كورنو اليس» ، وكيف أنه أعرب إلى الأخير عن تعبه من الركض وراء وعود الانكليز دون فائدة ترجى وقال إلى «القصاب» في آخر اللقاء

(ان كل ما نرجوه من الانكليز هو خيال وليس له ظل من الحقيقة).

وانصرف من دار «القصاب» وقد اغرورقت عيناه بالدموع من شدة الألم، واتجه إلى مقر «حزب التقدم» وكأنه أراد أن يودعه ويودع صحبه الوداع الأخير فتركه بعد مدة قصيرة وذهب سيراً إلى «النادي العراقي» الذي اعتاد أن يقضي في «صالونه» أمسياته فجلس هناك جلسة قصيرة مع بعض أصدقائه ثم انصرف عائداً إلى داره حيث تناول العشاء الأخير مع زوجته وكريمتيه «عائدة ونجلاء» وابنه «واصف» والتفت إلى زوجته وهو على المائدة يخاطبها باللغة التركية قائلاً:

- ما بالك لا تقيمين مأدبة شاي لقرينة المعتمد السامي؟

فردت تقول:

- أنا منحرفة المزاج منذ (١٢) يوماً وطبخنا ترك العمل ولا أحب شراء الحلوى من السوق إنما أؤثر صنعها في الدار لهذا السبب أرجو معذرتي.

فابتسم «السعدون» وقال:

- إنك لا تقبلين فكري.

فأجابته:

- كيف لا أقبل فكري؟

فنهض متجهماً متألماً وقبل ابنته «نجلاء» قائلاً لها بالتركية «بن جوق سورم» أي أنا أحبك كثيراً. وداعب «عائدة» واتجه إلى غرفة مقابلة لغرفة الطعام وجلس يكتب إلى ولده «علي» الذي يدرس في برنكهام رسالة حتى إذا فرغ منها، خرج من الغرفة وصعد إلى الطابق الأعلى وقد بدت عليه آثار الانزعاج.

ولنقف عند هذا الحد ونترك الحديث إلى زوجته تصف الدقائق الأخيرة من

حياة «السعدون»:

«ما رأيته قط يمشي مثل تلك المشية فساورني الرعب فتتبعتة إلى غرفة النوم فرأيتة يحشو المسدس.. فركضت مسرعة إليه وقلت له ماذا تعمل؟ ولأي سبب تعمل هذا؟ فقال: دعيني! قلت لا والله لا يمكنني أن ادعك فإن كنت تعمل شيئاً فاقتلني أولاً يا سيدي!!

فقال: دعيني وإلا قتلتك. فصحت به مذعورة اقتلني! وقبضت على يده فحاول التملص مني فتوجه إلى جهة باب الشرفة وأوشك أن يصل إلى الشرفة وأنا

ماسكة يده اليسرى وفي اعتقادي أني مانعته بهذه المسكة ولكن يا للأسف كان المسدس في جيبه الأيمن وهو قابض عليه بيمناه وأنا غائبة عن رشدي وما أفقت إلا وصوت الطلقة يدوي في الشرفة وكانت رجله الواحدة في الغرفة والأخرى في الشرفة . فوقع على الحضيض» .

وما أن وقعت الواقعة وسرى خبرها حتى اهتزت البلد لهذا الحادث المروع وأسرع الناس إلى دار «السعدون» الواقعة على نهر دجلة . وكان «عبد العزيز القصاب» أول من دخل الدار وصعد إلى الطابق الثاني حيث وجد «السعدون» على فراشه جثة هامدة وصدره مثقوب بطلقة مسدس .

وعندما نزل إلى المكتبة وجلس وراء الطاولة ليخبر رئيس الصحة والأطباء والوزراء وقع نظره على كتاب مفتوح ، فلما طالعه وجده كتاب الوصية فأسرع يضعه في جيبه حتى إذا حضر الوزراء وأخذوا يتساءلون عن أسباب الانتحار أبرز لهم «الوصية» وتلاها عليهم وطلب من بعض الحاضرين التوقيع عليها . فكتب «توفيق السويدي» في آخرها هذه العبارة : «هذا الكتاب وجد موضوعاً فوق أوراق البيك الخاصة . وقد تلي أماننا وأخذت صورة منه من قبل الشرطة وهذا هو أصل الكتاب ١٣ - ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٩» .

وقد وقع على هذه العبارة «ناجي السويدي» ، و«ياسين الهاشمي» ، و«عبد العزيز القصاب» ، و«خالد سليمان» ، ومتصرف بغداد «جميل المدفعي» ، والحاج «سليم» مدير الشرطة العام ، و«أحمد الراوي» ، وقد أضاف الهاشمي إلى العبارة المذكورة هذه الجملة : «هذا الذي تضمن أكبر برهان عن عظمة التضحية التي قام بها رجل العراق وفقيده» .

وفي اليوم الثاني نشرت جريدة «العالم العربي» نص الوصية بالزنكوغراف مترجمة إلى اللغة العربية وهي :

نص وصية «السعدون» إلى ولده وهي مترجمة عن التركية :  
«اعف عني لما ارتكبت من جناية . لأنني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذة وذوقاً وشرافاً . الأمة تنتظر خدمة . الانكليز لا يوافقون ليس لي ظهير . العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون كثيراً عن الاستقلال وهم عاجزون عن تقدير نصائح أرباب الناموس أمثالي يظنون أني خائن للوطن ، وعبد للانكليز

ما أعظم هذه المصيبة! أنا الفدائي الأشد إخلاصاً لوطني قد كابدت أنواع الاحتقارات وتحملت المذلات، في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها آبائي، وأجدادي مرفهين. . اعف عني يا ولدي علي».

### التوقيع

عبد المحسن السعدون

وقد أثار نشر الوصية ردود فعل متضاربة ومختلفة باختلاف الأوساط، فدار الاعتماد البريطاني غضبت وأرسلت تحتج لأن نشرها خلق جواً مشبعاً بالعداء ولمحت إلى أن الوصية حرفت على نحو يثير هذه المشاعر وأومأت جريدة «العراق» أن أحد عملاء الانكليز سارع إلى دار الاعتماد ليلة انتحار «السعدون» ليخبره أن أحد الوزراء حرف الوصية. وهذا الاتهام يقصد به «ياسين الهاشمي» وهو في الحقيقة لم يحرف الوصية وإنما ذيل على كتاب الوصية عبارة أشرنا إليها، وروى «عبد العزيز القصاب» أن الملك «فيصل» استدعاه إلى البلاط وأعرب له عن عدم رضاه عن نشر الوصية.

والملك «فيصل» تظاهر بالحزن وأسرع إلى دار «عبد المحسن السعدون» ليقف على جثمانه ويقول: لقد خسرتك وخسرتك البلاد يا عبد المحسن. . .  
وتساءل الناس يومها هل صحيح ما يتظاهر به فيصل أم أنه في موقف مسرحي يحاول فيه إخفاء حقيقة يتهامس بها الناس وهي أن اختفاء «السعدون» من المسرح السياسي جعله يتنفس الصعداء ويشعر بعقبة قد انزاحت من طريقه.  
الشعب العربي العراقي هزته الفاجعة وحركت المأساة عواطفه ففي الوقت الذي اندفعت في الشوارع جماهيره غاضبة نائرة «عبد المحسن نأخذ ثأره» ووقف الخطباء يؤنبون والشعراء يرثون والوفود من الأولوية تتوالى على قبر «السعدون» والنقاش شديد في الصحافة حول اقامة تمثال «السعدون» . . .

في ذلك الوقت وجد الملك «فيصل» الفرصة سانحة لتحقيق الأمنية التي طالما سعى إليها ولم يمكنه «السعدون» من نوالها، وهي أن يدفع «بنوري السعيد» إلى رئاسة الوزارة. وكان له ما أراد. . .

ومضت الأيام وتعاقت السنون وانقطع الرثاء وسكت الخطباء ولم يبق من

ذكرى «عبد المحسن» إلا تمثال قائم في أحد شوارع بغداد يذكر الناس بتضحيته ومأساته.

ومن المفيد هنا . . الاشارة إلى قصيدة الشاعر العربي الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، التي ألقاها في دار «عبد المحسن السعدون» يوم ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٩ بعيد انتحاره ومطلعها:

|                                 |                                      |
|---------------------------------|--------------------------------------|
| فِيمَ الوجوم؟ وجومكم لا ينفع    | نَفَذَ القضاءَ وحُمَّ ما لا يُدْفَعُ |
| فِيمَ الوجوم؟ أبو عليٍّ قد مضى  | وقد انقضى الخيرُ الذي يُتَوَقَّعُ    |
| وقد اختفى رمزُ البطولة، وانطوت  | تلك المحاسنُ والشَّائِلُ أجمع        |
| الشعبُ محتشدٌ هنا يتسمَّعُ      | ماذا يقولُ الشاعرُ المتفجعُ          |
| إحذرْ لساني أن تكون مقالةً      | ليست تليقُ به فانك تُقَطَّعُ         |
| أمُّوا ضريح أبي عليٍّ واكشِفُوا | فيه الرؤوسَ وفي الشدائد فافزعُوا     |
| وإذا أَلَّتْ بالبلاد مصيبةٌ     | فتوسلوا بزعيمها وتضرَّعُوا           |
| قولوا له يا من لأجل بلاده       | هَدِّراً مضى: ان البلاد تُرَوَّعُ    |

---

#### المصادر:

- مأساة عبد المحسن السعدون، بقلم الأستاذ المؤرخ خيرى العمري، عن مجلة الهلال.
- ديوان الجواهري، المجلد الأول، ص ٢٦٨، ط دار العودة - بيروت.



## فرجينيا وولف ستيفان زفايغ



فرجينيا وولف «١٨٨٢ - ١٩٤١ م». روائية انكليزية. ابنة السير لزلي ستيفن وحفيدة السير جيمس ستيفن، فهي من الطبقة الارستقراطية في العصر الفيكتوري التي اضطرت إلى أن تنزوي كطبقة من الحياة العامة. تزوجت ليونارد وولف سنة ١٩١٢، وهو عالم اجتماعي وسياسي عمالي. ملكت هي وزوجها مطبعة (هوجارت) التي طبعت فيها كل كتبها. نجد أهم صفات هذه الطبقة الارستقراطية التي أقفلت نفسها ومزاياها عن الناس تتجلى في فرجينيا وولف، وهي صفات الدأب والمثابرة والتحمس. حيث دأبت على قراءة الأدب الانكليزي منذ سن مبكرة فقرأت شوامخ التراث الانساني بصفة عامة والانكليزي بصفة خاصة. وفي العشرينات توصلت إلى أسلوب جديد في الكتابة، أثار كثيراً من النقاش وردود الأفعال، واعترض عليه كثير من النقاد والمثقفين، فبدلاً من استعمال الحوار وسلوك الشخصيات للكشف عن نفسياتهم ونوازعهم، أو بخلاف ذلك قيام المؤلف بالشرح والتعليق للدلالة على مشاعر شخصياته وتفكيره، قيدت فرجينيا وولف كلامها وحوارها، بما أدى إلى إحاطة شخصياتها بالغموض، ولم يعد بالامكان تبين اتجاهاتها من الكلمات المحدودة الدالة على ذلك.

تمثل رواياتها أكثر من اتجاه. بدأت بنشر (الرحلة خارجاً) سنة ١٩١٥، و(ليل ونهار) سنة ١٩١٩، و(غرفة يعقوب) سنة ١٩٢٢. ثم نشرت (الاثنين والثلاثاء) سنة ١٩٢١، وهي تمثل تجارب جديدة نحو اتجاه استقرار واضحاً في أشهر روايتها (السيدة دا للووي) سنة ١٩٢٥، و(إلى الفنار) سنة ١٩٢٧.

كانت فرجينيا وولف من أغزر الأدبيات الانكليزيات علماً ومعرفة في فنون الأدب وتاريخه، وكتبت مقالات عديدة في النقد الفني، جرت إلى معارك طويلة وطاحنة على صفحات المجلات الأدبية والصحف مع النقاد الآخرين. ونشر الكثير من هذه المقالات في مجموعتين صدرت الأولى منها بعنوان (القارئ الهادي) في عام ١٩٢٥، والثانية سنة ١٩٣٢، ومجموعات جمعت بعد وفاتها وهي: (موت الفراشة) سنة ١٩٤٣، و(هذه اللحظة ومقالات أخرى) سنة ١٩٤٧. ويرى بعض النقاد أن مقالاتها أميز من رواياتها.

أما قضية المرأة في عالم الرجل، فقد خصتها بمقالات في الإصلاح الاجتماعي، تتجلى فيها مطالبتها بحق المرأة، وفيها تلوم المرأة على عدم التفوق وتحثها عليه. نجد هذه المقالات في مجموعتي: (ثلاثة جنيهاً) سنة ١٩٣٨، و(حجرة خاصة) سنة ١٩٢٩.

وفي عام ١٩٤١، التقطت جثة فرجينيا وولف من مياه البحر، قرب مدينة لويس في جنوب انكلترا. وتبين أنها انتحرت في أزمة من أزمت الكآبة الحادة التي كانت تعاني منها على ما يظهر، وكل ذلك رغم الجمهور الكبير من المعجبين والأنصار الذين أحاطت نفسها بهم عبر مراحل حياتها. كما يقال إنها انتحرت لأنها لم تطق توتر الأعصاب الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية.

وفيما يلي هذه الرواية عن ملابس انتحارها:  
في يوم ٢٨ آذار (مارس) سنة ١٩٤١، عاد زوجها إلى البيت وهو على يقين من أنه سوف يجد زوجته في انتظاره، وبدلاً من أن يجدها رأى خطاباً بخطها موجهاً إليه تقول فيه:

«عزيزي ليونارد

اعتقدت أني سوف أصاب بالجنون مرة أخرى. . إن الحياة معي لا تطاق، أنا

على يقين من ذلك . إنني أسمع أصواتاً في أذني . . ولا أقوى على التركيز، إنني سأفعل ما أراه أفضل . . ولا أعتقد أن أحداً من الناس قد بلغ من السعادة ما بلغناه معاً» .

وأُسِّرت إلى البحر القريب من منزلها . . وهناك عثر على عصاها، ولكن لم يعثر على الجثة . . لقد علقت فرجينيا وولف حجراً ثقيلاً في عنقها ونزلت إلى الماء . . ولم يطف جثمانها إلا بعد ثلاثة أيام !

بقي أن نذكر بأن الطريقة المفضلة للانتحار بين النساء فهي حسب تسلسلها وشيوعها :

- الغرق .

- ابتلاع السموم والأدوية .

- الحرق .

- الشنق .

- لكن في السنوات الأخيرة أظهرت ارتفاعاً في استعمال العيارات النارية إلى درجة ملحوظة . . وهي ميل إلى العنف لدى النساء .

### ■ ■ ستيفان زفايغ

والحديث عن فرجينيا وولف يقودنا أيضاً للحديث عن الأديب النمساوي الشهير ستيفان زفايغ (١٨٨١ - ١٩٤٢) الذي انتحرو زوجته عن (٥٣) سنة، وهو يشهد انهيار السلام العالمي، وبزوغ نجم هتلر، وانتصار النازية الحاقدة والفاشية في البدايات، فشعر بخيبة شديدة . . وتوترت أعصابه فأقدم على الانتحار، بعد أن كتب رسالة يودع فيها أصدقاءه ويشرح لهم سبب انتحاره ويشكر البرازيل - حيث انتحر - البلد المضياف، على حسن الضيافة والرعاية، علماً أن ستيفان زفايغ - قبل انتحاره المؤسف - كان قد حصل على الجنسية البريطانية . . وكان يملك ثروة وفيرة من المال . . وشهرة كبيرة في الأوساط الثقافية العالمية . . ومع ذلك فقد أزهق حياته مع سبق الاصرار والتعمد في أحد أيام شهر شباط (فبراير) من عام ١٩٤٢ .

وستيفان زفايغ أديب من الطراز الرفيع . ومن أهم كتّاب أوروبا في مطلع هذا القرن . وقد اشتهر بدراساته الشائقة لحياة المشاهير أمثال :

- تولستوي .
- كازانوف .
- نيتشه .
- ستندال .
- بلزاك .
- دستوفسكي .
- هولدرين .
- كلايست .
- رومان رولان ، وغيرهم من الأعلام الكبار . . . فيتناول الشخصية درساً ، وتحليلاً ، وسبراً للأغوار ، وجلاء لكثير من الغوامض والخفايا والحقائق في حياة هؤلاء المشاهير . . .
- ومن رواياته الشهيرة نذكر:
- ٢٤ ساعة في حياة امرأة .
- الشفقة الخطيرة .
- آموك . . . و آموك بالمليزي هو الانسان المصاب بنوبة جنون دموية . . . بل آموك كما يشرح زفايخ :
- «هو نوع من السكر عند الماليزيين ، بل أكثر من السكر . . . إنه الجنون ، أو نوع من الفكرة الثابتة الاجرامية التي تخرج الانسان عن طوره ، والتي لا نستطيع أن نقارن بها أي تسمم كحولي» .

#### ■ اليوم الاخير

وفي يوم ٢١ شباط (فبراير) عام ١٩٤٢ ، جلس في البيت يودع أصدقاءه في جميع أنحاء العالم ، بما في ذلك زوجته الأولى ، وكتب في ذلك اليوم (١٩٢) خطاب وداع . . . أما زوجته الثانية فقد ذهبت إلى السوق . . .

وفي ذلك اليوم دخل الأديب وزوجته إلى الفراش وابتلع كل منهما كمية كبيرة من المنومات . وتعانقا و طال العناق . واقتحم الخدم الباب في اليوم التالي ليجدوا الأديب وزوجته في عناق أبدي ، ناما وماتا .

ولم ينس الأديب أن يعطي كلبه أيضاً جرعة كبيرة من المنومات فنام ومات أمام الباب هو أيضاً.

وهذا النوع من الانتحار يسمى (الانتحار الثنائي) أو (الانتحار معاً)، وهو الرغبة في الموت مع شخص آخر أو بعد موته بزمان وجيز، وهو ثنائي غالباً ويكون المنتحران من أسرة واحدة، أو حلقة اجتماعية واحدة، وتربطهما عواطف ووشائج متينة على مر السنين.

---

#### المصادر:

- من أعلام الفكر العربي والعالمي في القرن العشرين، سليمان سعد الدين، مراجعة وتقديم هاني الخير، ص ٩٣ و ٩٤.
- حول مائدة المعرفة، ج ١٠، ترجمة: د. نظمي لوقا، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة ونيويورك، ص ٩٣.
- الموت اختياراً، د. فخري الدباغ، دار الطليعة بيروت، ص ٧٦.
- الانتحار، د. ناجي الجيوش، دمشق، ص ١٤٩.
- على رقاب العباد، أنيس منصور. دار الشروق - القاهرة، ص ٧٦ و ٢٣٠.
- كازانوف، ستيفان زفايغ، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس - دمشق، ص ٢٠١.
- رسالة من امرأة مجهولة والحب الجنوني، ستيفان زفايغ، ترجمة انجيل عبود، دار طلاس، ص ٧.



## أدولف هتلر

ولد هتلر من أبوين رقيقي الحال في ٢٠ نيسان (أبريل) عام ١٨٨٩ ، في بلدة براوناو من أعمال النمسا على الحدود المتاخمة لألمانيا. كان أبوه يعمل في خدمة الحكومة النمساوية في حرس الجمارك، أما أمه فكانت تشتغل بحياكة الملابس. وكان أبوه يطمع أن يرى ابنه موظفاً في الحكومة، ولكن هتلر كان منذ صغره يبغض الوظائف الحكومية فلم يصغ إلى رغبة والده.

كما لم يكن متفوقاً في المدرسة، وأن سبب ذلك يرجع إلى أنه كان يهمل دروسه متعمداً حتى لا يكون مصيره التوظيف في الحكومة.

فقد أباه في الرابعة عشرة من عمره، فاضطر إلى ترك المدرسة، وفقد أمه في التاسعة عشرة فبات يتيم الأبوين في سن مبكرة. وحاول مرتين أن يلتحق بمعهد الفنون في فيينا ففشل. وأخذت المقادير تتقاذفه، فكانت حياته الأولى حلقة من الشقاء والمتاعب، اضطر لكي يكسب عيشه إلى حمل حقائب المسافرين، وإلى كنس الشوارع وتنظيفها من الثلوج. واشتغل ما يقرب من ثلاث سنوات دهنناً. وبلغ هتلر سن الخامسة والعشرين وهو بعد إنسان طائش ضال، لقد كانت غلطته هو، وكان وحده المسؤول عن هذا الانحدار، فقد رفض أن يتعلم في صغره وآثر حياة التشرذم والاستهتار. . .

وفي عام ١٩١٣ غادر هتلر فيينا ليقیم في ميونيخ عاصمة بافاريا، وكانت في ذلك الوقت بلداً تسطع في سمائه أنوار الفنون، وفيها نسي بعض الشقاء الذي

عاناه في النمسا ولكنه ظل يتأرجح ضمن دائرة الشر والكراهية للحياة .  
كان أدولف هتلر مزيجاً من الألم العقلي والجسمي ، فقد مات أخواه جوستاف  
وادموند بالسل ، كما ماتت به أخته عايدة ، وهو نفسه قد قاسى الأمرين من هذا  
المرض في سنه البكرة . ثم إنه مفجوع في حياته الجنسية ، طريد أو شبه طريد من  
الحياة ومباهجها ، تفاعلت هذه العواطف المتشعبة في نفسه فخلقت شخصاً متمرداً  
حاقداً . .

وفي عام ١٩١٤ أعلنت الحرب العالمية الأولى ، فتقدم هتلر إلى الجيش  
النمساوي يريد الالتحاق به فرفض طلبه بحجة ضعف صحته ، فطوع في الجيش  
الألماني واعتبر نفسه منذ ذلك الحين ألمانياً ، وعاش في الجيش عيشته في ميونيخ وفي  
النمسا دون صديق أو قريب .

مكث خلال سني الحرب الأربع في الصفوف الأمامية يعمل مراسلاً ، ينقل  
الاشارات والأوامر بين وحدات الجيش . كان يعمل من قلبه ، بل كان مثلاً رائعاً  
للحماسة الوطنية ، وكان يرجو مخلصاً أن تنتصر ألمانيا ، فأنعم عليه بوسام الصليب  
الحديدي من الدرجة الأولى ، وشاء سوء طالعاه أن يتسلم هذا الوسام من كابتن  
يهودي !!

وجرح هتلر ، ونقل إلى المستشفى بين الحياة والموت ، ولم يستفك إلا على  
صوت الهدنة عندما دهمته أخبار هزيمة ألمانيا وفرار القيصر إلى هولندا .  
هذه الهزيمة النكراء صدمته بعنف وأغضبته على ألمانيا وعلى الشعوب  
الأوروبية الأخرى . وفي سنة ١٩١٩ كان في الثلاثين من عمره وانضم إلى حزب  
يميني متطرف في مدينة ميونيخ . وسرعان ما غير هذا الحزب اسمه إلى حزب  
(العمال الألمان الوطنيين الاشتراكيين) . واختصاراً لهذا الاسم الطويل أصبح  
يسمى الحزب (النازي) . وفي سنتين اثنتين فقط أصبح هتلر القائد الأوحده . أي  
(الفوهرر) .

وبزعامة هتلر ازداد حزب (النازي) قوة . وفي عام ١٩٢٣ حاول أن يقوم  
بانقلاب . وقد سمي هذا الانقلاب باسم «انقلاب حانة ميونيخ» . ولما أخفقت  
هذه المحاولة . اعتقل هتلر . وحوكم بتهمة الخيانة . وأدين . ولكنه أفرج عنه بعد  
أقل من سنة . وفي السجن تمكن من تأليف كتابه الوحيد (كفاحي) الذي أصبح

فيما بعد انجيل ألمانيا.

وفي سنة ١٩٢٨ كان حزب النازي صغيراً. ولكن الأزمة العالمية . . . وطعن كبرياء الشعب الألماني نتيجة معاهدة فرساي المذلة لألمانيا، أثارت ضيق الألمان وغضبهم على كل الأحزاب السياسية. وبسرعة التمس حزب (النازي) مزيداً من القوة وفي عام ١٩٣٣ كان هتلر في سن الرابعة والأربعين حيث أصبح مستشاراً. وبعد أن أصبح مستشاراً فإنه، بسرعة، أقام حكماً دكتاتورياً مستخدماً كل أجهزة الدولة في سجن المعارضة، أو اغتيال بعضهم، واستطاع هتلر قبل الحرب العالمية الثانية، أن يحصل على تأييد كامل من الشعب الألماني، إذ استطاع أن يقضي على البطالة، وأن يحقق الانتعاش الاقتصادي للبلاد.

وأعد هتلر ألمانيا لتكون السبب في اشعال الحرب العالمية الثانية. وحقق أولى انتصاراته الإقليمية دون قتال. ولم تتدخل فرنسا وبريطانيا الغارتان في مشاكلهما الاقتصادية. عندما خرق هتلر معاهدة فرساي وأقام جيشاً ضخماً. أو عندما احتلت قواته الراين في آذار (مارس) عام ١٩٣٦. أو عندما ضمّ النمسا إلى ألمانيا في عام ١٩٣٨. بل إن الدولتين قد وافقتا في عام ١٩٣٨ على أن يضمّ السويد إلى ألمانيا - والسويد هو الجزء الحصين تماماً من تشيكوسلوفاكيا . .

وكانت حرب هتلر الكبرى في سنة ١٩٤٠. ففي نيسان (أبريل) اجتاحت قواته الدانمرك والنرويج.

وفي أيار (مايو) استولت قواته على هولندا وبلجيكا ولوكسمبورج. وفي حزيران (يونيو) سقطت فرنسا. وبعد ذلك تمكنت بريطانيا من الوقوف ضد عدد كبير من الغارات الجوية الألمانية، وقد سميت هذه الغارات العنيفة المكثفة باسم (معركة بريطانيا) . . . ولم يفلح مطلقاً في غزو بريطانيا.

وفي نيسان (أبريل) عام ١٩٤١ غزت جيوش هتلر كلاً من اليونان ويوغسلافيا.

وفي حزيران (يونيو) ١٩٤١ خرق هتلر ميثاق عدم الاعتداء المبرم بينه وبين ستالين وهاجم روسيا. واستولت قواته على مساحات شاسعة من الاتحاد السوفيتي. ولكن لم يفلح هتلر في القضاء على القوات الروسية قبل حلول فصل الشتاء ونزول الثلج.

وعلى الرغم من أن هتلر كان يحارب روسيا وبريطانيا . فإنه في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤١ ، أعلن الحرب على الولايات المتحدة الامريكية ، أي بعد أيام قليلة من هجوم سلاح الطيران الياباني على ميناء بيرل هاربور والقضاء على معظم الأسطول الامريكي .

وفي منتصف عام ١٩٤٢ كانت ألمانيا تستولي على مساحة من الأرض الأوروبية كما لم تفعل أية دولة في التاريخ . كذلك كانت ألمانيا تستولي على شمال أفريقيا .

وكانت نقطة التحول في الحرب العالمية الثانية في النصف الثاني من سنة ١٩٤٢ ، عندما انهزمت ألمانيا في معركة العلمين في مصر ، وفي معركة ستالينغراد في الاتحاد السوفيتي . وبعد هذه الهزائم انحسرت القوة العسكرية الألمانية تدريجاً . وعلى الرغم من أنه بات من الواضح أن هزيمة ألمانيا وشيكة الوقوع فإن هتلر لم يستسلم مطلقاً . وعلى الرغم من الخسائر الألمانية الفادحة ، ظلت ألمانيا تحارب ستين آخرين .

وجاءت نهاية هتلر في ٣٠ نيسان (أبريل) عام ١٩٤٥ ، عندما انتحر هتلر باطلاق الرصاص على نفسه ، وكان قد أفهم عشيقته إيفا براون ، التي أصبحت زوجته قبل انتحاره بأيام ، أنه سيطلق عليها رصاصة واحدة ، ثم يتحرر بدوره ، خوفاً من سقوطه في أيدي الحلفاء ، لاسيما وقد شاهد بأمر عينيه انهيار امبراطوريته . . وفشل خططه العسكرية . . وكان هتلر قد أوصى مرافقه الضابط بوهلر بأن تنقل جثته وجثة إيفا براون ، بعد أن تلفا بالعلم الألماني ، إلى حديقة المستشارية حيث مقر هتلر ، وتحرقان في حفرة قليلة العمق . . ثم يهال عليهما التراب .

وبعد انتحار هتلر بأسبوع استسلمت ألمانيا .

ولأسباب عديدة سوف تظل شهرة هتلر السلبية زمناً طويلاً . . .

أولاً : يعتبر هتلر أكبر شرير عرفه التاريخ ، لأنه تسبب في مقتل (٣٥) مليوناً من البشر . لذلك لا وجه شبه بين أفعال الامبراطور نيرون والامبراطور كاليجولا ، مع أنهما ارتكبا أعمالاً تافهة ، وبين أفعال وفضائع هتلر ، فإن هتلر سوف يبقى شهيراً وملعوناً عشرات القرون .

وثانياً: سوف يبقى هتلر في التاريخ باعتباره أول من أشعل فتيل الحرب العالمية الثانية، وهي أكبر حرب عرفها العالم.  
وثالثاً: سوف يظل هتلر في الذاكرة. . لأن قصة حياته غريبة ومثيرة. فهو أجنبي (لأنه نمساوي وليس ألمانيا)، وبلا تجربة سياسية ولا مال ولا أية علاقات سياسية، قد استطاع في أقل من ١٤ سنة أن يصبح على رأس أكبر قوة عسكرية في العالم، لا بدّ أنه شيء مذهل حقاً!!  
وكانت قدرته الخطابية هائلة، فقد كان قادراً على تحريك عواطف الجماهير. ولذلك فهو يعتبر من الخطباء الكبار الذين عرفتهم البشرية. . ومن الطريف أنه كان يقوم بإجراء (بروفه) خطابية أمام المرأة قبل أن يواجه شعبه كما هو معروف عنه.

### ■ الساعات الأخيرة في حياة هتلر

كما يروها وزير التسليح البرت سبير

لعلّ البرت سبير، وزير التسليح في حكومة هتلر النازية، هو الوحيد من بين وزراء هتلر ومعاونيه، الذي كانت لديه القدرة على وصف الساعات الأخيرة للفوهرر.

وفي آخر فصل من فصول الكتاب وهو بعنوان (الابادة)، يقدم وزير التسليح صورة واقعية للساعات الأخيرة الرهيبة في حياة هتلر، ذلك الدكتاتور الذي كان يحلم ويهذي بإنشاء امبراطورية تضم كل أنحاء العالم! فلم يحصد إلاّ الدمار والخراب والفشل لبلاده، وإن كان العالم قد خسر الملايين من أبنائه في التصدي لهتلر. . .

« . . . في الأسابيع الأخيرة من حياته، بدا هتلر منهزماً وقد سحقته قسوة الأحداث التي قهرته تدريجاً خلال السنوات السابقة. كذلك أصبح أكثر تقبلاً وتحملاً للمعارضة. وفي أواخر شتاء سنة ١٩٤٤، كان مما يصعب تصويره بالنسبة له، الدخول في مناقشة معي حول احتمال الحرب. كما أن مرونته تجاه الخطاب الذي أدليت به في الاذاعة حول سير المعارك، وهو الخطاب الذي كشفت فيه عن اشرافنا على الهزيمة. هذه المرونة لم يكن ليصدقها أحد قط. وأصبح أكثر تقبلاً

للمناقشة أمور كان لا يقبل مجرد سماع شيء عنها منذ عام مضى لكن هذه المرونة العظمى، لم تكن مجرد نقص في التوتر المعروف عنه، بل أنها كانت في الواقع دليل انهيار وانحلال تامين . . .

كان هتلر في هذه اللحظات يعطي الانطباع بأنه رجل تحطمت كافة أهدافه وآماله . . رجل أصبح يدور في مداره الراسخ بسبب الطاقة المخزونة في داخله فقط . بل إنه كان، في الواقع، قد تخلّى عن كل سلطاته، واستسلم لما قد يأتي به القدر.

وكان، في ذلك الوقت، يذوي ويذبل مثل رجل عجوز، كانت شفثاه ترتجفان، وكان يسير منحنياً ويجر ساقيه جراً، وحتى صوته أصبح متهدجاً، وفقد براعته واستبداديته القديمة، وقد اختفت قوة صوته، ليحل محلها صوت متلعثم بلا أية نبرة مميزة، وكانت لاتزال تنتابه نوبات من العناد. لكنها نوبات عناد مؤقتة وعابرة.

وقد أصبح مظهره العام شاحباً، ووجهه متورماً، وملابسه التي كانت تبدو أنيقة في الماضي، أصبحت عرضة للاهمال في فترة حياته الأخيرة، وقد لطخت ببقايا الطعام الذي كان يتناوله بيد مرتعشة.

وقد أثرت حالته هذه، بلا شك في المحيطين به، الذين كانوا بجواره أثناء الانتصارات التي حققها في حياته . وكنت في هذه اللحظات أشعر بالاشفاق عليه، نظراً لتدهور حالته بصورة جعلته يبدو مختلفاً تماماً، عن هتلر الذي عرفته في الماضي .

وربما كان هذا هو سبب إقدام كل فرد على الانصات إليه بصمت، عندما كان مستمراً في تحريك فرق عسكرية غير موجودة، أو إصدار الأوامر إلى وحدات يتم تموينها بواسطة طائرات لم تعد قادرة على الطيران بسبب نقص الوقود . . .

وربما كان ذلك هو سبب امتناع أي فرد عن قول أية كلمة عندما تمادى في الهروب من الواقع ليدخل عالم خيالاته، وعندما تحدث عن الصدام بين الشرق والغرب الذي كان لا بدّ في نظره أن يحدث، وعندما حاول دفعنا إلى الاعتقاد بأن مثل هذا الصدام أمر لا مفر منه، وعندما زعم أنه في موقع يمكنه قهر السوفييت بواسطة قوته الذاتية، وبتحالف مع الغرب . . .

ورغم هذه الأوهام كلها فقد كان هتلر يوحى بوضوح إلى الجميع بأنه يرغب شخصياً في أن تكون ساعته الأخيرة قد حلت. وقد دعم الهدوء ورباطة الجأش الذي بدا عليه وهو ينتظر نهايته، من العطف والاحترام اللذين كان يحظى بهما منا جميعاً.

وقد أصبح، بالإضافة إلى ذلك، أكثر ودّاً ولطفاً، وأكثر رغبة في التمسك بمزاجه الخاص. وقد ذكرني وهو في حالته هذه، بهتلر الذي عرفته في أول رتباطي به، منذ اثني عشر عاماً مضت سنة ١٩٣٣، فيما عدا أنه كان يبدو في ذلك الوقت أكثر غموضاً. وقد ركز وده على النساء القليلات اللاتي كنّ معه طوال السنوات الماضية. وكان قد أظهر لمدة طويلة ميلاً خاصاً تجاه فراو جونج، أرملة خادمه، الذي قتل في جبهة القتال، لكنه كان يحابي ويميل أيضاً نحو طباخته النمساوية. وقد شكلت كل من فراو، وولف، وكريستيان، اللتين عملتا كسكرتيرتين له لفترة طويلة، جزءاً من مجموعته الخاصة، أثناء الأسابيع الأخيرة من حياته. وكان في ذلك الوقت يفضل تناول وجباته معها بصفة مستمرة. ولم يعد يوجد هناك رجال بين مجموعة رفاقه القريبين منه، حتى أنا - وزير التسليح - لم يعد يدعوني إلى مأثدته...

وقد أحدث وصول ايفا براون عدة تغييرات في عاداته، على الرغم من أنها لم تضع حداً لعلاقاته البريئة نسبياً مع النساء الأخريات. ولا بدّ أن موقفه هذا كان يدعمه ويدفعه إليه اعتقاده بأن النساء كنّ أكثر ولاء في المحن من الرجال...! وكان، بالفعل، يبدي سوء الظن تجاه الأعضاء الرجال في هيئة معاونيه، وكان يرتاب في مدى ولائهم وإخلاصهم باستثناء بورمان، وغوبلز، ولاي، الذين بدا أنه كان لا يزال واثقاً بهم.

وكان يتعين على هتلر ملاحظة أن النظام والضبط والربط بين المحيطين به بدأت قواعدها تتراخي، فعندما كان يدخل إحدى الحجرات في الماضي، كان كل فرد فيها يهّب واقفاً، ويظلون هكذا حتى يجلس هو. أما الآن، فكانت المناقشات تستمر، ولم يكن أحد يقف عند دخوله. وأصبح الخدم يتلقون الأوامر من الضيوف، وكان الرفاق الذين شربوا كثيراً من الخمر، يستغرقون في النوم وهم جلوس. والآخرين يتحدثون بصوت مرتفع بدون أدنى رابط. وربما كان هتلر

يتغاضى عن مثل هذه التغيرات عن عمد، وقد ضايقني هذه المناظر وبدأت أمامي وكأنها حلم مزعج .

وقد أخذ الجميع يتقبلون ببساطة التغيرات التي حدثت على مدى عدة شهور في المقر الدائم للمستشارية . فقد أزيلت الستائر من على النوافذ، وأنزلت اللوحات الفنية من فوق الجدران، وتم جمع السجاجيد، وتخزين قطع الأثاث الثمينة في مخبأ لوقايتها من الغارات .

وكان هتلر قد هجر الحجرات العليا، منذ مدة، وادعى أن الغارات الجوية المستمرة تقلقه أثناء نومه، وتغوق قدرته على العمل، وقال إن في امكانه أن ينام بعض الوقت في غرفته المحصنة تحت الأرض، وهكذا تحول هتلر إلى حياة تحت أرضية .

وقد كان لانسحابه إلى قبوه مغزى رمزي بالنسبة لي كذلك . إذ أن عزلته في عالمه السري تحت الأرض، محاطاً بالاسمنت المسلح من كل جانب، أكدت انفصال هتلر النهائي عن المأساة التي كانت تحدث في ذلك الوقت في الخارج . ولم تعد له أية علاقة بما كان يحدث هناك . وعندما تحدث عن النهاية، كان يعني نهايته هو وليس نهاية الأمة . . .

ولم يتم الاحتفال بآخر عيد ميلاد لهتلر، بصورة فعلية . ففي السابق، كان هتلر يقوم في مثل هذه المناسبة باستعراض حرس الشرف، وكان كبار الشخصيات الألمانية، وكبار ممثلي الدول الأجنبية يقومون بتقديم تهانيم لهم في احتفال رسمي ، أما الآن، فقد كان كل شيء هادئاً . إلا أن هتلر، انتقل من حجرته المحصنة إلى الحجرات العليا التي كانت بها عليه من إهمال وقذارة، صورة واقعية لحالته المؤسفة . وتم إجراء . استعراض لوفد من شباب هتلر أمامه في الحديقة . وألقى أمامهم خطاباً قصيراً . وكان صوته منخفضاً، وتوقف عن الحديث فجأة، كما لو كان قد أحس أنه أصبح الآن محل شفقة الجميع .

وقد حرص معظم أعوانه وثيقي الصلة به، على عدم حضور الاحتفال لتفادي ما قد يحدثه من إرباك لهم، وتوجه جميعهم إلى حجرة العمليات الحربية كالعادة . لم يكن أي واحد منهم يعرف ماذا يقول؟ وتلقى هتلر التمنيات الطيبة من مهنتيه ببرود، مراعاة منه للظروف السيئة .

## ■ هتلر في حياته الشخصية

كان هتلر يعتمد في إيقاظه من النوم على خادمه الخاص ، الذي كان ينقر على الباب في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً ويقول بصوته الجهوري : « اسعدت صباحاً يا فوهرري ، لم يبق بيننا وبين الظهر سوى ساعة واحدة» . وكان يضطر أحياناً لاعادة الكرة مرتين أو ثلاثاً ، لأن الزعيم كان يتناول في آخر أيامه ، منوماً شديداً الأثر فلا يستيقظ بسهولة . . . وكان يكره أن يراه أحد في لباس النوم أو عارياً .

وقد اعتاد هتلر تناول كوب لبن فور ارتداء ملابسه ، فلما أخذت صحته تتدهور ، أعد له طبيبه الخاص غذاءً خاصاً مركباً من ألوان غنية بالفيتامينات . وكثيراً ما كان يصرف الشؤون المستعجلة وهو يتناول طعامه .

كان يحرص على أن يكون الطعام مؤلفاً من لون واحد . وكانت الفاصوليا أشهى الألوان وأحبها إليه ، وبعد أن انتابته تلك الآلام الشديدة في المعدة والأمعاء صارت البطاطا الطعام المفضل . ولم يكن ثمة فرق بين طعامه هو وطعام الضيوف ، إلا إذا كان الطعام من النوع الذي يجب أن تحالطه اللحوم ، فيعد له هو خلواً منها . حاول إقناع المحيطين به بالاقلاع عن عادة التدخين . . . وقد هدد ايفا براون أنه سيهجرها إذا استمرت في التدخين . . .

كان هتلر كتوماً ، يخفي نياته عن أقرب المقربين إليه ، ولا يكشف لمعاونيه الكبار عن خططه وأهدافه إلا في اللحظة الأخيرة .

اشتهر هتلر بالعطف على الحيوانات الأليفة ، ولا سيما الكلاب والحياد وقد طرد في بحر غام واحد ثمانية خدم خصوصيين على التوالي لأنهم أساءوا معاملة كلبه «بلوندا» .

كانت رائحة العطور - لاسيما عطور النساء - تسبب له الدوار . لذلك فإن النساء اللواتي كن يحضرن الحفلات والسهرات التي يحضرها هتلر كن لا يستعملن العطور تنفيذاً لتعليماته . . .

كان من عادة هتلر تناول الشاي - مشروبه المفضل - مع مرافقيه وموظفي قصر المستشارية المقربين ، إذ اضطر لاستبقائهم إلى الثالثة صباحاً ، فيحدثهم عن ذكريات طفولته وحدثاته . . . وكيف إن أباه فاجأه بضرب بقسوة كلباً أسود اللون ،

فأدبه والده على طريقة فلاحى النمسا، بأن ألهب ظهره بالسوط . . .  
كان يرسم أحياناً لوحات صغيرة . . ورسومات كاريكاتورية لمعاونه  
وأصدقائه، ويعلقها على جدران منزله الريفى .

### ■ ■ انتحار جوزيف غوبلز

الحديث عن هتلر يقودنا عفواً للحديث عن الدكتور غوبلز، وزير الدعاية  
فى حكومة هتلر، وقد انتهت حياته بانتحاره هو وزوجته وأولاده الصغار الستة،  
حيث قرر غوبلز تسميم الجميع . . بعد أن عرف أن هزيمة هتلر أصبحت وشيكة  
الوقوع . . والمسألة لا تتعدى ساعات قليلة، وبعدها ينهار كل شيء . . وتتلاشى  
الأحلام الشريرة فى السيطرة على العالم . .

اعتقد غوبلز أن حياته مستحيلة دون وجود هتلر الذى اعتبره مثله الأعلى . .  
فأقدم على الانتحار وكانت حماقة كبرى أن يقتل أطفاله الصغار الأبرياء الذين لا  
حول لهم ولا قوة . . . ولا ذنب لهم . . .

كان الدكتور غوبلز أذكى رجالات الرايخ الثالث وأوسعهم حيلة وأشدّهم  
إخلاصاً لهتلر، بدليل أنه انتحر قبل سيده بأيام . . وقد تلقى هتلر الخبر بابتسامة  
شاحبة . . .

بقى أن نذكر فى هذه العجالة . . أن غوبلز كان قاسياً فى معاملته لأتباعه .  
وأن الشعب الألمانى كان يكرهه بشدة، بسبب قسوته وشروره الأثمة وفضاعته،  
وكثرة جريه وراء النساء . . وكانت مدرسته الاعلامية تقوم على المقولة التالية:  
إكذب . . ثم إكذب . . ثم إكذب . . فتتحول الكذبة إلى حقيقة . ويقول أيضاً:  
حين أشاهد مثقفاً فإننى اتحسس مسدسي!

لقد توهم غوبلز ان الحياة توشك أن تنتهى . . وأن كل شيء تافه . .  
حينذاك خاف على زوجته وأطفاله من شرور الدنيا . . وتساءل كيف سيتركهم  
فريسة للهموم فإذا به ينتحر وأسرته .



هتلر في إحدى جولاته وسط الجنود الألمان أيام انتصاراته

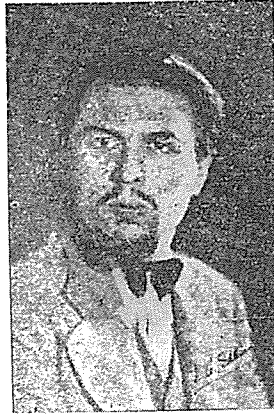


ايضا براون إلى اليمين مع اختها جريتيل

#### المصادر:

- الخالدون مائة، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، الزهراء للاعلام العربي- القاهرة، ص ١٤٧.
- هتلر في مبادئه، البرت زولر، ترجمه بتصرف لويس الحاج، دار بيروت، ص ٢١ و ٢٥.
- مجلة الفصول، العدد ١٤، تموز (يوليو) ١٩٤٥.
- الهلال، نيسان (أبريل) ١٩٧٧.

# اسماعيل أدهم



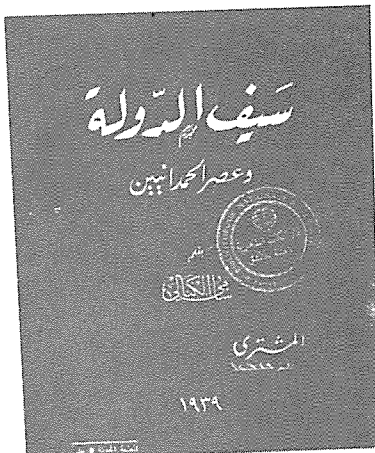
## مقدمة

بسم

الدكتور اسماعيل احمد ادهم  
مدر استاذية الفنون الأوروبية

\*\*\*\*\*

في نفس الناس اليوم صورة جديدة عن التاريخ « وهي صورة على الرغم من أنها من النصوص والأرقام ، فأما مسألة الفلاحة على التطور الذي حدث في نخوس الناس على ما يبدو ، بلشتون إلى اختيار التاريخ مجرد أرواية إنساني وتدوين حركاته كما كان يعمل القدماء من مؤرخي الغرب ، وكما هو الحال في الأثر الذي تحتل التاريخ قصة والتي أثبت أنها من مؤرخي العمود الفرنسي من كتاب الإسلام. على أن هذه الصورة الجديدة ، تبدو بأمل من جهة ، لتشير مفهوم التاريخ في الغرب ، من حيثها من جهة أخرى أسباب في الشرق الأدنى ، بلشياً تأخذ من هذا التاريخ بلفظ . وأم هذه الأسباب : الحصول للحادث في الشرق الأدنى ، ونقطة الحصول بلفظ العالم التاريخي بعمرية بعد فترة قرون ذهب ينشأ فيها نوساً . وكانت تحرك شعبة غامض «مشاراة التي خرج بها من دأب والتي تبحرت مع الزمن في صورة جديدة مع الحضارة الأوروبية التي كانت تفرق الشرق بخواه . ومن هنا كانت التيارات الثابتة التي انضمت لمجتمعات الشرق الأدنى . والتي كانت تسبح بألواناً بيضاء نقية غامضة ، ومكشاً كانت هذه العصر في تاريخ الشرق الأدنى قرة من الزمن تسبح فيعريفات أن تطور . زلزاله وان الانكسار ان تدور وقد أخذ الصدا الذي رآكم على أمل الشرق يتجلى تحت تأثير مدينة الغرب الجارية .



الزمان :

الساعة السابعة من مساء يوم الثلاثاء ٢٣ تموز (يوليو) عام ١٩٤٠ .

المكان :

شاطئ البحر الأبيض المتوسط في الاسكندرية .

الحدث :

أحد المواطنين . . يسير بجوار الشاطئ ويبيده كمية من «الشيكولاته» يأكل منها بشهية واضحة، وكلما قابله طفل أعطاه قطعة، وربما داعب شعر الطفل بحنان أبوي . . كانت على شفتيه مشروع ابتسامة غامضة . . ولكن إذا تأمل الانسان هذه الابتسامة الباهتة التي تزين وجهه الوديع الشاحب لوجدها تخفي شعوراً عميقاً بالعذاب النفسي والقلق الوجودي، ورغبة للانفجار بالبكاء حتى حد الاعياء .

المفاجأة :

وفوجيء الناس - الذين كانوا يتنزهون - بالرجل الذي كان يمنح الأطفال «الشيكولاته» والابتسامات، يلقي بنفسه في البحر دون سابق إنذار . . فيبتلعه البحر وتدميه مخابل الأمواج . . ويحاول بعض المتطوعين انقاذه . . فتخفق محاولاتهم الشجاعة . . وينجح رجال الشرطة والاطفاء بعد ساعات بالعثور على جثته الباردة وقد زاد وزنها . . ويعثر البوليس في ملابسه على رسالة شخصية منه إلى رئيس النيابة، يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها .

بطل القصة :

وفي صباح اليوم التالي . . نعت صحف القاهرة وفاة العالم الشاب «اسماعيل أدهم» عضو أكاديمية العلوم الروسية . . وتهتز الأوساط الثقافية العربية لهذا النبأ المحزن، ويكتب الأديب السوري «سامي الكيالي» كلمة رثاء في مجلة (الحديث) يقول فيها :

« . . شاب في حدود الثلاثين، مغولي الوجه والسحنة، أقرب إلى القصر منه إلى الطول، وإلى الهزال منه إلى البدانة، تقرأ في وجهه سياء العلماء الذين أنهكهم الدرس وأضناهم التفكير، سريع الحديث، قوي الحجة، ولوع بالجدل والمناظرة، يكتب في اليوم أكثر من مائتي صفحة في مختلف الموضوعات . . لقد عمل الدكتور

أدهم في حقبة قصيرة ما يعملها العلماء الأفاضل في سنوات طويلة . . . وكأنه عمل جهود أربعين سنة في أربع سنوات . . . .  
مولده ونشأته :

ولد اسماعيل أدهم - كما تقول الرواية الرسمية - في ١٧ شباط (فبراير) عام ١٩١١ بمدينة الاسكندرية من أب تركي وأم ألمانية فولده أحمد بك أدهم ، كان من أمراء اللواء في الجيش التركي سابقاً ، ووالدته السيدة ايلين كريمة البروفسور الشهير عضو أكاديمية العلوم الروسية ، واسمه فانتهوف .  
وقد تلقى الطفل أدهم اسماعيل دراسته الابتدائية في مصر ، والثانوية بين مصر وتركيا ، والعالية في روسيا ، حيث درس الرياضيات في جامعة موسكو ونال الدكتوراه منها . ثم عاد إلى مصر عام ١٩٣٥ ، وراح يكتب مقالات أدبية . . ودراسات نقدية . . في صحف محلية ومجلات عربية .

السؤال الذي يطرح نفسه الآن : كيف استطاع اسماعيل أدهم أن يحصل على الدكتوراه من جامعة موسكو في العلوم والفيزياء والرياضيات وهو في الثانية والعشرين من عمره؟ ثم الدكتوراه الفخرية في الأدب وهو في الخامسة والعشرين من عمره!! علاوة عن ذلك كيف عين استاذ الرياضيات العالية بجامعة ليننغراد؟! وانتخب عضواً لأكاديمية العلوم للجمهوريات السوفياتية؟! وكيف استطاع أن يجيد اللغات : العربية ، والتركية ، والفارسية ، والألمانية ، والانكليزية ، والايطالية ، وكيف تم له هذا كله قبل عودته إلى الاسكندرية عام ١٩٣٥ ، حيث أقام هناك حتى انتحاره الغامض ، بل كيف هجر ذلك الماضي العلمي العريق ، ليحترف الكتابة في الأدب والنقد والفلسفة ، وليشارك في خصومات نقدية ساخنة وجريئة مع أدباء عصره - على حد تعبير الدكتور علي شلش - .

وفي هذا الشأن يذكر العديد من الأدباء الذين عاصروا اسماعيل أدهم . أنه كان فقيراً ولم يسبق له زيارة الاتحاد السوفيتي ، أو أية دولة أجنبية ، وهو لا يعرف من اللغات سوى : العربية والتركية والانكليزية بصورة محدودة ، وان استعمل في مقالاته بعض الاصطلاحات النقدية الأجنبية ، بهدف إيهام القراء وتضليلهم . . . وإنما انتحل هذه الصفة العلمية الرفيعة ، ليحظى باهتمام القراء والوسط الثقافي ،

وليسهل عملية نشر مقالاته في الصحف والمجلات المصرية والعربية . . .  
ويبدو أنه نجح في تمثيل دوره، بدليل أن أصحاب المجلات والصحف كانوا  
ينشرون ما يجود به قلمه باهتمام . . . ومن أين للناس أن يعرفوا الحقيقة ومصر لم  
تكن على علاقة دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي حتى عام ١٩٤٥، أي بعد انتحار  
أدهم اسماعيل بخمس سنوات، على حد تعبير الناقد رجاء النقاش. وفي المقابل  
يؤكد بعض من كتب ترجمة حياة اسماعيل أدهم أن والدته ألمانية، وأن والدها عالم  
مشهور.

#### من مؤلفاته المطبوعة :

- من مصادر التاريخ الاسلامي .
- الزهاوي الشاعر .
- طه حسين، دراسة وتحليل .
- لماذا أنا ملحد؟
- علم الأنساب العربية .
- نظرية النسبية الخصوصية .
- حرية الفكر .

#### ومن مؤلفاته المخطوطة :

- سفر الفيل وميلاد الرسول العربي ﷺ .
- مبادئ الطبيعيات النظرية الحديثة .
- أربع سنوات في الفردوس الأرضي .

#### لماذا انتحَرَ الدكتور اسماعيل أدهم؟

هناك تفسيرات شتى . . وآراء عديدة . فمنهم من ردَّ ذلك إلى القلق  
النفسي، ومنهم من رده إلى مرضه بالسل الرئوي، كما رده البعض إلى ضيق ذات  
يده، وعجزه بالحصول على مأوى يحميه . .  
وآخرون إلى تضيق السلطة العسكرية البريطانية عليه، بسبب اتصاله  
بإذاعة (باري) الايطالية، أو ربما أيقن أن مهمته الفكرية قد انتهت، وأنه أدى  
واجبه العلمي كمفكر، فاستسلم إلى صخب الأمواج . . .

### شهادة الأستاذ أحمد حسن الزيات :

وقد شهد الأدب الحديث مصرع أديبين كبيرين كان لهما دور عظيم في النهضة الفكرية في البلاد، بيد أنهما ذهبا ضحية من ضحايا الانتحار، وأعني بهما الأديب الدكتور اسماعيل أدهم الذي انتحر وهو في أوج الشباب، إذ لم تبلغ سنه الخامسة والثلاثين عند انتحاره، وشغلت مأساته الأوساط الأدبية فترة طويلة تقرب من عشرين عاماً، وأهم ما كان يميزه أنه درس الفلسفة والأدب الأجنبي ولاسيما الأدب الروسي، وتمكن منه كل التمكن، وكان صاحب تفكير فلسفي رفيع وأسلوب تحليلي جميل ونشر عدة مقالات في مجلة (الرسالة) التي كنت أصدرها، كما كتب بحثاً عن الشاعر خليل مطران ونشره في مجلة (المقتطف) ثم جمعه في كتاب مستقل، أما سبب انتحاره فيرجع إلى اتهامه بالاحاد، وكان له أخ من أبيه صوفي النزعة، وكان هذا الرجل يطمع في الخلاص منه، فألب عليه الحكومات، ودس له عند أصحاب الرأي في البلاد، فشدوا الخناق عليه، وعندما اشتعل أوار الحرب العالمية الثانية، لم يجد اسماعيل أدهم ما يسد به رمقه، وكان يعيش وقتئذ في بيت حقير متهدم، ولفظ أبوه وأمه أنفاسهما في هذه الآونة، فازدادت الدنيا ضيقاً في وجهه، فعول على التخلص من حياته، وقذف بنفسه إلى البحر في الاسكندرية وانتهت حياة أديب باحث وفنان.

### ■ ■ انتحار فخري أبو السعود

ويتابع الأديب الصحفي المعروف أحمد حسن الزيات حديثه قائلاً:  
كما شهد الأدب الحديث مصرع أديب آخر هو الأستاذ فخري أبو السعود وكان في طليعة أدباء الشباب منذ نصف قرن. كان واسع الاطلاع، متمكناً من الأدب العربي والأدب الانكليزي، ونظم قصائد شتى من وحي الطبيعة في انكلترا، وكان متزوجاً من سيدة انكليزية، وسافر معها إلى انكلترا ثم عاد بها إلى القاهرة، ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية أرسل زوجته وولديه إلى أمريكا حتى يجنبهم نيران القنابل، فأصببت السفينة التي تقلهم بطوربيد، فأغرقت لتوها، ولما بلغ فخري أبو السعود هذا النبأ طارت نفسه شعاعاً من أجل زوجته وولديه وضاعت الدنيا في وجهه وأقدم على الانتحار.

أخيراً..

وعلى الرغم من غموض شخصية أدهم اسماعيل، وملابسات انتحاره الشاذ، وكثرة الاتهامات التي وجهت إليه، فإنه ترك خلفه مؤلفات قيمة، ودراسات هامة، ترشحه لأن يكون أحد رواد النقد العربي الحديث. ولعلّ مقدمته الرصينة التي تصدرت كتاب (سيف الدولة وعصر الحمدانيين) لمؤلفه الأستاذ سامي الكيالي، والصادر في مدينة حلب السورية، تؤكد صحة ما ذهبنا إليه.

---

#### المصادر:

- التماثيل المكسورة، رجاء النقاش، سلسلة اقرأ العدد ٢٤٤.
- الراحلون، سامي الكيالي، دار الفكر العربي - القاهرة، ص ٧٦.
- مجلة الهلال، ج ٦، المجلد ٦٩، حزيران (يونيو) ١٩٦١.
- سيف الدولة وعصر الحمدانيين، سامي الكيالي، المطبعة الجديدة - حلب.
- مجلة دنيا العرب العدد ٤٥، حزيران (يونيو) ١٩٨٨، بقلم هاني الخير.

## بول كراوس



ولد عام ١٩٠٤ في مدينة براغ «عاصمة تشيكوسلوفاكيا حالياً وكانت هذه جزءاً من الامبراطورية النمساوية حتى ١٩١٩» من أسرة يهودية .  
وفي عام ١٩٢٢ سافر إلى فلسطين، فأمضى مدة في مستوطنة اسرائيلية «كبتز»، وبعدها دخل مدرسة الدراسات الشرقية التابعة للجامعة العبرية في القدس . وفي تلك المرحلة أتقن اللغة العربية .

وفي عام ١٩٢٧ دخل جامعة برلين، وحصل على الدكتوراه الأولى برسالة عنوانها: «رسائل بابلية قديمة موجودة في قسم الشرق الأدنى في متحف الدولة البروسية في برلين» . . . واختاره أستاذه «يوليوس روسكا» مساعداً له في معهد البحث في تاريخ العلوم في برلين ١٩٢٩، فأكب «بول كراوس» على دراسة الكيمياء عند العرب، وركز بحثه على رسائل جابر بن حيان في الكيمياء، وانتهى في بحث نشره عام ١٩٣٠ بعنوان: «تحطم أسطورة جابر بن حيان» إلى القول بأن الرسائل المنسوبة إلى جابر بن حيان هي في الواقع من تأليف جماعة من الاسماعيليه .

ولما جاءت النازية إلى الحكم في ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣، قرر «كراوس» مغادرة ألمانيا تحسباً للخطر الذي ينتظره من البقاء في ألمانيا . فسافر إلى باريس، حيث عاونه «لوي ماسينيون» . وقد تعاونوا معاً على نشر كتاب (أخبار الحلاج) . . .  
وفي عام ١٩٣٦ عينته كلية الآداب في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة)

مدرساً للغات السامية. وكان «ماسينيون» هو الذي زكى ترشيحه للتدريس في كلية الآداب. . . وكانت الثمرة الكبرى لعنايته بجابر بن حيان هي كتابة العظيم وعنوانه: «جابر بن حيان اسهام في تاريخ الأفكار العلمية في الاسلام» (بالفرنسية)، وفيه استطرادات حول تاريخ العلوم والكيمياء بخاصة في الاسلام، ويقع في حوالي الـ (٥٠٠) صفحة. . . أما الجزء الأول من الكتاب نفسه فيقع في (٣٠٠) صفحة، وهو سرد الكتب أو الرسائل المنسوبة إلى جابر بن حيان، وما يوجد لها من مخطوطات، وهذا الكتاب يعد أعظم بحث كتب حتى الآن في ميدان تاريخ العلوم عند العرب، ومن أجل ما ألفه المستشرقون بعامة من كتب عظيمة الأهمية.

وكانت زوجته - وهي اخت الباحث المتخصص في تاريخ السياسة عند فلاسفة العصر الوسيط ليوا شتراوس - قد توفيت في صيف ١٩٤٣ إثر حمى نفاس، وتركت وراءها بنتاً. وكانت زوجته الثانية. أما الأولى فقد تزوجت من بعده مستشرقاً آخر هو «سلمون بينس». وها هو ذا يتزوج للمرة الثالثة أثناء - أو بعيد رحلته إلى القدس في عام ١٩٤٤ - لكنها لم تصحبه إلى مصر إلا في نهاية عام ١٩٤٤ على اثر انتحاره لتأخذ حقها في ميراثه! وبعد نهاية العام الدراسي في حزيران (يونيو) ١٩٤٤ سافر كراوس إلى القدس ليمضي عطلة الصيف. لكنه لما عاد في الأسبوع الأول من أيلول (سبتمبر) لاستئناف العام الدراسي الجديد وجدته - والكلام للدكتور عبد الرحمن بدوي - في حالة اضطراب نفسي غريب، وقد استولت عليه ألوان من الوسواس، وبدت عليه مظاهر العصبية الشديدة في أقواله وبسمات وجهه وحركاته. ولم أستطع أن أتبين منه ما السبب في هذه الحالة النفسية التي لم نعرفها فيه على الأقل بهذه الحدة من قبل. واتعدت وإياه موعداً للقاء في كلية الآداب الساعة العاشرة من صباح يوم الخميس ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤، ولطاريء طراً تأخرت عليه. فقلت في نفسي: سأمر عليه في اليوم التالي بمنزله في شارع أحمد حشمت باشا بالزمالك.

وإذا بي في مساء يوم الخميس - والكلام مايزال للدكتور بدوي - أقرأ في صحيفة المساء (جريدة البلاغ) نبأ انتحاره. وذهبت إلى جريدة (الأهرام) في المساء لأعرف انباء عن انتحاره وأسبابه إن أمكن، فلم أجد لديهم من المعلومات إلا ما

سجله قسم شرطة الزمالك وهو أنه وجد منتحراً في بيته، في رقم ٧ شارع حشمت باشا، وهو مشنوق بحزام بيجامته ومعلق من عمود سيفون المرحاض. والذي وجده على هذه الحال هما شخصان كانا يسكنان معه في الشقة أحدهما هو سيسيل حوراني، وكانا يعملان ضابطين في الجيش البريطاني، وقد سكنا معه في شقته ليستفيد من الأجر الذي كانا يدفعانه مقابل السكنى، وذلك بعد وفاة زوجته وصيرورته وحيداً فيها، خصوصاً وقد كان يشكو من الشكوى من ضالة المرتب (٣٨) جنيهاً مصرياً في الشهر) وازدياد تكاليف المعيشة، وكان يستدين من بعض أصدقائه حتى ترك ديوناً جاوزت الألف جنيه.

ما السبب في انتحاره؟! خصوصاً وقد تزوج منذ أشهر قليلة. وكان أحرص ما يكون على انتاجه العلمي يجد فيه خير عزاء. وكان له أصدقاء ممتازون في القاهرة منهم «ماكس مايرهوف». وكان يحظى بتقدير عظيم في أوساط المستشرقين والباحثين في تاريخ العلوم. وكان قد جمع مواد تكفي لخراج أبحاث جديدة كثيرة. وكان يعيش في مصر عيشة جيدة المستوى في أرقى حي في القاهرة. فهاذا يدعو إذن إلى الانتحار؟ وماذا حدث له في أثناء سفرته الأخيرة إلى القدس ابان عطلة صيف ١٩٤٤؟

الخيطة الوحيد الذي وجدته لتفسير هذا اللغز المحير هو ما يلي:

في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٤، قتل اراهابيون اسرائيليون اللورد (موين)<sup>(١)</sup>، الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط. وقبضت الشرطة المصرية على القتلة، وحوكموا وحكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم. وقد وجدت الشرطة المصرية معهم عنوان سكن «باول كراوس». وهؤلاء القتلة ينتمون إلى عصابة شتيرن الارهابية الصهيونية.

فلماذا وجد عنوان مسكن «كراوس» مع هؤلاء القتلة المكلفين بقتل الوزير البريطاني المقيم؟ ربما يكون «كراوس» كان ينتمي إلى عصابة شتيرن الارهابية، وأنه حين كان في القدس، خلال العطلة الصيفية لعام ١٩٤٤، وقعت عليه القرعة ليشترك في قتل اللورد «موين»، الذي خيل إلى عصابة شتيرن أنه عقبة في سبيل

(١) انظر كتابنا أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج ١.

النشاط الصهيوني لايجاد دولة اسرائيل، بدعوى أنه يهالىء العرب، أو في القليل يحارب الارهاب الصهيوني ضد الانكليز في فلسطين التي كانت آنذاك تحت الانتداب البريطاني. وتبعاً لذلك كان على «كراوس» أن يختار بين الاشتراك في عملية الاغتيال، أو أن ينتحر، وهو على كلا الحالين مقتول. فيبدو أنه أثر الاختيار الثاني، أعني أن يقتل نفسه بنفسه، بدلاً من ان يشترك في قتل اللورد «موين» مما سينجم عنه قطعاً إعدامه هو أيضاً، كما حدث لمن نفذوا عملية الاغتيال.

إذن فبحسب هذه النظرية، أو الافتراض، فإن السبب في انتحار «كراوس» هو أنه فضل أن يقتل نفسه بنفسه، على أن يشترك في اغتيال اللورد «موين» مما سينتج عنه بالضرورة إعدامه. ولم يكن في وسع «كراوس» الخروج من هذه المعضلة بالامتناع من الاشتراك في قتل اللورد «موين»، لأن جماعة شتيرن كانت ستقتله لو لم ينفذ ما وقعت القرعة عليه لتنفيذه، فهذا قانون حديدي من «قوانين» الجماعات الارهابية.

على كل حال، فقد انتحر «كراوس» في يوم الخميس ١٤ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٤ في شقته التي يسكنها في العمارة رقم ٧ بشارع حشمت باشا في حيّ الزمالك بالقاهرة.

---

#### المصدر:

- موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين - بيروت، ص ٣٢٥ - ٣٣٠.

## تشيزاره بافيزة



في السابع والعشرين من شهر آب (أغسطس) عام ١٩٥٠. وفي فندق بمدينة تورين، إحدى المدن المشهورة في شمال إيطاليا، أقدم الشاعر والكاتب الإيطالي تشيزاره بافيزة على إزهاق حياته بيديه، بعد أن كانت شهرته قد ذاعت، واسمه قد لمع.

وبافيزة واحد من أربعة كتّاب هم من أشهر أدباء إيطاليا في تاريخها المعاصر: البرتو مورافيا بواقعيته، وبروده المتناهي في معالجة أزمة الإنسان المعاصر، وايناتسيو سيلونه بانسانيته وحده على المتألمين، والأمير لمبدوزا بتوقه لأيام رخاء الأرستقراطية الإيطالية، ورثائه لذاك المجد الغابر، وتشيزاره بافيزة بحساسيته المفرطة، وتصويره لقلق الإنسان المعاصر وتأرجحه بين الأيديولوجيات.

ومما يكسب قصصه قوة، موقفه الموضوعي من القضايا التي يتناولها: فهو لا يجعل من نفسه داعية لمذهب معين، ولا يتبنى قيماً خلقية ينصب نفسه مبشراً بها. ومن أجل هذا أثارت قصصه جدلاً كبيراً، ووجه لها نقد كبير حتى من الفرقاء المتخاصمين، وعلى سبيل المثال فإن قصة (الشیطان في التلال)، وهي قصة شاب مترف لاه أقدم على الانتحار لأنه لم يجد للحياة معنى، أغضبت البرجوازيين والاشتراكيين على السواء: فالبرجوازيون لم يرضوا عن تصويره لمفاسد الثراء

الفاحش، وما يمكن أن يفعله في نفوس الشباب الأبرياء، والاشتراكيون نقموا عليه لأنه رفض أن يدين هذا الشاب بطل القصة، الذي بلغ به السأم من حياته وراثته أن يجسد الحيوانات لأنها تستطيع أن تحيا وحيدة دون حاجة إلى رفيق. وهذا الموقف يذل على أنه يؤمن أن لا شيء في الوجود خير كله أو شر كله.

وبافيزه في قصصه يمزج الواقع بالرمز. والشخصية الرئيسية فيها تمثل إنساناً يعود إلى موطنه بعد تطواف، ينشد الراحة والطمأنينة والاستقرار، ليجد في النهاية أنها لا وجود لها في أي مكان في العالم.

وبافيزه بارع في تصوير شخصيات الفلاحين، وخاصة أولئك الذين هجروا مزارعهم ليعيشوا في المدينة، وكذلك شخصيات العمال البسطاء لأعمال المصانع الكبيرة، وهذه الشخصيات هي التي تعمر قصصه. وخيرة أبطال قصصه هم أولئك الذين يستطيعون أن ينتصروا على العوامل التي تدفعهم إلى تدمير أنفسهم. ونحن نلاحظ أن تصرفات هؤلاء الأبطال ذات طابع إنساني، لا أثر للسياسة أو الحزبية فيها.

وبافيزه مولع بأن يعرض الشخصيات الضعيفة لظروف تؤدي بها إلى الفساد ثم الانتحار، بحيث تنتهي أخيراً نهايات مفجعة. . .

ولد بافيزه سنة ١٩٠٨ في بلدة سانتو ستيفانو على نهر بلبو، بمقاطعة بدمونت، في شمالي إيطاليا. ولم يكد يبلغ الطفل تشيزاره السادسة من عمره، حتى نكبت العائلة ب وفاة الأب، وهكذا كتب لهذا الطفل أن ينشأ في بيت يسوده الحزن والوجوم، ويعاني من البؤس والحرمان. وزاد في بؤس طفولته، أنه كان وحيد أمه، وكان يعاني من ضعف في البصر، وضيق في التنفس. . .

وكانت تورين هي المدينة التي استقر فيها بافيزه، بعد انتهاء دراسته الثانوية في بلده، حيث التحق بجامعة. وبعد تخرجه عمل في التدريس، ثم في دار نشر. . .

وقد لازم الشعور بالوحدة بافيزه إلى آخر أيامه، فكان يذرع شوارع تورين، شارد اللب بمعطفه المتهدل على ساقيه النحيلتين، ورأسه الغائص في قبعته، حتى إذا وصل إلى مقهاه المفضل. . . انتحى زاوية وأقبل يملأ الصفحات بخطه الكبير، مدوناً خواطره وفصول قصصه، وقصائده.

وعاش بافيزه في تورين ، وهو والحزن صديقان . وشاء سوء حظه أن يقضي حياته دون أن تملأها عليه امرأة تغرقه بحنانها ، فعلاقاته بمن عرف من النساء كانت تنتهي دوماً نهايات مفجعة فتزيد من حساسيته وأساه ، إذ كنّ هنّ اللواتي يهجرنه .

وكانت آخر من عرف من النساء ممثلة شابة أمريكية ، وإليها أهدى قصته (القمر والمشاغل) . ويبدو من مذكراته أنه أحبها بكل روحه وأعصابه ، وأنها لم تكن تبادل له الحب بهذا العنف . وقد أجابت صحيفة سألتها عنه وعن أيامها معه ، بعد انتحاره ، فقالت : «لم أكن أعرف أنه كاتب له مثل هذه الشهرة» ، وفي هذه الاجابة من البرود واللامبالاة الكثير . . .

وأعلنت الحرب العالمية الثانية . وفي الوقت الذي كانت الحرب تحصد الناس ، وتدمر ما شيد الانسان ، كان بافيزه يعيش في عزلة لا يشارك في الأحداث عملياً ، منصرفاً إلى تصوير ويلات الحرب ، وتدوين تأملاته الخاصة ، ومنها تأملات في اللغة والأسلوب ، وهي تأملات وثيقة الصلة بمشكلته ككاتب .

وانتهت الحرب العالمية الثانية بآلامها ، ومآسيها ، وخرج بافيزه منها وقد أصبح مشهوراً في إيطاليا . . . وفي هذه الفترة نشر سلسلة من المقالات عن الأدب الايطالي المعاصر ، فأغضب الأدباء لأنه اتهم الكثرة منهم بالتحلل الخلقي والارتزاق ، وركز هجومه على البرتو مورافيا وزوجته الزاموراني . وإذا سرنا في مذكراته حتى نصل إلى كانون الثاني (يناير) عام ١٩٥٠ ، وجدنا أنه يكثر من الشكوك من كل شيء تقريباً ، ويشير صراحة إلى أن الايديولوجية التي آمن بها (الشيوعية) لم تعد قادرة على أن تخفف من قلقه النفسي .

وقبيل وفاته بقليل ، وبعد أن ثبتت شهرته ككاتب مبدع سألته إحدى الصحف عن إحساسه ، وقد أصبح مشهوراً ، فقال : «لقد كنت دوماً واثقاً من هذا» . . . وهكذا نجده في أخريات أيامه يعزف عن الكتابة ، وتفقد الشهرة عنده سحرها ، والمال بريقه . حتى حياته غدت في نظره جافة ، لا معنى لاستمرارها ، لأن كل معنى عبر بخاطره ، وكل فكرة مرت بذهنه ، عبر عنها جميعاً في قصصه . . . وهكذا انتهى به الحال إلى أن يكره عصره ، لأنه لم يعد فيه ما يستهويه . . .

وفي بداية صيف سنة ١٩٥٠ ذهب بافيزه إلى روما ليتسلم جائزة (سترجيا)

وقيمتها مليون لير . . وقد كانت رحلة بافيزه إلى روما لتسلم الجائزة إحدى رحلاته القليلة إلى العاصمة التي كرهها لأن فيها «تعقد الصداقات بسرعة وتنحل بسرعة، وفيها تخضع كل المقاييس لسلطان المال» .

وفي عام ١٩٥٠ ، نجده يكثر في مذكراته من طرق موضوع الانتحار، وهو موضوع شغل فكره منذ زمن بعيد . . . وآخر عبارة كتبها في مذكراته ، كانت بتاريخ الثامن عشر من آب (أغسطس) عام ١٩٥٠ ، أي قبل انتحاره بأيام معدودة ، وعلى أثر فشل حبه للفنانة الأمريكية التي أشرنا إليها . وفي هذا اليوم كتب ما يلي :  
«كلما فكرت في الانتحار بدا لي أنه أمر هين . . . حتى النساء الضعيفات يمكن القدرة عليه . . لن أكتب شيئاً بعد اليوم» .

وفي السابع والعشرين من شهر آب (أغسطس) ، أشدّ شهور الصيف حرارة . وفي غرفة في فندق مجهول لا يعرفه فيه أحد ، يطل على محطة القطار الرئيسية . وبينما كان اصداقاه خارج المدينة ، يقضون اجازاتهم في المصائف ، أقدم تشيزاره بافيزه على وضع حد لحياته إيماناً منه بأنه قد أدى رسالته ، ولم يبق عنده من جديد يستطيع أن يقدمه .

وقد رثته الصحف والمجلات ، وأجمع النقاد على أنه كاتب قلّ له نظير في صدق التعبير ، والقدرة على نقل الأجواء ، ورسم الشخصيات ، لا يبدي في كتاباته أي تحيز لمذهب معين . ونحن نقرأ في مذكراته أنه لا تهمة السياسة ولا الساسة . وبعد وفاته صدرت له مذكراته وهي بعنوان (فن العيش) ، وهي تتناول الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٥٠ ، وكتاب (ليلة العيد) ، وديوان شعر كله قصائد حب زاخرة بالعاطفة ، حافلة بالموسيقى وهو بعنوان : (سيأتي الموت ويأخذ عينيك) .

---

#### المصدر:

- متمرّدون أدباء وفنانون ، د. محمود السمرة ، الدار المتحدة للنشر - بيروت .

## هربت نورمان



شاهد المارّة في أحد شوارع القاهرة المحاذية للنيل، ذات صباح من ربيع سنة ١٩٥٧ رجلاً وسيماً مديد القامة وخط الشيب فوديه على حافة السطح من عمارة ذات ثمانية طوابق، وهو يروح ويغدو، وينحني وينهض في حركات عصبية ظاهرة دون أن يبدو عليه اكتراث لخطورة موقفه أو ارتفاع البناية... وسرعان ما تجمع المارّة يتطلعون إليه حائرين لا يعرفون ماذا يصنع، فسادهم الهلع والارتباك، لأن زلة بسيطة ستهوي به دون أن يكون له ثمة سند أو ممسك، وأخذ بعضهم ينادي بأعلى صوته: «حاسب يا خواجه!».

ولم يكن أولئك المارّة المتجمعون ليعرفوا أن «الخواجه» الواقف على حافة السطح تلك الوقفة المخيفة هو سفير كندا في القاهرة «هربت نورمان».

وكان «نورمان» يمثل بلاده في القاهرة منذ ثمانية أشهر حفلت بالعمل المضني، حيث كانت أزمة السويس تجتاز مرحلة من أشد مراحلها توتراً، وكانت حكومته تقوم بدور مهم لايجاد تسوية للأزمة، وقد أرسلت قوات الطوارئ الدولية إلى السويس بناء على اقتراح تقدمت به كندا، وبالإضافة إلى ذلك كان «نورمان» قد اعتمد وزيراً مفوضاً لبلاده في لبنان، كما عهدت إليه رعاية المصالح الاوسترالية، بعد أن قطعت العلاقات الدبلوماسية بين مصر واوستراليا.

وكان «هربت نورمان» من أكثر سفراء كندا كفاية وخبرة، ومن يتمتعون بثقة وزارة الخارجية الكندية وتقديرها، فضلاً عن احترام الدول التي اعتمد لديها.

ولد في اليابان لأبوين كنديين مبشرين، ودرس في جامعة كولومبيا في نيويورك وتخصص في التاريخ الياباني والثقافة اليابانية، وأصبح قبل أن يتجاوز الثلاثين من عمره من خبراء العالم المرموقين في الدراسات اليابانية. وفي سنة ١٩٣٩ عين في وزارة الخارجية الكندية، ثم نقل في السنة التالية إلى سفارة بلاده في طوكيو، قبل دخول اليابان الحرب العالمية إلى جانب دول المحور، ولا شك أن طوكيو كانت أفضل مكان يمكن الاستفادة من خبرته فيه، لمعرفة لغة البلاد، وتخصصه في تاريخها وثقافتها.

ولما ضربت اليابان الولايات المتحدة ضربتها المفاجئة في «بيرل هاربر» اعتقلت السلطات اليابانية «نورمان» فيمن اعتقلت من رعايا الحلفاء، ولكنها سلمته إلى بلاده في السنة التالية. حيث قضى سني الحرب في إحدى دوائر وزارة الخارجية في أوتاوا. ولم تحل سنة ١٩٥١ إلا وكان «هربرت نورمان» قد تدرّج في السلك الدبلوماسي حتى أصبح نائباً للممثل الدائم في الأمم المتحدة بدرجة سفير. وفي هذه الفترة كانت الولايات المتحدة تحتاز عهداً من الارهاب والبلبله أثارتها حملات السناتور «مكارثي» المحمومة، واطلاقه تهم الشيوعية والتآمر، والجاسوسية وعدم الولاء يميناً وشمالاً، على موظفي وزارة الخارجية الأمريكية، وعلى كبار المسؤولين في الحكومة، وعلى رجال الأعمال والصحفيين مستنداً إلى أوهى الأدلة وأبسط الشكوك وأسحف القرائن، مما اضطر لجنة الأمن الداخلي في مجلس الشيوخ الأمريكي إلى فتح تحقيقات واسعة عرفت بـ «تحقيقات مكارثي»، وأصبحت المكارثية رمزاً للارهاب الذي عاشت فيه الولايات المتحدة سنوات عديدة، وكان ورود اسم أي مواطن في أحد التحقيقات، ولو بطريقة عارضة، ومهما كان مركزه ومنصبه، سبباً كافياً لجلبه إلى التحقيق والتشهير به وربما عزله من عمله. وقد امتدت اتهامات «مكارثي» وتحقيقاته إلى أشخاص من غير رعايا الولايات المتحدة، ممن كانت أسماؤهم ترد في افادات المتهمين أو شهادات الشهود، وخاصة إذا كانوا في مراكز حساسة من أجهزة الدولة المجاورة للولايات المتحدة أو المتحالفة معها.

وفي إحدى جلسات اللجنة الفرعية للأمن الداخلي في مجلس الشيوخ

الأمريكي قفز اسم الدبلوماسي الكندي «هربرت نورمان» حين أفاد أحد الشهود أنه شيوعي قديم.

أما الشاهد فكان شخصاً يدعى «كارل ويتفوجل» وهو من أصل ألماني، وشيوعي سابق باعترافه، مارس تدريس التاريخ الصيني في جامعة كولومبيا زمنًا، وكان في ذلك الوقت يساهم في تحرير مجلة «نيوليدر» وقد أفاد «ويتفوجل» أن «نورمان»، زميله في جامعة «كولومبيا» في سنة ١٩٣٨، كان يتردد معه على جمعية تثقيفية شيوعية في «كيب كود» وأنه يعرفه شيوعياً عريقاً منذ ثمانية عشر عاماً.

وما إن دأبت أنباء هذه التهمة التي وجهت إلى «نورمان» في مجلس الشيوخ الأمريكي حتى اهتمت وزارة الخارجية الكندية للأمر، وأعلنت أن «نورمان» لم يذهب إلى «كيب كود» قط. وصرح وزير الخارجية «لستر بيرسن» في مؤتمر صحفي له أنه بعث إلى واشنطن رسالة يعرب فيها «عن أسفه وانزعاجه لرج اسم نورمان في تحقيقات مجلس الشيوخ على أساس تهمة واهية باطلة صدرت عن شيوعي سابق وأضاف بيرسن أن السلطات الكندية قد أجرت تحقيقين دقيقين فيما أسند إلى المستر نورمان وقد ثبتت بنتيجتهما طهارة ذيله وبرأته مما نسب إليه، وأنه لذلك لا يزال موظفاً يتمتع بثقة وزارة الخارجية واعتزازها».

وبالرغم من أن الأدلة والشهادات التي استندت إليها السلطات الكندية في تحقيقاتها لم تعلن، فإن وزير الخارجية أراد أن يؤكد أقواله في تبرئة ساحه «نورمان» بصورة فعلية، فاختاره لمهمة جديدة، ذان مسؤولية أكبر، وعينه مستشاراً للوفد الكندي المفاوض في معاهدة الصلح مع اليابان. وبعد أن انتهى من مهمته مع الوفد، عين مندوباً سامياً في «نيوزيلنده»، وفي آب (أغسطس) من سنة ١٩٥٦ سُمّي سفيراً لبلاده في مصر.

ولأمر ما، أثّرت في واشنطن التهمة القديمة التي وجهت إلى «نورمان» قبل خمس سنوات مرة أخرى بعد أن حسب أمرها منتهياً، ونسيها الناس أو كادوا. ولعلّ للأوساط الصهيونية في الولايات المتحدة يداً في الأمر، إذ أزعجها موقف «نورمان» المحايد من أزمة السويس، وجهوده في إيجاد حلّ عادل وشريف لها، فسخرت من ينش اضبارته القديمة، وأثارت موضوعه في لجنة الأمن الداخلي لمجلس الشيوخ الأمريكي من جديد، بقصد التشهير به. وقد استدعت اللجنة

القائم بأعمال السفارة الأمريكية في بيروت «جون أمرسن» للمثول أمامها واستفسرت منه عن «نورمان» سفير كندا في القاهرة ووزيرها المفوض في بيروت، وعمّا نسب إليه في سنة ١٩٥١.

وكان «جون أمرسن» على معرفة قديمة بالسفير «نورمان» وقد صادف أن جمعهما العمل في طوكيو، قبل أن يلتقيا مرة أخرى في الشرق الأوسط. فأفاد أمام لجنة مجلس الشيوخ أن معرفته بالسفير الكندي قديمة ووثيقة، وأنه ليس لديه ما يحمله على الظن بأن «نورمان» شيوعي أو كان شيوعياً في أي وقت من الأوقات، وكانت محاضر معظم التحقيقات في لجنة الأمن الداخلي تنشر عقب الانتهاء منها، فلما علم أن اللجنة أجرت تحقيقاً جديداً في موضوع السفير «نورمان» ونشرت إفادة القائم بالأعمال الأمريكي في بيروت أمامها، ثارت موجة من الاستياء في كندا، وأخذت الصحف الكندية تهاجم الولايات المتحدة لتدخلها في شؤونها وكأنها تريد أن تجعل من كندا ولاية من ولاياتها. وأرسل وزير الخارجية «بيرسن» احتجاجاً جديداً إلى واشنطن، كما أكد في مجلس العموم الكندي ثقته التامة في ولاء «نورمان». فتنصلت وزارة الخارجية الأمريكية عن أية مسؤولية في موضوع «نورمان» وأعلنت أن ما أسند إليه لا يمثل رأي الحكومة الأمريكية، وإنما هي تحقيقات ارتأت القيام بها إحدى لجان مجلس الشيوخ، وليس لوزارة الخارجية أن تتدخل في أعمالها.

وأبرق «هربرت نورمان» من القاهرة إلى وزيره يشكره على موقفه منه وتأييده إياه. ولكن الأمر لم يكن سحابة عابرة في هذه المرة، وكان أثره في نفس «نورمان» قد تعاضم كثيراً.

أخذ «نورمان» بعد هذا، يقضي ساعات طويلة في مكتبه وهو يكتب ويكتب... ثم يستدعي خادمه النوبي «محمود داوود» ويطلب إليه أن يحرق أمامه الأوراق التي حبرها، والتي لم يعرف أحد ماذا كتب فيها. كما أنه أخذ يكثّر من الشراب.

وفي إحدى ليالي نيسان ١٩٥٧ عاد «نورمان» إلى الدار بعد أن شاهد مع صديق مصري له فيلماً يابانياً. ودخل مكتبته الواسعة، فأضاء فيها نوراً خافتاً. وكان البيت ساكناً لا حراك فيه. وأدار لنفسه عدة كؤوس من الويسكى دون أن

يمزجه بالماء، بينما كانت زوجته نائمة في غرفتها.

وفي صباح اليوم التالي غادر الدار من غير أن يوقظ زوجته، وكان بادي الارهاق، مستطراً، ساهماً، فسار ببطء نحو عمارة قريية تشرف طوابقها الشمانية على النيل، وبعد لحظات ظهر على حافة سطحها، غير ملتفت إلى المارة الذين أفرعهم منظره هناك، فتجمعوا أمام البناء وجلين، ولعله لم يسمعهم وهم يصرخون:

«حاسب يا خواجه»!!

نزح «نورمان» نظارته وساعته وانحنى فوضعها على حافة الجدار، ونهض مولياً ظهره جهة الشارع، ثم سار إلى الورا خطوات ثلاثاً، ولم يصدّق المتجمهرون أعينهم حين شاهدوه وهو يهوي من أعلى البناء الشامخ، ليستقر على الرصيف جثة هامدة.

احتلّ خبر انتحار السفير الكندي «هربرت نورمان» الصفحات الأولى من صحف العالم، ومما زاد في الضجة التي أثارها، وفي اهتمام العالم به، ارتباط الحادث بتحقيقات «مكارثي» التي ضجّ منها الناس في الولايات المتحدة وخارجها. وأبّنه «بيرسن» في مجلس العموم قائلاً: «إن جميع أعماله كانت تدعم ثقتي فيه، وتقوي إعجابي له. إنه الأثر الذي تركه العمل المرهق، والتوتر الشديد، والشعور بالاضطهاد المتجدد، في عقل حساس، وجسم ليس بالقوي... وكان لا بدّ له أن ينتهي بانهيار عصبي». ولكن «بيرسن» رفض أن يرسل إلى واشنطن احتجاجاً جديداً وقال: «لقد انتهى الأمر، ولا فائدة من إثارة مشكلة دولية»...

وحين نقلت جثة «نورمان» إلى داره، وجدت في جيبه ورقتان صغيرتان، كتب على إحدهما:

«ليس لي خيار. يجب أن أقتل نفسي، لأنني أحيا بغير أمل».

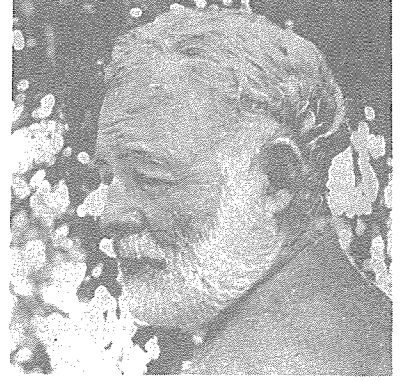
أما الأخرى، فكان يخاطب فيها زوجته:

«إنني أقبل قدميك، وأتوسّل إليك أن تصفحي لما أنا مقدم عليه».

---

المصدر:

— حكايات دبلوماسيّة، نجدة فتحي صفوة، بيروت ١٩٧٠.



## أرنست همنغواي

صدرت كتب عديدة منذ غاب أرنست همنغواي عن عالم الأدب. ولكن القراء ظلوا ينتظرون كتاب مرافقه الخاص أ. هوتشمر مدة طويلة إلى أن خرج الكتاب، فأثار ضجة كبيرة في أوساط العالم الأدبية. وهوتشمر صحفي شاب أقبل على همنغواي يطلب منه حديثاً أدبياً وهو يقول له:

«إذا لم تعطني الحديث، طردوني من الصحيفة». فاستجاب الروائي الأمريكي الكبير للصحفي الذي أصبح صديقاً يلازمه كظله طوال أربعة عشر عاماً، حتى موته.

وقد أصدر هوتشمر (بابا همنغواي) بأسلوب روائي شبيه بأسلوب همنغواي نفسه، وكشف فيه النقاب عن أن الكاتب الأمريكي انتحر انتحاراً، بتاريخ ١ تموز (يوليو) عام ١٩٦١، ولم يقتل خطأ وهو يقلب مسدسه كما زعمت زوجته... وفيما يلي تفاصيل وملاحظات انتحاره:

في يوم الأحد الأول من تموز عام ١٩٦١، صحا همنغواي في الفجر بمنزله بمدينة كيستشوم الأمريكية، ووضع رويه الأحمر. ثم نزل على أطراف أصابعه لثلا تستيقظ زوجته ماري، مستخدماً سلام المنزل الداخلية، وذهب مباشرة إلى المطبخ. وكانت الشمس قد بدأت تشرق، وأشعتها تنفذ عبر نوافذ المنزل. وكان همنغواي قد عرف أن أسلحته قد نقلت إلى الدور الأرضي من المنزل. وأن مفتاح

هذا الدور موضوع على حافة شباك المطبخ . فأخذ المفتاح . . وهبط إلى الدور تحت الأرضي ، وفتح الباب ، ثم انتقى بندقية قصيرة بفوهتين كان قد استخدمهما سنوات طويلة في صيد الحمام . ووضع همنغواي رصاصتين فيها . ثم صعد سلالم الدور الأرضي إلى صالة صغيرة مبطنة بأخشاب «الأوك» وغطيت أرضيتها «باللينوليم» . ووضع همنغواي مؤخر البندقية على الأرض ، ثم انحنى إلى الأمام ، ووضع فوهتيها على جبهته فوق العينين . ثم ضغط على الزناد .

وقد هشمت الرصاصتان الجزء العلوي من جمجمة همنغواي . وتناثر نحه على جدران وأرضية الغرفة . وعندما سارعت زوجته ماري نحو دوي الرصاص كانت جثة همنغواي ملقاة من دون حراك على الأرض . واهتزت الأوساط الأدبية في أنحاء العالم لهذه الفاجعة الأليمة .

وسبب انتحار أرنست همنغواي يعود إلى مرضه الذي أخفق الأطباء في معالجته ، على الرغم من تعريضه لصدمات كهربائية خلال العلاج ، كانت تسبب له المزيد من الألم والأذى النفسي . . فانتحر خوفاً من المرض والشيخوخة التي تكاد تفتقره . . وهو القائل :

«الانسان لم يُخلق للهزيمة . . قد يتحطم الانسان لكنه لا يهزم» .

ولد أرنست ميللر همنغواي عام ١٨٩٩ في «أوك بارك» القرية من شيكاغو بولاية إلينوي الأمريكية . وكان أبوه كلارنز آدموندز همنغواي قد تخرج طبيباً في عام ١٨٩٥ ، وساح في أنحاء أوروبا شهوراً ، ثم عاد ليفتح عيادته ، ويتزوج من والدته أرنست ، غريس . وقد عاش أبواه في منزل والد الزوجة : أرنست هول . وكان منزلاً واسعاً ، احتلت فيه غريس موقع رب الأسرة بعد وفاة والدتها .

وكان كلارنز ، والد أرنست ، ضخماً وقوياً . . يحب المشي والصيد ويحجب أنحاء الغابات والبحيرات المحيطة بشيكاغو ، ويصيد من حيوانها وأسماكها . وقد اشترى الوالد ، بعد شهور من ولادة أرنست كوخاً صغيراً في لونغفيلد عبر بحيرة الوالون القريبة ، يتوسط حوالي أربعين فدانا من المراعي فأصلحه . وكانت الأسرة تقضي فيه شهور الصيف من كل عام .

وقد تعلق أرنست منذ طفولته بوالده . فأحب مصاحبته . وأخذ عنه حبه للمشي والصيد ، ودراساته للطبيعة . وأطلق أرنست ، عندما كبر ، لحيته ، على غرار

ما فعل والده . وكره بعد ذلك والدته . ولامها على علاقاتها السيئة بوالده . وعلى المحن الاقتصادية القاسية التي وقعت فيها الأسرة . وظنها «السبب في قتل والده لنفسه» . وكان قاسياً معها . واستخدم في أحاديثه عنها كلمات غير كريمة . وقد نقل أرنست صوراً كثيرة مما صادفه في طفولته وصباه ، من بينها بعض ما جرى له ولأسرته من أحداث ووقائع . وكثيراً ما رمز لنفسه في هذه القصص باسم : «نيك أدامز» .

وفي عام ١٩١٧ ، قطع أرنست همنغواي دراسته في مدرسة «أوك بارك» الثانوية ، وقرر العمل مخبراً في جريدة كانساس سيتي ستار . ولما كان العمل بالجريدة لا يبدأ حتى تشرين الأول (أكتوبر) من ذلك العام ، فقد ذهب يقضي الشهور السابقة عليه في مرتع صباه بكوخ الأسرة يمشي ويجدف ويصيد . وفي تشرين الأول (أكتوبر) ذهب أرنست للجريدة ، وتسلم عمله من محررها هاري هاسكل . وقد عينه هاسكل مخبراً في صفحة أخبار المدينة لقاء (١٥) دولاراً أسبوعياً . وقد قضى همنغواي في هذا العمل ستة شهور . ثم أخذ الأمل يداعبه - كمغامر- في الانضمام إلى الحرب الدائرة في أوروبا (الحرب العالمية الأولى) . ولكن عينه اليسرى كانت ضعيفة ، ولا تسمح له بالانضمام إلى الجيش النظامي . وكان همنغواي قد تعرف خلال عمله في جريدة ستار على عدد من الأصدقاء ، من بينهم تيودور برومباك الذي فقد عينه اليسرى . . . وكان برومباك قد انضم بالرغم من عينه المصابة للصليب الأحمر الأمريكي . وقد سرد على همنغواي قصصاً كثيرة عما شاهده خلال مهمته القصيرة في أوروبا .

وفي نيسان (أبريل) عام ١٩١٨ ، انضم همنغواي كصديقه برومباك إلى الصليب الأحمر الأمريكي . وتوجه معه في الشهر التالي بالقطار إلى نيويورك ، حيث أجرى الكشف الطبي ، ووضع نظارة جديدة أصر عليها الطبيب . ثم ركباً سفينة فرنسية صغيرة إلى ميناء بوردو الفرنسي . ومن هناك أخذوا القطار إلى باريس .

وكانت التوات الألمانية تضغط في هذا الوقت على الفرنسيين ، وتضرب عاصمتهم بمدافعها بعيدة المدى ، والتي أطلق عليها اسم (بيرتا الكبيرة) فتصيب قذائفها شوارع باريس ذاتها . وقد أثار هذا حماس همنغواي . فأخذ يتنقل مع برومباك في أنحاء المدينة ، لا لمشاهدة آثارها وأهلها ، وإنما لمعاينة أخبار تلك

القذائف . . وهذا الأمر يشير إلى حسه الصحفي اليقظ .

ثم ترك أرنست همنغواي وبرومباك باريس إلى ميلانو بإيطاليا، ومنها إلى فيشنزا إلى الشرق منها . وهناك تسلما عربة الاسعاف المخصصة لهما . ولكن همنغواي لم يجد في مهمته نقل الجرحى الاثارة التي كان يبحث عنها . فطلب الانتقال إلى الخط الأمامي واستجابت القيادة إلى طلبه .

ولكن أرنست لم يستمر في موقعه الجديد سوى بضعة أيام . فقد أصيب في منتصف ليلة ٨ تموز (يوليو) اصابة خطيرة في ساقيه نتيجة سقوط قنبلة نمساوية بالقرب منه ، حيث بلغ عدد الشظايا التي أخرجت من ساقيه وقدميه في النهاية (٢٢٧) شظية .

ولم يكن عمر همنغواي قد جاوز التاسعة عشرة من عمره . وكان أول أمريكي يصاب في إيطاليا . ولهذا أولته الصحف الأمريكية ، وخصوصاً صحف مدينة شيكاغو، اهتماماً كبيراً جداً . وسرعان ما أصبح أرنست بطلاً . فرقي إلى رتبة الملازم الأول ومنح الميدالية الفضية الأمريكية، وصليب الحرب الايطالي .

وحين عاد أرنست إلى أمريكا مرة ثانية، ترك منزل أهله، نتيجة خلافه مع أبويه، وتزوج من اليزابيث هاردي في ربيع عام ١٩٢١، التي تكبره بثمانية أعوام، وكان لها إيراد سنوي من ميراث يتراوح بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ دولاراً . وقد أخذت اليزابيث منذ بداية معرفتها بأرنست ترسل له الهدايا والنقود .

وفي خلال هذا الوقت، كان همنغواي قد ترك العمل بالمجلة التي عمل بها . وكان صديقه شيروود أندرسون قد ألحَّ عليه في باريس . وقال له : إنك تتحدث عن الصيد في إيطاليا، ولعب التنس والملاكمة في شيكاغو، ولكن باريس هي التي ستخلق منك كاتباً . وقرر أرنست هو وزوجته أن يرحلا إلى باريس في منتصف شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٢١ . وكان شيروود أندرسون قد أعطى أرنست ثلاثة عناوين، أوصاه بمقابلة أصحابها : هي عناوين الكاتبة اليهودية جيرترود شتاين، والشاعر المغترب ايزرا باوند، وصاحبة المكتبة الانكليزية في باريس ونصيرة الأدباء والفنانين والمغتربين فيها سيلفيا بيتش .

وكانت جيرترود شتاين (١٨٧٤ - ١٩٤٦) في الثامنة والأربعين عندما قابلها أرنست في باريس ، وكانت شاعرة وروائية وناقدة أمريكية تتلمذت في السيكلوجيا

على وليام جيمس ، ودرست الطب في جامعة جون هوبكنز، وتخصصت في تشريح المخ .

وقد أطلقت شتاين على جيل همنغواي من الكتّاب الذين نشأوا عقب الحرب العالمية الأولى اسم (الجيل الضائع) . واعترف همنغواي بعد ذلك بفضل جيرترود شتاين عليه في اختيار الطرز والأساليب التي انتهت إليها . وقال إن شتاين قد جعلت منه كاتباً بدلاً من صحفياً .

أخذ همنغواي بعد استقراره في باريس في مراسلة جريدة تورنتو ستار . وزار ابتداء من عام ١٩٢٢ ألمانيا وإيطاليا ، وتركيا ، لكتابة مقالات وتحقيقات لصالح الجريدة ووكالة أنباء هيرست الأمريكية .

وهكذا نجد أن همنغواي بدأ حياته الأدبية كأحد أبناء (جيل مفقود) صادفه اليأس خلال اغترابه في باريس بعد الحرب العالمية الأولى . ولكنه استطاع بعزيمته القوية ، ومرانه المستمر ، أن يحول نفسه من صحفي ومراسل خارجي وحربي ، إلى أديب حاذق ، يمتاز بأسلوب مقتضب ودرامي ، قادر على نقل العواطف الصادقة والأفكار الذهنية المعقدة . ولكن مهمة همنغواي ظلت مهمة المصور الفني ، أكثر منها الأديب الخالق . يرى بنفسه ، وينقل ما يراه لقرائه .

وقد عكس همنغواي ، منذ البداية ، صورة العصر الذي ولد فيه ، والحياة التي عاشها . ومع أنه قد عاش سنوات كثيرة في باريس ، ثم في منطقة كيه وست - في الطرف الجنوبي الشرقي للولايات المتحدة - ، وفي هافانا ، وفي أسبانيا ، بصفة سائح وكمراسل حربي أثناء الحرب الأهلية الأسبانية ، فإن كتاباته تعكس أحوال المجتمع الأمريكي بالذات وترجم عن العنف فيه ، وتدور حول حساسية الإنسان الأمريكي له ، أكثر مما تفعل أية كتابات أخرى . ويقول سيريل كونلي إن همنغواي قد جعل من دراسة الموت ، أو الحروب ، أو العنف اللذان يؤديان له ، محور أعماله . وأنه قد نقل اهتمامه في زمن السلم إلى مصارعة الثيران ، أو صيد الحيوان في أفريقيا ، أو الملاكمة . ولكنه رغم حبه لأشياء أخرى ، كالتنس لم يكتب عنها . ويقول همنغواي في روايته : (ولاتزال الشمس تشرق) :

«إن المكان الوحيد الذي تستطيع فيه أن ترى صورة الحياة والموت ، أعني الموت المفاجيء ، هو في غيبة الحروب : في مصارعة الثيران وصيد الحيوان

والملاكمة. لهذا ذهبت إلى اسبانيا لدراسة المصارعة. وكنت وقتها أحاول تعلم الكتابة، بادئاً بأبسط الأشياء. وليس أبسط من الموت المفاجيء». وقد كان همنغواي لساناً صادقاً لعامة قرائه من الأمريكيين. فقد «تبرأ» أمامهم من أن يكون أديباً. وارتاحوا إلى كلماته الفحولية والبذينة التي أخرجها على أفواه أبطاله، والتي قصد بها جمهور الرجال العاديين في كل مكان، من دون النساء الأمريكيات والطبقات العليا في المجتمع الأمريكي وحاول همنغواي أن ينال من طبقة المثقفين بالذات. وأن يجرح الشواذ جنسياً. ولهذا تصدت له في حياته قوى كثيرة ومتعددة تناهضه وتعاديه.

وجدير بالذكر. أن همنغواي لم يؤثر في كتاب أمريكا الكبار، الذين قدموا بعده أمثال: تيسي ولييامز، وترومان كابوت، وكارسون كالرز، إلا بالقليل. ولكنه أثر في عدد من أهم كتاب القارة الأوروبية، مثل غراهام غرين، ود. ه. لورنس في انكلترا، وبريفوست وسارتر وكامو وهنري ديه مونترلان<sup>(١)</sup> في فرنسا، وولف جانج وهينريك بول في ألمانيا.

وقد ألح بعض النقاد إلى النزعة السادية في شخصية وكتابات همنغواي. وتظهر هذه النزعة في وصفه للبد المتعطشة للدماء في روايته (ولاتزال الشمس تشرق)، أو في تصويره لقتل كلاب الهاينا في أفريقيا.

ومع ذلك، فإن أحداً لا يشك في النجاح الذي حققه همنغواي كشاهد على عصره. فقد كان أشهر كتاب زمانه. وعند بعض الناقدين أعظمهم. وقد جاوز توزيع بعض كتبه في حياته مليون نسخة. وتحول (١١) منها إلى أفلام سينمائية. وربما ساعد على هذا توفيق همنغواي في رسم خارطة حياته، وتحويلها إلى سلعة تجارية، أجاد تسويقها مع كتبه. وفي هذا، لا نغفل عن ثقافة همنغواي، الموسوعية ونجاحه كما كان يفاخر دائماً، في تعليم نفسه.

---

(١) انتحر هنري دي مونترلان في مسكنه الباريسي عام ١٨٧٢. قتلته رصاصة أطلقها على نفسه. غريب أمر التشابه بين همنغواي ومونترلان كلاهما خاض الحرب العالمية الأولى وجرحا فيها وكلاهما أراد أن يشارك الجنود في الحرب العالمية الثانية، عن طريق العمل كمراسلين حربيين لصالح الصحف.

## ■ ملابسات انتحار والد أرنست همنغواي؟

من الضروري الوقوف عند هذه الحادثة لأنها أثرت في شخصية أرنست همنغواي ، بخاصة وأنه كان معجباً بأبيه . وكذلك كان مثله الأعلى .

في عام ١٩٢٨ ، وفي منزل أسرته في (أوك بارك) ، عرف همنغواي أن أباه قد انتحر . وأنه قد قضى الليلة السابقة على وفاته في تنظيم أوراقه ، وحرق بعضها . ثم صعد إلى غرفة نومه ، وأقفل الباب عليه ، وأطلق رصاصة من مسدسه على مؤخر رأسه إلى جوار أذنه اليمنى . واكتشف همنغواي أن أباه كان مريضاً بالذبححة الصدرية ، وأنه قد أصيب بالسكر في أخريات أيامه . وأنه لم يكن ينام في الليالي السابقة لانتحاره إلاً لدقائق قصيرة ، بعد أن تفاقت الخلافات بينه وبين زوجته ، وفقد كل مدخراته في صفقة أراضي وهمية في فلوريدا . وقد تعهد همنغواي وعمه بتخليص تركة والده من ديونها ، واتفق الابن مع والدته على أن يدفع لها «١٠٠» دولار شهرياً .

واستكمالاً للملف أرنست همنغواي نذكر أنه تزوج أربع مرات خلال حياته . . وأنجب العديد من الأطفال . . وكانت زوجته الأخيرة هي السيدة ماري ويلش . . التي حاولت منعه من الانتحار بإخفاء أسلحته . لكن أرنست أكتشف المكان الجديد الذي توجد به الأسلحة النارية .

## ■ أشهر أعمال أرنست همنغواي؟

- رواية وداعاً أيها السلاح ، ١٩٢٦ .
- رواية ولا تزال الشمس تشرق ، ١٩٣٢ .
- رواية لمن تفرع الأجراس ، ١٩٤٠ .
- رواية خلف النهر وعند الأشجار ، ١٩٥٠ .
- رواية الشيخ والبحر ، ١٩٥٢ . وكانت هذه الرواية سبباً لمنحه جائزة نوبل الأدبية ، لأنها تصور كفاح الانسان أمام التحديات والمصاعب التي تواجهه باستمرار ، وكان ذلك في عام ١٩٥٤ .

## المصادر:

- همنغواي حياته وجيله المفقود ، إعداد اللجنة الثقافية بدار ومطابع المستقبل - القاهرة بإشراف الدكتور رؤوف سلامة موسى ، ص ٥ .
- بابا همنغواي ، أ . هوتشتر ، ترجمة : ماهر البطوطي ، دار الآداب - بيروت ، ص ١٢ .



## سيرغي يسينين

يعتبر سيرغي يسينين واحداً من أعظم الشعراء الغنائيين الروس المعاصرين، وموهبته لا تقل عن بوشكين، وليرمنتوف، وبلوك أو مايكوفسكي. إنه شاعر تضاربت فيه الآراء، واختلفت بصدد شعره التفسيرات، وذلك يعود إلى الانعطاف الحاد في تاريخ روسيا منذ انبثاق ثورة اكتوبر الاشتراكية، إذ أن أشد ما ارتبط بالسياسة آنذاك هو الأدب. . .

بدأ يسينين ينشر قصائده الأولى في عام ١٩١٤ في صحيفة موسكو، عالج في معظم قصائده «الجمال الروسي القروي» حيث درس الشاعر التراث الفولكلوري الروسي دراسة مستفيضة.

هاجم يسينين نظرية (الفن للفن) في مقالة له نشرها عام ١٩٢١ بعنوان (الحياة والفن) عبّر فيها عن خطورة هذا الاتجاه، وأبدى اندهاشه «كيف يمكن أن يكون الفن مجرد فن». وكان للشاعر موقف واضح تجاه ثورة أكتوبر الاشتراكية، إذ اعتبرها الخلاص الوحيد الذي حرر الفلاح الروسي من العبودية. . .

تزوج يسينين من الراقصة الأمريكية الشهيرة «ايزادورا دنكان» في عام ١٩٢١، وارتحل معها إلى خارج بلاده ثم تركها وعاد إلى بلاده حيث تزوج ثانية من «سوفيا» حفيدة تولستوي إلا أنه أخفق أيضاً بعد عدة شهور.

## لمحة عامة عن الشاعر

ولد سيرغي يسينين في ٣ تموز (يوليو) من عام ١٨٩٥ . من عائلة فلاحية في قرية صغيرة تدعى «كونستانتييفو» الواقعة على نهر «الأوكا» . وفي تلك الأيام كانت منطقة «ريازن» من أسوأ المناطق الفقيرة والمتخلفة في روسيا، حتى أن المواطنين كانوا يضطرون إلى ترك بيوتهم الريفية للبحث عن أعمال موسمية في أماكن أخرى أو وظائف في المدن . وكان والد يسينين يشتغل عاملاً في حانوت للقصابة في موسكو . وقد عاش يسينين منذ طفولته مع جده والتحق آنذاك بمدرسة كنسية ، فازدهرت أعماقه بالشعر في سن مبكرة من حياته . وبالرغم من كل تعاسة الحياة القروية كان يسينين يرى فيها جمالاً كامناً ، فأهدى إليها قلبه وإلى الأبد .

وكانت المادة الأولية التي يستقي منها يسينين قصائده الأولى هي الأصقاع الروسية والحياة والمناظر القروية حيث يمتزج افتتانه بهذا العالم الطبيعي بمشاعره العاطفية نحوروسيا ، وكان حب الوطن أحد ينباع الدائمة التي تغذي قصائده . لقد وصل يسينين إلى النضج الفني والاستقرار الفكري إبان أعوام ثورة أكتوبر الاشتراكية ، ومن ثم خلال حياته الأخيرة المبعدة التي قدم خلالها معظم أعماله الهامة ، وكان ارتباطه الوثيق بالشعب جلياً على الصعيد السياسي حيث ساند الثورة وكتب القصائد الرائعة عن قائدها لينين :

«يكون بالذات روح الرحمة

ومع الأعداء

يكون صلباً كالحديد الصلب» .

انتحر الشاعر يسينين في فندق انكلتير في ليننغراد في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٢٥ ، وهو في الثلاثين من عمره ، تاركاً وراءه قصيدة كتبها بدمائته النازقة من شريان يده مودعاً الحياة . وعندما انتحر الشاعر ، رثاه شعراء عديدون ومنهم الشاعر الكبير مايكوفسكي الذي عاتبه على انتحاره ، لكنه انتحر هو أيضاً بعد فترة .

وقد أثار انتحار يسينين كافة الأوساط الأدبية والسياسية في الاتحاد السوفيتي والعالم ، واختلفت الآراء فيه ، يقول الناقد بوريس لافرينيف : «من الصعوبة أن نتحدث في وجه مثل هذه الميتة ، لم يعد الأسف مجدياً ، ولكن ذلك لا يمنعنا أن

نذكر أن قناعة يسينين بمثل هذه النهاية هي التي وضعت أنشودة الحبل في رقبته».

### نماذج من قصائده

أيقظيني غداً عند انبثاق النهار،  
يا أمي المريضة، فذلك أفضل .  
ثم اجتاز المتراس وأمضي في طريقي ،  
وألاقي أخيراً ضيفنا الذي هفونا إليه .  
اليوم وطأت أقدامي مسالك الغابة،  
حيث الدواليب الكبيرة كانت تحرث الأرض .  
تجري الرياح تحت بساتين الغيوم،  
وتهيج بعربتها الذهبية .  
عند الفجر، سوف ينهض ويندفع، ويغمس  
قلنسوة القمر تحت الشجيرات والأشجار،  
وفي السهل ستخبُّ فرسه،  
وتهز ذيلها الأحمر من الغبطة .  
ثم أيقظيني عند انبثاق النهار،  
واشعلي المصباح في غرفتنا، ونادي،  
لأنني سأصبح عما قريب، كما يقولون،  
شاعراً روسياً يعرفه الجميع .  
وسأغني لموقدنا، ولديكنا، ولسقفنا:  
وسأوقظك وضيفنا بأغنياتي التي سأنشدها،  
وعلى كلماتي، وعلى كل شيء،  
سأريق حليب أبقارك الحمر .

(١٩١٧ م)

\* \* \*

وداعاً، يا صديقي، وداعاً،  
فأنت في أعماق قلبي

فراقنا الذي اخترناه،  
كان موعداً للقاء المستقبل  
وداعاً يا صديقي،  
لم تعد الأيدي تتشابك والكلمات تنطق،  
لا تحزن، لا تعقد جبينك بحزن.  
ليس شيئاً جديداً في هذه الحياة أن نموت . .  
وأن نعيش بالطبع ليس بالشيء الجديد أيضاً.  
\* \* \*

■ أيتها الروح التائهة! ما أندر  
أن توقظي شفاهي بالدماء الملتهبة.  
أوه! لقد ضاع صباي اليانع نهائياً،  
وعيونى ومشاعرى تهفو إلى الطوفان!  
إنني واهن وهزيل مع رغباتي  
هل الحياة لي أم إنني أحلم  
إنني خلالها كردد الربيع في الصباح،  
أعدو على ظهر جوادي المجنح بالزهور.  
كل شيء يمر على هذه الأرض،  
إذ تنجرف أوراق العنب النحاسية بنعومة . .  
دع كل الأشياء تعانق البركة الخالدة،  
التي تولد لكي تزهر وتموت.

(١٩٢١ م)

\* \* \*

### ■ ■ ايزادورا دنكان

نشأت الفنانة الامريكية ايزادورا دنكان (١٨٧٨ - ١٩٢٧) في مدينة سان  
فرانسيסקو الأمريكية. وكان والدها صيرفياً غنياً، ولذا لم تكثر بالمال، وإنما

كرّست عنايتها للجمال النسائي وشجونه، فكانت من أشهر راقصات الباليه في العالم.

واهتمت بالرقص الفني . . واحترفت الرقص الاغريقي في بداية حياتها، ثم رقص الباليه البديع . وكانت تقف في غرام كبار الأدباء والمشاهير، وعلية القوم ثم تركهم دون أسف .

وكانت تسعى دون كلل لجمع المال، من أجل تدريب صغار السن من الأطفال على إجادة رقص الباليه . وقد زارت موسكو بعد نجاح الثورة الشيوعية، وهناك التقت بالزعيم الشهير لينين، كما تعرفت خلال زيارتها للاتحاد السوفيتي على الشاعر الروسي سيرغي يسينين الذي تزوجته . . وسافرا معاً إلى برلين وباريس . ولم تكن تعرف لغته . . وهو بدوره لا يعرف لغتها . . وقد عاشا سوية بضعة أشهر . . ويذكر بعض المؤرخين أنه كان يضربها ويعاملها بقسوة . . حتى أنه هدهدها مرة بمسدسه ! وانتهت هذه العلاقة الزوجية بالطلاق .

وكان لها ولدان ماتا غرقاً في نهر السين في باريس، وقد سببت لها هذه المأساة صدمة نفسية عميقة، رافقتها آثارها المدمرة حتى يوم انتحارها الغامض في ١٤ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٢٧ .

وظهرت على خشبة المسرح عام ١٩٢٦، تريد أن ترقص، كما كانت تفعل في الماضي القريب، فكانت السنوات التي حملتها على كتفيها قد أيسست أعضائها، وأفقدتها الرشاقة والجاذبية، فما استطاعت أن تقدم الحركات الفنية الصعبة التي عرفت بها . وخرج الناس وهم آسفون على شبابها الذابل الذي كان مضرب المثل . ولكن الموت داهمها . . وكان انتحارها من أبشع الميئات، حدث ذلك في مدينة نيس الفرنسية التي عاشت بها أيامها الأخيرة . إذ التف طرف (شالها) حول عجلة السيارة التي ركبته، فخنقها (الشال) الأحمر بعد أن انكسرت رقبتها وسالت دماؤها، حدث ذلك عندما تحركت السيارة التي كان يقودها سائق إيطالي، وكان (الشال) الحريري قد التف كالأفعى حول عنقها الجميل، الذي كان له ماض في عالم الفن طالما أبهر العيون، ويبدو أن طرف الشال قد علق بالعجلة الخلفية للسيارة .

ونقلت جثتها من مدينة نيس إلى باريس يوم ١٩ أيلول (سبتمبر) عام

١٩٢٧، وأحرقت الجثة - تنفيذاً لوصيتها - ووضعت في المقبرة التي تضم ولديها .  
وقبل انتحارها بيوم واحد . . كانت تبكي على أن طفلين غرقا في البحر . وفي  
تلك الليلة الحزينة نهضت من فراشها وهي تقول :  
« لا أستطيع أن أستمع هكذا أشكو من وجع القلب (١٤) عاماً . إن الحياة  
مستحيلة مادام فيها أطفال صغار لهم عيون زرقاء وشعر ذهبي وابتسامة بريئة !  
وفي هذا الصدد . . تقول احصائية كلية طب (بولر) في جامعة تكساس ،  
أن من بين كل ستة أو سبعة حوادث سيارة تعتبر واحدة منها انتحاراً . وأن كثيراً من  
المتحجرين ، ينتحرون مقنَّعاً ، ويظهر انتحارهم أمام الآخرين كأنه مجرد مصادفة  
سيئة خالية من أي مدلول يوحي بأنهم انتحروا . فيختفي سر انتحارهم إلى الأبد ،  
وبهذه الطريقة يحافظون على سمعتهم أمام أهلهم . . . وأمام المجتمع .  
لهذا السبب كان موت ايزادورا دنكان مقنَّعاً - أو مبطناً - إذ توفيت في حادثة  
سيارة عرضي ، لكنها بالحقيقة كانت قد لَقَّت (شالها) الأحمر على عجلة السيارة .  
إن ضعف الأمل يعجل بالموت ويسرع بسرير المرض دون شك ، فإرادة  
الحياة تقف طويلاً أمام إرادة الموت . ولنا أن نتساءل - على حد تعبير الدكتور دبَّاغ -  
عن العدد الغفير من موت هذا الطراز من المرضى اليائسين ، ومنهم الشعاعان  
المصابان بالتدرن الرئوي : الانكليزي (كيتس) والعراقي (بدر شاكر السياب)  
اللذان نشك في أنها استعجلا الموت بالسلبية واليأس والتشاؤم . وفي قصيدة  
السياب (حفار القبور) معالم تدل على ذلك الانتحار المبطن :

وهزَّ حفارُ القبورِ

يُمناه في وجه السماء ، وصاح :

ربَّ أما تثور

فتبيد نسل العار . . تُحرق بالرجوم المهلكات ،

أحفاد عادٍ ، باعة الدم والخطايا والدموع ؟

يا رب مادام الفناء

هو غاية الأحياء ، فأمر يهلكوا هذا المساء

سأموت من ظمأ وجوع

إن لم يمت هذا المساء إلى غد بعض الأنام

---

#### المصادر:

- على رقاب العباد، أنيس منصور، دار الشروق - القاهرة، ص ١٢٣ .
- الموت اختياراً، د. فخري الدبّاغ، ط ٢، دار الطليعة - بيروت، ص ١٠٩ .
- أنشودة المطر، بدر شاكر السياب، دار العودة - بيروت، ط ٢، ص ٢٣١ .
- مجلة الطريق، العدد الأول، شباط (فبراير) ١٩٨١، ملف ثقافي من إعداد الأستاذ شاكر نوري .



## فلاديمير مايكوفسكي

ولد مايكوفسكي في جورجيا عام ١٨٩٣ لأبوين فقيرين . وكان أبوه خطّاباً رقيق الحال ، ولما مات نزلت أسرته إلى موسكو حيث عاشت في فقر شديد . وتفتحت مواهب فلاديمير مايكوفسكي الصغير فقرأ وهو بعد في الثالثة عشرة من عمره فلسفة هيغل وماركس . وحين بلغ الخامسة عشرة انضم إلى الحزب البلشفي وقبض عليه بتهمة كتابة المنشورات الثورية ثم أفرج عنه . وبعد عام قبض عليه للمرة الثانية وسجن أحد عشر شهراً ، فقرأ في سجنه مسرحيات شكسبير وروايات تولستوي وأشعار بيرون ، ثم أفرج عنه في عام ١٩١٠ . فلما خرج من السجن ، كتب يقول إن مشكلته هي كيف ينقذ الأدب الروسي من حثالاته القديمة (يقصد آثار العباقة) . وذهب إلى رفيق له في الحزب قائلاً : «أريد أن أخلق فناً اشتراكياً» ! ونعلم من سيرته التي ترجم بها نفسه عام ١٩٢٨ أنه كفَّ عندئذ عن العمل الحزبي الايجابي وأنه أقبل على الدرس والتحصيل . ودخل مايكوفسكي مدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩١١ ليتعلم فن التصوير ، ولكنه طرد منها عام ١٩١٤ لتمرده . وتروي عنه الكاتبة الفرنسية (الزا تريوليه) التي عرفته صغيراً في روسيا أنه انضم إلى جماعة الشعراء المستقبليين ، وهو بعد طالب في الفنون الجميلة دون أن ينظم شعراً من أي نوع كان . وكانت جماعته تشيع عنه في كل مكان أنه شاعر عبقرى قبل أن يبدأ بنظم الشعر . ثم بدأ يقرض الشعر ، وجاءه بعض المال من أول قصيدة طويلة نظمها وسماها (ثورة الأشياء) . فحسن ملبسه الزري بعض

الشيء، وأخذت له صورة فوتوغرافية كتب عليها: فلاديمير مايكوفسكي  
المستقبلي... .

وكان شعره جديداً وغامضاً وملئاً بالتهجم على كل مستقر من القيم  
الاجتماعية والأدبية والفكرية. وكان شعره على الأقل في نظر أعدائه يفيض  
بالغرور. فكان ينشد مثلاً (أنا ونابليون) أو يتحدث عن السيد (المسيح الذي  
يستشق عبير أزهاره وروحه). وكان هو جميل الصوت بارعاً في الالقاء. وطالما  
طاف مايكوفسكي أرجاء الاتحاد السوفيتي بعد قيام ثورة ١٩١٧ ليلقي شعره على  
الجموع المأخوذة بشعره وبصوته وبالقائه. وباختصار. لم تمض سنوات حتى كان  
مايكوفسكي شاعر الثورة الروسية وأشهر شاعر في الاتحاد السوفيتي، ولا غرو فهو  
القائل:

«كلها لكم،

كل أشعاري الجبارة الأصدقاء لكم

أيها العمال، أيتها الطبقة الزاحفة!»

وهي الأبيات المنقوشة بحروف ضخمة على داره بموسكو التي تحولت الآن  
إلى «متحف مايكوفسكي».

وصل شاعرنا ذروة المجد في سنوات قليلة. وبعد أن كان عام ١٩١٤ موضع  
هجاء الصحف والنقاد، التفت القراء والأدباء إلى موهبته الفذة.

وحين استمع مكسيم جوركي إلى ديوانه (غيمة في ثياب رجل) دمعت عيناه  
من فرط التأثر. فلما عادت الزا تريوليه إلى موسكو في عام ١٩٢٥ وجدته في قمة  
المجد. كانت السابلة تشير إليه إذا رآته. كان سائقو التاكسي يعرفونه. أصبح  
معبود الشعب السوفيتي. أخذ ينظم الشعر إعلانياً عن المشروعات الحكومية،  
ويتغنى في القريضة ببرنامج التصنيع، ويعد اللافئات بشعاراتها الاجتماعية  
والاقتصادية، وينظم الأغاني لجنود الجيش الأحمر، ويحول الأبناء إلى قصائد  
والقرارات الوزارية إلى مقطوعات. لقد ربط ما بين شعره وبين التطور الاجتماعي،  
والمادي الجاري في بلده.

ومع ذلك فقد كان لمايكوفسكي أعداء كثيرون، أعداء من كل جانب ومن  
كل معسكر، فلا هو أرضى اليمين ولا هو أرضى اليسار. أما المحافظون الذين

كانوا يؤمنون بأن غاية الفن هي الجمال فقد هاجموا لأنه سخر الشعر للدعاية والمناسبات وكانوا يعجبون لهذا الشاعر الذي يفيض شعره بالجمال في دواوينه الأولى كيف يتبدله في الاعلان عن التنظيمات العمالية ومشروعات الحكومة . كذلك هاجمه المحافظون الذين ساءهم أن يكتب الأدب الروسي على غير طريقة بوشكين وتولستوي . أما المتطرفون من أهل اليسار فقد هاجموا لأنه لم يكن بروليتارياً حقيقياً فهو لا يزال ينظم الغنائيات في الشوق والغرام ، وهذه موضوعات لا نفع فيها للطبقة العاملة . أخذ عليه البعض حماسه للحزب ولأمله آخرون على عدم انضمامه للحزب . وكان هناك شيء في شخصية مايكوفسكي جعل أعداءه يكرهونه كرهاً شديداً . كان صلفاً ، مفتوناً بنفسه مستخفاً بغيره ، وكان صموتاً لا يحب الكلام وينفر من حياة المجتمع . أما المؤمنون به فكانوا في حبهم له لا يقلون عمقاً عن الكارهين في كرههم .

ونتيجة شعوره بالاضطهاد من قبل ستالين ، وبعض أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الحاكم ، فإن مايكوفسكي يسدد مسدسه إلى قلبه ويطلق رصاصة يتيمة . . . وكان ذلك بتاريخ ١٤ نيسان (أبريل) عام ١٩٣٠ ، عن سبع وثلاثين سنة تاركاً بجوار جثته الرسالة التالية :

«إلى الجميع هأنذا أموت الآن . . . لا تتهموا أحداً ، ولا تثرثروا . فالتوفي كان يكره الثرثرة .

أي أمي ، ويا أخواتي ، ويا رفاقي ، أطلب عفوكم . إنها ليست طريقة للخلاص تناسب أحداً إلا أنا ، فلست أوصي غيري أن يسلكها ، ولكني لا أجد حل سواها .

أحييني يا ليلي . .

يا حكومتي ، يا رفيقتي ، أسرتي هي ليلي بريك وأمي وأخواتي وفرونيكا يولنسكايا . فإن استطعت أن تجعلي حياتهن هينة بعض الشيء فشكراً لك .

قصائدي التي بدأتها أعطوها لأسرة بريك ، ليروا فيها صورتهم .

كما يقولون : الحادث أصبح منتهياً .

وزورق الحب . .

تحطم على صخور الحياة .

أنا والحياة، كلنا أخذ حقه من الآخر، ومن العبث أن نستعرض الأحزان  
وما أنزله كل بالآخر من أذى.  
عيشوا سعداء».

(ف. م)

أما ف. م فهو فلاديمير مايكوفسكي. والحق فإن هذه الرسالة لم تكشف لنا  
السبب الذي دفع به إلى الانتحار؟  
ولكننا نعرف من مصادر أخرى ماذا كان مأزق حياته. نعرف أن في بلاده  
الاتحاد السوفيتي، أسدل ستار عميق من الصمت على موته، وعلى اسمه، وعلى  
شعره، فكأنه لم يكن حياً بين الأحياء، وكأن شعره لم يكن في يوم من الأيام على  
كل لسان، وظل ستار الصمت مسدلاً على موته وعلى اسمه وشعره فترة طويلة أيام  
حكم ستالين، فلما مات ستالين... ارتفع ستار الصمت عن شاعر روسيا الكبير  
درجة درجة، حتى أصبح له في موسكو متحف، وأصبح لاسمه ميدان، وأصبح  
لذكره محطة من محطات المترو، وعاد شعره من جديد على كل لسان.

### ■ معركة أدبية - تاريخية

على أن قصة حب مايكوفسكي وليلي - بكسر اللامين - التي ورد اسمها في  
وصية مايكوفسكي، أثارت في عام ١٩٦٨ معركة أدبية - تاريخية بين الزا تريوليه  
(صديقة الشاعر) ومجلة «اوجنيوك» السوفيتية الواسعة الانتشار التي توزع نحو  
مليون نسخة.

وعلى حد قول إلزا تريوليه في مقالين نشرتهما بمجلة (الآداب الفرنسية) التي  
يديرها زوجها الشاعر الشهير لوي اراغوان، في عددي ١٢٣٢ و١٢٣٦، فإن مجلة  
«اوجنيوك» نشرت بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لميلاد مايكوفسكي مقالين  
بعنوان (حب شاعر) و(مأساة شاعر)، كتبهما ناقدان غير مشهورين يدعيان  
فورنتزوف، وكولوسكوف، وفيهما يناقشان أسباب انتحار الشاعر، ويرجعان  
الانتحار إلى ثلاثة أسباب هي:

أولاً: فشله في حب امرأة أخرى غير «ليلي بريك»، كان قد التقى بها في  
باريس، لكنها رفضت حبه وتزوجت، وإنها هي التي يذكر اسمها (فيرونيكا

فيتولدوننا بولنسكيا) في رسالته الأخيرة، وأن من أسباب هذا الفشل أن «ليلي بريك» تدخلت لدى السلطات السوفيتية لكيلا تعطيه تأشيرة خروج حتى يسافر إلى باريس للحاق بمن أحبها.

ثانياً: سوء الوسط الذي كان يحيط به، والتأثير السلبي الذي كان لأصدقائه ومعارفه عليه.

ثالثاً: مهاجمة الصحافة السوفيتية له هجوماً عنيفاً.

وعلى حد ما تقوله صحيفة (ليموند) الفرنسية، فإن مجلة «اوجنيوك» تؤكد أن ليلي بريك لم تكن الحبيبة التي قضت أربع عشرة سنة مع مايكوفسكي، وأنها لم تحتل أية مكانة في أفكاره، وإنما كانت تلعب دوراً ثانوياً في حياته. وأنها بعد موته قامت بمصادرة تراثه الشعري لحسابها ويقول الناقدان إن ليلي بريك قامت بهذا الدور بالتواطؤ مع زوجها الأول، اوسيب بريك. وأن الأخير الذي كان صديقاً لمايكوفسكي ويساعده على نشر كتبه. لم يكن مخلصاً في صداقته هذه. ويصفه الناقدان بأنه كان ينشر صحيفة ذات طابع ثوري زائف، وأنه كان يتصف بنفعية مقبولة في نظره إلى الفن، وأن الكثيرين عرفوا فيه الوصولي بلا مبادئ، وأن الشاعر انتحر لأنه تقزز من الوسط المحيط به.

وترد الزا تربوليه في غضب مرير على هذه الأسباب، فتتفي نفياً قاطعاً، أن مايكوفسكي قد أحب امرأة أخرى غير أختها «ليلي بريك» حتى آخر حياته، وتنتفي أن أختها وهي المواطنة السوفيتية العادية قد تدخلت لدى السلطات الحكومية، لمنع تأشيرة خروج لفلاديمير مايكوفسكي، المواطن المشهور والمرموق في الدوائر العليا، وتنتفي أنه أحب فيرونيكا في باريس.

ويبدو أن سبب غضب (الزا) على كاتبتي المقاليتين، ثم على النقاد والصحافة السوفيتية بوجه عام، بل وعلى الدوائر الرسمية في الاتحاد السوفيتي، وهي الشيوعية الفرنسية العريقة، سبب موضوعي وذاتي في وقت واحد.

هو موضوعي من زاوية أنه يمثل - في رأيها - نموذجاً من نماذج تزيف التاريخ. وهي تبدأ المقال الأول من ردها بهذه العبارات:

«كل شيء يمكن تزيفه، النصوص والوثائق، والصور، كل الأخطاء ممكنة، وكل الشهادات الغلط يمكن الاعتقاد عليها، وتأويلها، وتزييفها والتعليق

عليها، بالحذف، أو بالاستشهاد بفقرات منها. منفصلة عن السياق. وكل هذا يعتمد على خيال المؤرخ، وعلى قدراته على الفهم، وعلى زاوية نظرتة إلى الكون، وعلى إيمانه أو عدم إيمانه، وعلى نظرة عقيدته إلى الأمور. إن القراءة اليومية للصحف، الشاهدة على التاريخ المعاصر، تؤكد مثل هذا الرأي. فالأخبار التي تحملها الصحف إلينا هي معلومات غير دقيقة إلى حد ما. . . .

وهو موضوعي أيضاً، لأنه غضب على صمت النقاد السوفييت عن تصحيح سوء تقييم هذا الشاعر العظيم، وغضب على ما تعتقده (إلزا) من أنه اتجاه عام نحو تشويه تاريخ مايكوفسكي العاطفي، وبالتالي رفض شعره الغنائي وشعره في الحب، كما سبق أن حدث أثناء حياته، وبعد وفاته بسنوات طويلة. وهو ذاتي لأنه يمس حياة وقيم أشخاص لا يزالون أحياء، ويمس حياة وقيم رجل بعينه، لا يزال حياً بأعماله، ولو أنه قد مات.

السيدة «ليلي بريك» لاتزال حية وتعيش في الاتحاد السوفييتي. وهي تعيش - على الأرجح - مع ذكريات حبها الكبير لمايكوفسكي. ويوم أزيح الستار عن أول تمثال يقام له في موسكو عام ١٩٥٨، كانت في مقدمة الذين وضعوا تحت قدمي التمثال أكاليل الزهور. ويجرح شعورها أن تقرأ أن من أحبته لم يكن يحبها وإنما كان يحب امرأة أخرى. ويجرح كرامتها أن تقرأ اتهامها بأنها سعت لدى السلطات لمنعه من السفر لكي يلتقي بحبيبته الجديدة.

والسيدة «فيرونیکا» لاتزال حية، وهي تعيش في الولايات المتحدة زوجة لأمريكي من أصل بولوني من كبار رجال أعمال النشر. وقد يجرح شعورها أن تقرأ اتهامها بأنها رفضت حب هذا الشاعر العظيم وكانت برفضها هذا سبباً من أسباب انتحاره!!

والسيدة «إلزا تريولي» لاتزال حية. . . وقد أثار غضبها ما تعتقد أنه غير حقيقي بالنسبة لذلك الصديق (مايكوفسكي) الذي وهبته صداقتها بلا حدود، وجهدها في الدفاع عنه والتعريف بأعماله ونشر شعره بعد مماته. . . . ولعل أغرب ما في انتحار الشاعر هو أنه كان ضد الانتحار. ففي عام ١٩٢٥، انتحر صديقه الشاعر (يسنين) وترك قصيدة وداع كتبها بدمه يقول فيها: (في هذه الحياة، لا جديد في الموت).

لكن لا جديد أيضاً في الحياة).  
وردّ مايكوفسكي بقصيدة بنفس الوزن قال فيها:  
(في هذه الحياة، الموت سهل  
بناء الحياة هو العسير).

وكما تنفي «إلزا» مسؤولية اختها «ليلى بريك»، في انتحار فلاديمير  
مايكوفسكي فإنها تنفي بنفس الغضب والمرارة مسؤولية الوسط الذي كان يعيش  
فيه والأصدقاء المحيطين به، عما حدث قاتلة:  
«إن الأحداث اللصوص والقتلة، والفتيات اللاتي ينحرفن إلى طريق  
الدعارة هم الذين يكونون ضحايا وسطهم وبيئتهم، وليس الرجال العظماء، لأن  
الرجال العظماء لا يكونون ضحايا وسطهم، لأنهم هم الذين يختارون وسطهم  
وأصدقائهم وليس الوسط أو الأصدقاء هم الذين يختارونهم».

#### ■ نموذج من شعره

[جواز سفري السوفييتي]  
سأمزق أحشاء البيروقراطية،  
سأمزقها  
لا احترام للأوامر  
نعم الخلاص:  
أرسلوا أية ورقة إلى الجحيم  
إلا هذه . . .  
موظف الجمارك  
يتحرك ماراً بالمضاجع والمقاصير  
دمثاً للغاية  
يقدم الناس جوازات سفرهم  
وأنا أقدم جواز سفري:  
دفترى الأحمر الغلاف  
بعض الجوازات تغري بالتبسم على الفور

وبعضها الآخر  
يُعيَّر به .  
مراعاة خاصة  
تُبدي ، مثلاً ،  
للانكليزي «ليو» ، نزيل الغرفة المزدوجة  
الانحناء لا يتوقف  
كأن السفينة تهزهم  
وأعينهم تلتهم «الأعمام اللطاف القدامى»  
ويتناولون جوازات اليانكين الطوال  
كأنهم يتناولون حُلواناً  
وفي غباء رجال البوليس  
ذوي الجهاجم الثخينة  
تجحظ أعينهم  
عند رؤية الجوازات البولندية  
كأنهم يقولون :  
ما هذه المناطق الجديدة في الجغرافيا ؟  
وفي شروء ،  
ومن غير أن يديروا رؤوسهم الشبيهة بالملفوف ،  
يتناولون جوازات أهل السويد  
وكل الهولنديين الآخرين ،  
ولا يكادون يتلطفون في لمسها .  
وفجأة أشاح السيد الضابط وجهه  
كأنه اشتتم كارثة  
حزرت :  
لقد أخذ الضابط جواز سفري الهائل ،  
الأحمر الجلد  
تناوله كقنفذ

أو كقنبلة  
أو كأفعى ذات أجراس متلوية  
طولها ثلاث ياردات،  
ولها مائة حُمة قاتلة  
الحبّال يغمز بالعين  
والحق يقال: يودُّ أن يحمل لك متاعك مجاناً.  
الدركي ينظر متسائلاً  
إلى رجل البوليس السريّ  
والبوليس السري ينظر إلى الوراق:  
ما العمل في ابن السبيل هذا؟  
أي ابتهاج كان سيغمرنى  
لو أن الدرك عليهم اللعنة  
سلخوني  
صلبوني  
شنقوني  
على جريمة حملي جوازي السوفييتي  
ذي المطرقة والمنجل  
سأمزق أحشاء البيروقراطية  
سأمزقها!  
لا احترام للأوامر  
نعم الخلاص  
أرسلوا كل ورقة قديمة  
إلى الجحيم  
إلا هذه . . .  
فهى أؤمن الشهادات  
إنني أسحبها من البنطال  
حيث توجد أوراقى

فأقرأها!  
واغبطني!  
أنا من U. SSR (الاتحاد السوفيتي)

١٩٢٩



مايكوفسكي مع أوسيب بريك

---

#### المصادر:

- الاشتراكية والأدب، د. لويس عوض، دار الآداب - بيروت، ص ٧٩.
- مايكوفسكي مع مختارات من شعره، ترجمة وتقديم الأستاذ عارف حديفة - دمشق، ص ٢٤.
- الهلال كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨، من مقال للأستاذ ابراهيم عامر.

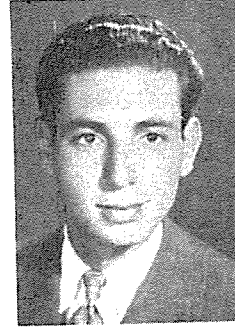




الشاعر وحبیبته لیلی بریک



مایکوفسکی فی طفولته



عبد الباسط الصوفي

ولحمة !

عبد الباسط الصوفي

وتغيب الدروب، في أحداقي  
ضر، روحاً، قريرة الأشواق  
مترف الهدب، من رضى، واصطفاق  
تار، أو همسة من الأعماق  
ض، وحلماً، مهدهد الإشراف

\* \* \*

ومع الصبح، فرحتي، وانطلاقي  
ح، ضلوعي، وصحوتي، وائتلاقي  
ولعصف الرياح، بعض انعراقي  
في، لخفق الربيع، عبر السواق  
عاصف الدرب، لافح الأشفاق  
ر، يطيب الرماد، بين احتراقي  
ج، وأمضي.. مجنح الأفاق  
كر، وفي البعد، في المدى، في التلاقي

\* \* \*

ثم أمضي، والكون في أحداقي

ههنا.. واتكأت، أطوي ظنوني  
ههنا.. غفوتي على المرقد الآخ  
يفلت الجفن، في الظلال الضوافي  
والرياحين، بوح دنيا من الأو  
أنا.. لي واحتي سلاماً من الأر

في فم الصبح، دفقة من نشيدي  
أنا للصبح، كلما انسكب الصب  
لا أجوب الحياة، إلاّ انعتاقاً  
مطلق، كالزمان، كالأبد الغا  
وإذا لفني على الرمل، أفق  
كنت ملء اللهب، سمحاً مع النا  
قدري، أن أسير يملأني الوه  
في السفوح الخرساء، في الذروة الب

أنا.. لي واحتي، وأطوي ظنوني

نشرت هذه القصيدة في مجلة (صوت سوزية) الصادرة عن وزارة الداخلية السورية

إن حياة الشاعر عبد الباسط الصوفي حياة عادية لا تخرج عن حدّ المؤلف، ولكن بقدر ما تحتوي من رتابة ونمطية في الظاهر فهي غنية جياشة صاحبة في الداخل، وقد يعجب المرء عندما يطلع على الآثار التي خلفها هذا الأديب من خصب هذه الحياة - على قصرها - ومن عنفها وحيويتها، وكيف أصبحت ميداناً فسيحاً تتلاقى فيه الأفكار والعواطف، والانفعالات المتناقضة حيناً، والمتساوقة حيناً آخر.

كان موهوباً ارتفع بموهبته وخصائصه العقلية المبكرة عن مستوى كثير من أدبائنا وشعرائنا. حيث وجد في عالمه وسيلة للانتقال من الفوضى الداخلية التي يعانيتها إلى النظام الموسيقي، ومن الصراع المبهم مع أوهام الحياة إلى التساوق والانسجام والغناء الموزون، ومن الضيق المادي إلى الانفتاح الروحي.

إن عبد الباسط الصوفي شاعر غنائي وجداني أجاد التعبير عن عواطفه وانفعالاته الذاتية في مختلف تطوراتها وتموجاتها اجادته التعبير عن حبه للجمال الكلي الشامل بواسطة الأوزان المنغمة والكلام المجنح والجرس المطرب.

### ■ لمحة عامة عن الشاعر

ولد عبد الباسط بن محمد أبي الخير الصوفي سنة ١٩٣١ في مدينة حمص في دار أسرته بجانب جامع آل الصوفي بمحلة ظهر المغارة، ولما بلغ سن الطفولة أدخل المدرسة الابتدائية الخيرية الأميرية (وهي مدرسة المأمون حالياً)، وبعد أن فاز بالشهادة الابتدائية سنة ١٩٤٣ التحق بالمدرسة التجهيزية بـحمص فنال الشهادة المتوسطة سنة ١٩٤٦، والشهادة الثانوية سنة ١٩٥٠، ثم عين معلماً في مدرسة قرية عز الدين، ثم مدرساً للغة العربية في متوسطة قرية فيروزة.

وفي سنة ١٩٥٢ انتسب إلى المعهد العالي للمعلمين ونال شهادة «الليسانس» في الآداب سنة ١٩٥٦، ثم واصل مهنته التدريسية في مختلف الثانويات في دير الزور وحمص حتى شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٠ حين أوفدته وزارة التربية والتعليم السورية في بعثة تدريسية إلى غينيا لتدريس اللغة العربية، فتوفي في كوناكري في ٢٠ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٠، مات منتحراً في المستشفى الذي نقل إليها إثر إصابته بانهايار عصبي شديد سبقه عدة محاولات انتحارية مؤثرة...

لقد وجد مشنوقاً في غرفته بالمستشفى بوساطة «بيجامته» التي يُقال ويروى أنه عمد إلى ربط «بنطالها» بقميصها مع حوائج من ملابسه الآخر من بينها حزامه الجلدي، وعلّق الرابطة في السقف وشنق نفسه في انشوطتها، وقد نقل جثمانه بحراً ودفن في مسقط رأسه حمص بعد شهرين من وفاته .  
الغربة . . والبعد عن الأصحاب . . والبعد عن الوطن . . واللوعة الغرامية، التي قد تكون اندلعت في قلب شاعرنا في غربته، فجعلته يتذكر الحبيبة . . هذه الأسباب دفعته إلى الانتحار.

### ■ ذكريات

يقول الأستاذ الأديب ممدوح السكاف :

«من ذكرياتي معه، أنه قبيل سفره في بعثته التدريسية إلى غينيا بعدة أشهر زار حمص الناقد المصري الكبير الدكتور محمد مندور وزوجته الشاعرة ملك عبد العزيز. وأراد أن يتعرف أدباء حمص وشعراءها، فكان لنا لقاء به في أحد منتزهات (المياس) على نهر العاصي، عصر أحد الأيام، وكان عبد الباسط الصوفي واحداً من شهود هذا اللقاء الأدبي، بل من عناصره الأساسية. وقد دار الحديث حول تاريخ حمص في الأدب العباسي وخاصة الشاعر ديك الجن الحمصي. وأذكر أن الدكتور مندور طلب من شعراء اللقاء أن يلقوا على أسماعه شيئاً من أشعارهم فاستجابوا واستجاب عبد الباسط عندما جاءه الدور، وألقى باقة من قصائده نالت إعجاب الدكتور مندور وزوجته واستحسانهما وتصفيق الحضور. . .»

### ■ مشادة بينه وبين أمه

ويتابع الزميل الأديب ممدوح السكاف حديث الذكريات قائلاً :

« . . وكان عبد الباسط يدخن بشراهة، ولا يكاد يترك السيكارة من يده فيحرق معها دمه وأعصابه. وذات مرة جاء إلى المقهى حيث كنا نلتقي عادة في العصر من كل يوم تقريباً غاضباً حانقاً مكفهر الوجه عابس الملامح، وجلس لا ينبس ببنت شفة، ودار بيننا الحوار التالي، سألته :

- ما بك؟ أراك مُعْكراً . .

- لا شيء...  
 - بل لا بد من أن يكون هناك شيء...  
 - حصلت بيني وبين أمي مشادة: دائماً تقول لي يا عبد الباسط خفف من تدخينك. التدخين يضر بصحتك يا إبنى. . فصرخت بوجهها: تقولين صدري صار مدخنة... مدخنتي وأنا حر بها. . هل لك علاقة بي؟!  
 ثم أردف قائلاً بعد فترة صمت:  
 - وأنا الآن نادم على قلة ذوقي معها... إنها أم!!  
 قلت له مازحاً لأهدىء خاطره:  
 - طيب... إذن خذ سيجارة... وزد من هباب مدخنتك يا صديقي...  
 وضحكنا بعمق بينما كنا نشعل اللفاتين.

#### ■ نماذج من أشعاره

##### [عربي أنتَ]

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| فاملاً الدنيا لهيباً ودماً   | عربيُّ أنتَ أرضاً وسماً       |
| وامتطِ الريحَ وهاتِ الأنجماً | وانطلقِ للشمسِ في آفاقها      |
| ونضالاً هادرَ الموجِ عنيداً  | عربيُّ أنتَ تاريخاً مجيداً    |
| وانتفضِ فوقَ الليالي جمماً   | فافتحِ الأجواءَ شهباً وبنوداً |

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| تهدمُ الموتُ وتبني ما تشاء | عربيُّ أنتَ في قلبِ الفناء  |
| وطموحُ يتحدى القمماً       | قبسُ أنتَ على المجد أضواء   |
| قبضةٌ تلطمُ أقدار الحياة   | قلْ نهضنا واعتصرنا النائبات |
| ثمَّ تبني للعلی ما انهدما  | تصفعُ البغي وتطوي العاصفات  |

## [اذكريني]

اذكريني ، عندما يبتهل الصَّمتُ العميقُ  
عندما يغفو على خديكِ لونٌ وَيَفِيقُ  
كلما رفَّ على عينيكِ وجدانٌ طليقُ  
وجرى ، في ثغركِ الوداع ، إحساس رقيق - اذكريني  
وأنا . أنتِ على الدَّربِ ، خُطى حُلُمٍ وثيدٍ

تنثرُ الريح على أقدامنا دَمَعُ الورودِ  
سَلِمَتِ أقدامنا ليس عليها من قيودِ  
اسكبي الفجرَ ، مواعيداً ، وعيشي بالوعدِ  
وارشقي الأنجمَ أحلاماً على الأفق البعيد - اذكريني

## [حضنت الثلج]

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| يا مَنْ حضنتَ الثلجَ في صمتهِ ، | خَلَفَ ثلوجِ الصَّمتِ أقدارُ |
| حقولُك الحبِّ ، على جرحهِ ،     | تشابكُ الزيتونُ والغارُ      |
| فكرمةٌ . . تحلُمُ في عرسِها ،   | وعاشقٌ . . دنياهُ أسرارُ     |

### المصادر:

- آثار عبد الباسط الصوفي الشعرية والنثرية ، من مقدمة الدكتور ابراهيم كيلاني ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، ص ٦ .
- عبد الباسط الصوفي الشاعر الرومانسي ، ممدوح السكاف ، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، ص ٦٥ - ٦٧ .
- مجلة صوت سورية ، العدد ٢٣ و ٢٤ تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٤ .



## خليل حاوي

في السادس من حزيران عام ١٩٨٢، العاشرة ليلاً، كان الشاعر خليل حاوي يمشي في ليل بيروت، وكان يوم أحد وقد احتلت اسرائيل جنوب لبنان. . رائحة الغبار. . والبارود. . وأصوات القذائف تملأ الفضاء. . الشاعر يصعد درجات بيته وحيداً. . دخل إلى شرفة غرفته التي تطل على البحر الأبيض المتوسط. . حمل بندقيته وأطلق رصاصة واحدة على رأسه المبدع. . وقد تعمد أن يكون سقوطه بجانب الفتحة التي تصرف الماء. . لئلا يزعج والدته في تنظيف الشرفة من الدم الذي سينزف منه!!

لم يقل خليل حاوي شيئاً، ولم يكتب وصيته. . ولماذا انتحرا!! كل ما قاله وهو يشاهد مدينته محتلة: «مين بدو يشيل هالذل عني». «أين العرب»؟! لقد جاء انتحار الدكتور خليل حاوي «كذروة درامية لمعاناة الطليعة الشعرية العربية، التي حاولت المستحيل من أجل إحداث تغيير جذري في بنية الكتابة الشعرية العربية». بهدف أن يستعيد الشرق دوره القيادي وأمجاده العظيمة. . لاسيما وإن الأمة العربية الماجدة تحتزن قدرات حضارية كبيرة وطاقات نفسية عالية. يقول الدكتور خليل حاوي:

(أضلعي امتدت لهم جسراً وطيد

من كهوف الشرق، من مستنقع الشرق

إلى الشرق الجديد

أضلعي امتدت لهم جسراً وطيد  
سوف يمضون وتبقى  
صنماً خلفه الكهان للريح  
التي توسعه جلدأً وحرقا  
فارغ الكفين، مصلوباً وحيد  
أخرسي يا بومة تفرع صدري  
بومة التاريخ مني ما تريد  
في صناديقي كنوز لا تبعد

### لمحة عامة عن حياة الدكتور حاوي

ولد في قرية جميلة من قرى جبل لبنان تدعى «الشوير» في الأول من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩١٩. وقد كان والده بناءً يذهب في بداية فصل الربيع للعمل في سورية. وبمكان أدق في منطقة الجولان. درس في مدرسة القرية. ثم تابع تحصيله العلمي في مدرسة (الشويفات). بعد ذلك التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت ونال شهادة (الماجستير) عام ١٩٥٥. على اثر تخرجه حصل على منحة من الجامعة الأمريكية للدراسة في جامعة (كامبردج) ذات السمعة العالمية، وظل هناك ثلاث سنوات حتى نال شهادة الدكتوراه عام ١٩٥٩. وعاد إلى لبنان استاذاً للنقد الأدبي في الجامعة الأمريكية ببيروت وظل يحاضر على طلابه حتى انتحاره، أي حوالي الـ (٣٥) سنة.

### إيليا حاوي يتحدث عن شقيقه

حين أتمثل أخي خليل، الآن، عبر عمره الطويل، تحتشد عليّ صور كثيرة في فترات مختلفة. حيناً أراه ساهراً في الليل على ضوء سراج الكاز، وهو يقرأ في كتاب استعاره أو قدّر له بشق النفس أن يشتريه وكان في نحو الرابعة عشرة من عمره. أو أراه منكباً على العمل في حانوت أحد الاسكافيين، في الشوير، كان يطيب له أن يتسلق جبل صنين صيفاً، ومازلت أراه يتسلق ذلك الجبل عنوة، يصعد، ويصعد ويتسلق، غير حافل حتى يدرك قمته العليا وهناك، يقف ويتنشق

النسيم البكر الأول . . كما أنه يجلس هناك يتأمل . . من أبرز ما يميز خليل حاوي نزعة حبه للحق . . تجد لديه اليأس والتفجع ، والأمل والتفاؤل .

### شهادة طبيبه الشخصي

يقول طبيبه الشخصي نسيب همّام :

ليس هناك في وضعه النفساني ، ما يمكن اعتباره خارج المألوف . كنت طبيبه وجميع استشاراته الطبية كانت تجري بإشرافي . وحالته الصحية لا تتعدى وضع من يعيش في توتر عال ومستمر . أرق كثير كان ينتابه ويعالجه ببعض الحبوب المهدئة ، واضطراب فكري يجعله يتأثر أكثر من الانسان العادي من جراء بعض الأحداث . ويمكن ارجاع ذلك إلى مزاجه الذي يشبه شريط البولاد فهو دقيق وقوي ومتوتر باستمرار .

### نتاجه الأدبي

- نهر الرماد ، شعر ، ١٩٥٧ .
- الناي والريح ، شعر ، ١٩٦١ .
- بيادر الجوع ، شعر ، ١٩٧٩ .
- من جحيم الكمبيوتر ، شعر ، ١٩٧٩ .
- العقل والايان بين الغزالي وابن رشد ، دراسة .
- جبران خليل جبران إطاره الحضاري وشخصيته وآثاره ، دراسة .
- بالاضافة إلى عدد كبير من الدراسات النقدية التي نشرها في المجلات والدوريات العربية .

### قراءة في شعر خليل حاوي

يقول الدكتور حسين مروة : «القدر الجامع في شعر حاوي كله ، هو أنه يحمل همّاً كبيراً من هموم عصرنا الحاضري . . أعني به أولاً هذه الثورة التي تتجتاح الأشكال الشعرية التقليدية ، بعد أن أصبحت هذه عاجزة عن استيعاب تجارب العصر المعقدة . . وأعني به ثانياً هذه المعاناة الجادة لمعضلات إنسانية فلسفية هي من مستلزمات الانسان الشاهد عصره الحاضر ، شهوداً فعلياً .

لقد نجح في إبداع صيغ عربية، أصيلة المحتد، بالاضافة إلى تراثيتها الشعبية، تحمل من زخم الطاقة ما يقوى على استيعاب مجالات الرؤى البعيدة وإحياءات الصور وحيوية «الرموز» يقول حاوي :

(جارتى يا جارتى  
لا تسألينى : كيف عاد  
عاد لي من غربة الموت الحبيب  
حجر الدار يغني  
وستار الحزن يخضر  
ويخضر الجدار  
عند باب الدار ينمو الغار، تلتهم الطيوب  
عاد لي من غربة الموت الحبيب  
زنده من بيلسان حول خصري،  
زنده يزرع نبض الوردة  
الحمرا بعمرى  
بعد أن رمد في ليل الحداد).

لقد رأى خليل حاوي أن الحياة مأساة وفجيرة دامية . . تفوق مأساة الموت ووحشة القبر<sup>(١)</sup>. بل رأى الموت هو المنقذ من المأساة التي يعيشها في كل لحظة . . فكانت بداية النهاية بالنسبة لشاعرنا الراحل . . . لاسيما بعد أن شاهد احتلال الجنوب من قبل الغزاة الصهاينة، كما وأن بيروت نفسها كانت في طريقها إلى الاحتلال . . .

**خطبة خليل حاوي تسلط أضواء جديدة على سيرة الشاعر**

تقول القاصة العراقية ديزي الأمير:

- أنا لم أفاجأ حينما قيل لي أنه انتحر. أتذكر أنني كنت في المركز الثقافي

---

(١) انظر كتابنا الموتى يتحدثون .

العراقي في بيروت وجاءني صديق قال لي: هل قرأت صحف اليوم؟ قلت حتى الآن لا. قال: هل سمعت عن خليل؟ فأجبت هل انتحر؟ قال لي: إذن أنت قرأت الصحف. فقلت: أنا أتوقع دائماً من خليل أن ينتحر لأنه كان يعيش عزلة شديدة جداً. وكان يتوهم أن كل من حوله قد تركه، وأن الناس قد ابتعدوا عنه. طبعاً كان الهمّ اللبناني كبيراً جداً في نفسه. أنا الآن اعتقد أن خليل عندما انتحر كان بطلاً عظيماً. تصور أن خليل يعيش الآن في لبنان في ظروفه الحالية - الاجتياح - لا يستطيع التحرك، لا يستطيع أن يذهب إلى الشوير. ومع أنه كان يائساً عندما انتحر إلا أنني أعتقد أنه بطل كبير لأنه استطاع أن يقدم على هذه الخطوة التي اعتبرها بطولية!!

بعد مرور ثلاث سنوات على فسخ خطوبتنا راجعت نفسي فاكشفت أن في خليل بعض الأمور الصعبة جداً كرفيق حياة. كان عصبياً لدرجة غير معقولة، ويغضب لأنفه سبب. صحيح أنه يعود يتصالح مع نفسه ومع الآخرين، ولكن بعد أن يكون قد أحدث ثغرة بينه وبين الآخرين.

لقد عرفت خليل سنة ١٩٥٦. كنت أتردد في الصيف على لبنان وأراه. ثم رأيته في انكلترا. ثم عدت إلى لبنان، ثم خطبنا ثم فسخنا الخطوبة. كان يشكولي همومه. يقول لي إنه سوف ينتحر. أنا لم ألتق بخليل مرة إلا وقال لي سأضرب رأسي برصاصة. ولكثرة ما كرر هذا الكلام لم أكن لأصدق إذ ليس هناك ما يستدعي أن ينتحر: رجل ناجح، ووضعه الاجتماعي جيد، وله صداقات وكرر ذلك مراراً. . .

خليل هو حبي الوحيد وليس فقط الحب الأكبر في حياتي. . . عندما ماتت كانت العاطفة التي في قلبي تجاهه تقريباً قد انتهت. كنت طبعاً أتمنى له الخير وقد قلت له مرة: إذا أردت أن تتعرف على فتاة، فأنا مستعدة أن أعرفك على عدد من الفتيات ولكنه غضب مني. . . وكنت أتمنى لخليل أن يتزوج واحدة أعرفها فتكون صديقتي وأستطيع أن أزورها بدون حساسيات سابقة. كنت أتمنى له أن يستقر ويرتاح. كان خليل يحتاج إلى امرأة ترتب حياته. كان خليل فوضوياً جداً. وقد استمرت الفوضوية معه إلى أن أنهته بالانتحار.

## (نموذج) من رسائل حاوي لديزي الأمير

عزيزتي ديزي

إن ما ذكرته في إحدى رسائلك هو الحقيقة كل الحقيقة، فأنا الآن، وقبل أن أتقدم بي السنّ أحس بالوحشة المضنية وباليأس الذي يسخر من كل جهد، ويظهر ما وراء البريق الخداع من جُذْب عقيم، هلاًّ امهلتني أسبوعين بعد واعفني من الكتابة إليك هذه المدة، شرط أن تكتبي أنت دائماً، اكتبي عن الحب. عن النشوة، عن الذكرى، اكتبي ذلك وافعلي في لبنان ما شئت، أحبي، تزوجي، اسكري عربدي، ولكن اكذبي عليّ وأنا مستعد أن أصدق، اني أمر بأزمة هائلة، أزمة تجعلني أتعلق بحبال الوهم، فهلاًّ أبقيت على هذه الحبال ولو إلى حين، بإمكانك أن تتقمني الآن من تردي أروع انتقام وأبسطه وهو أن تنقطني عن الكتابة، أن تحرميني من آخر حبل أتعلق به، أنا بانتظار رسائلك.

خليل

١٩٥٦/١٠/٢٣

## نموذج آخر

حبيتي . . .

بكيتُ مرتين في الأيام الأخيرة، نعم بكيت، أريد، أن أقولها، أنا من كان يعتز بأنه لا يبكي وأن عينه لا تعرف الدمع، بكيت يوم سوّدتُ رسالتني الأخيرة إليك، وبكيت اليوم عندما قرأت رسالتك، إنها من الأعماق، إنها أطيبت تعبير عن أطيبت نفس، لا تعرف الحق ولا ليس من طبيعتها أن تحقد أو تبغض . . . قاسية كانت الأيام، وكانت مرة خاوية ميتة، وكأنك كنت الصلة الوحيدة التي ماتزال تصلني بالحياة . . .

خليل

١٩٦٢/١٢/١٩

## ■ صفحات مجهولة من حياة خليل حاوي

يقول صديق الدكتور خليل حاوي، الدكتور المعروف ميشال جحا في

دراسة قيمة عن شخصية شاعرنا الراحل وشعره :  
كان خليل في أول الأمر قد بدأ بنظم الشعر باللغة العامية أو ما يعرف  
بالزجل . وقد نشر في أوائل الأربعينات العديد من القصائد في المجلات اللبنانية  
نذكر منها :

«يا حلوة الحلوين يَلِيَّ  
كُلُّكَ حَنَانٌ وَحُبٌّ  
باستحلفك لا تغَيِّرِي الطَّلِيَّ  
ولا تَجْفِلِي هَالِقِ القلب . . .»

ولكنه قد تنكَّر فيما بعد لهذا الشعر العاميِّ ، وأراد أن يكون شاعراً باللغة  
الفصحى ، اللغة التي يفهمها العرب أجمعين ، أراد أن يطلَّ منها على الوطن العربي  
وأن يكون شاعر الأمة العربية جمعاء .

كان خليل حاوي صريحاً حدَّ الوقاحة ، لم يكن متكبراً على الرغم من أنه كان  
معتداً بنفسه ومعجباً بشعره حدَّ الغرور لا يطيق أن يسمع فيه أي نقد أو انتقاد ولا  
أن يؤخذ عليه فيه أي مأخذ .

وكان ناقماً على بعض الأدباء والشعراء ، ونقمته ليست صادرة عن حقد أو  
حسد بل بسبب مواقفهم السياسية الانتهازية . فكان يرى في ذلك تدنياً للأدب  
والشعر ولمكانة الأديب والشاعر .

كان خليل حاوي كثير المطالعة والقراءة . يقرأ من الشعر العربي القديم  
وخاصة المتنبي والمعري . ومن الشعر الغربي : لشكسبير وغوته (مترجماً) وبودلير  
واليوت وازرا باوند . وهذا الأخير كان متأثراً بشخصيته شديد التأثير . وكان يقول  
عنه أنه كان فاشياً يكره الصهاينة واليهود فتألبوا عليه حتى اتهم بالجنون فأدخل  
السجن .

وكان يقرأ كذلك كتب النقد الأدبي وبخاصة مؤلفات الدكتور محمد مندور .  
بالإضافة إلى المؤلفات الفلسفية والفكرية . كان خليل واسع الأفق منفتحاً على  
التيارات المختلفة . كما كان يقرأ في كتب التراث العربي فيعجبه الجرجاني فيمن  
ألَّفوا في نقد الشعر وتذوقه ، كما كانت تعجبه (ألف ليلة وليلة) ومنها أخذ بعض  
رموزه مثل «شهرزاد» و«السندباد» .

## ■ لماذا لم يتزوج خليل؟

هل كانت حياته أسعد لو كان أقدم على الزواج؟  
هل كان باستطاعة شريكه حياته أن تخفف من وحدته؟  
هل كان وجود الأطفال في البيت، يجعله أكثر تعلقاً بالحياة؟  
أسئلة لا أجوبة عليها. الأجوبة تسكن في جسد المنتحر...!! ربما كان يرى في الزواج قيداً. والشاعر يريد أن يكون حراً يأبى القيود. وهو يعبر عن ذلك بقوله: «الشعر يستولي على نفسي بكليتها وأن أقرب النساء إليّ كما قالت إحداهن تأتي في الدرجة العاشرة بعد الشعر».

كان خليل حاوي يخاف أن يشاركه في شعره مشارك فكان أن تزوج الشعر. ولم يشأ أن يتخذ للشعر ضرة. بل إنه لم يكتف بأن تزوج الشعر بل إنه تبتل معه. كان خليل يحب المرأة الذكية، والمرأة التي تفهمه وتستطيع أن تعيش معه بالرغم من مزاجيته وهبوطه النفسي.

---

### المصادر:

- الأعمال الشعرية الكاملة، خليل حاوي، ط دار العودة - بيروت.
- خليل حاوي رسائل الحب والحياة، دار النضال - بيروت - ص ٧٣ و ١١١.
- مجلة دراسات عربية، العدد (٧)، أيار (مايو) ١٩٨٥، بقلم الدكتور ميشال جحا.
- مجلة الحوادث، ١٣/٦/١٩٨٦، مقابلة صحفية أجراها الناقد جهاد فاضل مع الأديبة ديزي الأمير.



## درية شفيق

يتحدث الصحفي المصري المعروف الأستاذ مصطفى أمين عن مأساة وملايسات انتحار الدكتورة درية شفيق قائلاً:

صدرت جريدة «الأهرام» ذات صباح، وفي صدر الصفحة الأولى صورتان كبيرتان بعرض أربعة أعمدة بعنوان «قران سعيد»، ودهش القراء، فهذه أول مرة تنشر جريدة «الأهرام» صورة عروسين في الصفحة الأولى... حتى خبر زواج الملك «فؤاد» من الملكة «نازلي» نشرته جريدة «الأهرام» الوقورة في صفحة المحليات في داخل الجريدة... وتضاعفت دهشة القراء عندما قرأوا أن العريس هو الكاتب الشاب المحبوب «أحمد الصاوي محمد»، الذي يكتب باب «ما قلّ ودل» في الصفحة الأولى من «الأهرام»، وقد كان «الصاوي» يومئذ أحد نجوم الصحافة الموهوبين وكانت كتاباته وقصصه موضع إعجاب السيدات والآنسات فقد كان ينصر المرأة، ويؤيد تعليمها، ويحيي نجاحها في جميع الميادين، وكانت العروس هي الأنسة «درية شفيق» التي تحمل شهادة في الآداب والتي حصلت على (الليسانس) من جامعة السوربون في باريس، والتي تحدث المجتمع عن جمالها ونبوغتها.

ثم زاد ذهول القراء عندما قرأوا في النبأ أن حفلة عقد القران تمت في قصر السيدة «هدى شعراوي» زعيمة النهضة النسائية في مصر، وأن قيمة الصداق كانت خمسة وعشرين قرشاً مصرياً فقط!!

وكان هذا الزواج هو زواج الموسم وخاصة أن بطليه كانا من أنصار المطالبة بحقوق المرأة، وتم عقد الزواج بسرية تامة، ولم يتسرب النبأ أو الاشاعة إلى جريدة أو مجلة وانفردت «الأهرام» وحدها بنشر الخبر الخطير. . .

ولكن الزواج الذي أحدث ضجة كبرى لم يستمر، بل حدث الطلاق قبل الزفاف، فقد كان «أحمد الصاوي» أوروبياً من الخارج وصعيدياً من الداخل، ولد في مدينة أسوان وتعلم في باريس، فهو متحرر في كتابته ومحافظ في بيته، وكانت «درية شفيق» متأثرة بدراستها في السوربون، تطالب للمرأة المصرية بكل حقوق المرأة الفرنسية. تريدها ناعبة ونائبة ووزيرة وكان «الصاوي» لا يمانع أن تكون كل امرأة في مصر وزيرة وسفيرة ما عدا زوجته هو فإن مكانها في البيت. وتم الطلاق. . . وعندما تزوج «أحمد الصاوي محمد» بعد ذلك بأكثر من عشر سنوات رفض أن تنشر صورة زوجته في الصحف، ولم تظهر حتى الآن صورة زوجة «الصاوي» الثانية على صفحات الصحف بينما مضى على زواجهما أكثر من خمسة وثلاثين عاماً!!

وقابلت «درية شفيق» صدمة الطلاق بشجاعة غريبة. . . وسافرت «درية» إلى باريس للحصول على درجة الدكتوراه من السوربون وكان موضوع رسالتها «المرأة في الاسلام»، وقد أثبتت في رسالتها أن حقوق المرأة في الاسلام هي أضعاف حقوقها في أي دين آخر.

وكانت «درية» قد أعلنت أنها لن تتزوج بعد فشل زواجهما بـ «الصاوي»، وأنها قررت أن تتزوج قضية المرأة المصرية، ولكن حدث لها في باريس حادث غريب لم تتوقعه أبداً، فقد التقت في باريس بقريب لها، كانت «درية» تعرفه وعمرها سبع سنوات، وكانت تزوره مع أمها في بيته، وتلعب معه لعبة «الاستغماية»، وكانت تشعر نحوه بشعور الأخوة والمودة التي تشعر بها نحو صبيان الأسرة.

ثم كبر الشابان وافترقا، كان هو يتلقى العلم في القاهرة، وكانت هي تدرس في الاسكندرية، فعندما تخرجت في كلية الآداب بجامعة القاهرة رشحها أساتذة الكلية لتكون معيدة نظراً لتفوقها، ولكن الأستاذ «أحمد أمين» عميد كلية الآداب رفض أن يوافق على تعيينها بحجة أنه لا يستطيع تحمل مسؤولية (جمال) المعيدة في كلية الآداب، ولهذا قرر وزير المعارف تعيينها مفتشة لمدارس البنات في

الاسكندرية بعيداً عن عيون الرجال! وقالت جريدة «الديلي ميل الانكليزية» إن «درية شفيق» أجمل بكثير من أن تشغل أي منصب في الدولة!

وعندما وصلت «درية» إلى باريس استغرقت في إعداد رسالة الدكتوراه ثم علمت أن ابن خالتها الدكتور «نور الدين رجائي»، وهو الولد الذي كانت تلعب معه «الاستغماية» في القاهرة وعمرها سبع سنوات، وصل إلى باريس للحصول على الدكتوراه في الحقوق.

والتقت الشابة التي أقسمت ألا تتزوج إلى الأبد بالشاب الذي لم تخطر بباله فكرة الزواج، وتكرر لقاء الشابين في الأماكن العامة، ولا يدور بينهما إلا حديث الأقارب الذين يلتقون في بلد غريب. . . . ودون إنذار شعرت «درية» أنها تحبه فقبلت عرض الزواج.

شعرت أن هذا الشاب عرفها طوال عمرها، واقتنع بمبادئها، ووجدته يشاركها كل آرائها في حق المرأة المصرية أن تكون ناعبة ونائبة ووزيرة. . .

وانصرف العروسان إلى دروسهما وحبهما، وبعد عامين فرغ «نور الدين رجائي» من دراسته وحصل على درجة الدكتوراه. . . ولحقت به «درية» بعد شهرين ومعها درجة الدكتوراه أيضاً، وفي القاهرة أقامت الأسرة لهما فرحاً للمرة الثانية. وعاشا معاً أسعد الأزواج، وانصرف الزوج إلى التدريس في كلية الحقوق بالقاهرة معيداً ومدرساً وأستاذاً!

أما «درية» فقد أعطت حياتها لقضية المرأة. وأصدرت مجلة (بنت النيل) فنجحت نجاحاً كبيراً، ثم أصدرت مجلة أنيقة باسم (المرأة الجديدة) ثم أصدرت مجلة ثالثة باسم (الكتكوت) للأطفال، وأسست حزباً جديداً باسم (حزب بنت النيل) انضمت إليه كثيرات من النساء المصريات، وكان حزباً نشطاً يعقد الاجتماعات ويصدر الاحتجاجات، وأثار الحزب النسائي ضجة في مصر عند تأليفه وهاجمتها الصحف وأعلن الرجال الحرب عليها وصمدت للهجوم والشتائم. . .

وحدث في عام ١٩٥٤ أن اعتصمت في دار نقابة الصحفيين وأصربت عن الطعام حتى تحصل المرأة المصرية على حق الانتخاب، وانضم إليها عدد من نصيراتها من السيدات وطالبات الجامعة، وعاندت «درية» المسؤولين الذين حاولوا

نصحها بالعدول عن الاضراب حتى تعرضت للموت، وهنا نقلت هي وزميلاتها إلى مستشفى القصر العيني حيث أنقذت من الموت بأعجوبة . . . وبدأت تقوم برحلات إلى جميع أنحاء العالم تنشر قضية المرأة المصرية، ووصفتها جريدة «الدليي ميرور» الانكليزية بأنها تحاول أن تتشبه بـ «كليوبترا»، وأن حياتها عبارة عن سلسلة طويلة من الكفاح من أجل حقوق المرأة المصرية. وسافرت إلى الشرق، واجتمعت بزعمائه وحكامه، ودعاها الزعيم «نهر» رئيس وزراء الهند لتكون في ضيافته في أثناء زيارتها للهند، وقالت وكالات الأنباء إن الدكتورة «درية شفيق» كانت سنة ١٩٥٤ «واحدة من أهم عشر سيدات في العالم».

ولم تعجب (مراكز القوى) في مصر بنشاطها الذي زاد عن حده، وبدأت الصحف والمجلات تهاجمها، وتطلق عليها اسم «الزعيمة المعطرة» وهاجتها إحدى المجلات المصرية وقالت: «إن الزعيمة كانت جميلة فعلاً أيام زمان، ولكنها الآن بشهادة الجميع تعتبر ملكة الأناقة في مصر». ولما كانت (مراكز القوى) لا تريد ملوكاً في مصر، فقد صدرت الأوامر بمحاصرة نشاطها ومنع نشر أخبارها.

وفوجئت السلطات المصرية في يوم الأربعاء ٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٥٧ بـ «درية شفيق» تدخل دار السفارة الهندية في حي الزمالك بالقاهرة، وتعلن اعتصامها في السفارة وإضرابها عن الطعام حتى الموت، وإصدارها بياناً لوكالات الأنباء الأجنبية جاء فيه:

«أمام الظروف القاسية التي تمر بها مصر قررت بعزم أكيد أن أقوم بالاضراب عن الطعام حتى الموت، وذلك ابتداء من اليوم الأربعاء ٦ شباط سنة ١٩٥٧ بالسفارة الهندية بالقاهرة، وذلك لاستخلاص حريتي الخارجية والداخلية، وإني كعربية ومصرية أطالب من السلطات الدولية العمل على انسحاب القوات الاسرائيلية فوراً من الأراضي المصرية، والوصول إلى حل عادل ونهائي لمشكلة اللاجئين العرب . . . وإني إذ أقدم على التضحية بحياتي لتحرير بلادي أتحمّل وحدي مسؤولية هذا العمل، وقد تركت زوجي الدكتور نور الدين رجائي

وطفلتين، فإذا مسهم سوء فإنني أحمل الضمير العالمي والمصري مسؤولية ما قد يصيبهم».

إمضاء د. درية شفيق

وقامت قيامة (مراكز القوى) في مصر، ولم تستطع الشرطة اقتحام السفارة الهندية والقبض على «درية شفيق»، ونشرت الصحف العالمية نبأ إضراب الزعيمة المصرية عن الطعام ومطالبتها (بمزيد من الديمقراطية) في مصر... .  
وتدخل الرئيس «نهر» وأرسل إلى الرئيس «جمال عبد الناصر» يطلب إليه أن يسمح بخروج «درية شفيق» حرة من السفارة الهندية وعودتها إلى بيتها بغير القبض عليها.

ووافق «ناصر» على تحديد إقامتها في شقتها بالزمالك، وخرج السفير معها في سيارته إلى أن أوصلها إلى بيتها... .  
وأصدرت الحكومة على الفور قراراً بإغلاق مجلة (بنت النيل) ومجلة (المرأة الجديدة) ومجلة (الكتكوت).

وحشدت (مراكز القوى) جميع الجمعيات النسائية الخاضعة لنفوذها، وجعلت رئيساتها يبصمن على قرار استنكار موقف «درية شفيق»... .  
وحاصرت الشرطة مكتب زوجها الدكتور «نور الدين رجائي» المحامي، فكانت تقبض على كل زبون من زبائن المكتب وتهدد كل من يريد أن يوكل المحامي المشهور ليرافع له في قضية.

وأعلنت (مراكز القوى) الحرب على زوج الزعيمة واعتقل لمدة تسعة شهور، بلا ذنب... . إلا أنه زوج الزعيمة الثائرة! وتم الاتفاق ودياً بين الزوجين السعيدين على الانفصال، وبرغم هذا الانفصال فقد كانت العلاقات بينها ودية، ولم يفتح واحد منهما فمه بكلمة يجرح بها حبيبته القديم.

وذملت «درية» في وحدتها، أنصارها تخلوا عنها، صديقاتها انقطعن عن زيارتها، والصحف منعت من ذكر اسمها حتى وهي تذكر القرار بمنح المرأة المصرية حق الانتخاب ودخول نائبات في البرلمان وتعيين وزيرة في الوزارة، نسي الناس اقتحامها البرلمان سنة ١٩٥١ مطالبة بحق المرأة في الانتخاب، ونسوا أنها

فقدت حريتها وصحفها ومالها وزوجها لأنها طالبت بمزيد من الديمقراطية .  
وبقيت «درية شفيق» شبه مسجونة في شقتها في الدور السادس بعمارة «وديع سعد» طوال ١٨ عاماً، لا تزور أحداً ولا يزورها أحد!  
وكنْتُ أراها - والكلام ما يزال للأستاذ مصطفى أمين - من وقت لآخر في مصعد العمارة - لأنها كانت جاري - بلا زينة ولا طلاء، في فستان قديم، وقد كانت قبل ذلك ملكة للجمال وملكة للأناقة، وجهها شاحب، عيناها تبكيان بلا دموع، شفتاها ترتعشان بلا نطق، قلبها ينزف بلا دم، روحها تصرخ بلا صوت، كانت هذه المرأة أشبه بالشيخ، امرأة ميتة تمشي خرساء برغمها . . .  
وكتبت في أثناء تحديد إقامتها (١٦) كتاباً طبعت مطابع فرنسا أربعة كتب منها .

وبعد ظهر يوم ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٥ عدت إلى بيتي بعد أن تناولت الغداء في أحد الفنادق، وفي ردهة العمارة رأيت جمعاً من الناس يلتف حول ملاءة بيضاء، وسألت ماذا حدث؟ قالوا: إن سيدة أَلقت بنفسها من شرفة الطابق السادس .  
ورفعتُ الملاءة البيضاء ووجدت جثة جاري «درية شفيق» .

---

المصدر:

- شخصيات لا تنسى، مصطفى أمين، ج ١، دار المعارف بمصر، ص ٢٥٧ .

## يوكيو ميشيما



الكاتب الياباني قبل انتحاره بدقائق وكان يتحدث إلى الجنود اليابانيين

هؤلاء القادمون من غابة الأسرار يرحلون كالتميمة . فالأثر الذي يتركونه يشبه المرض العضال يحمل سره في نفسه ولكنه يؤدي . إنهم مثل «غابة الأزاهير» تعرف أن تنشر الرحيق وتنسى أسبابه وعناصره . إنهم التميمة التي تردّ الشر ولكنها ترفض الخروج من دائرة الألغاز . وغالباً ما يكون هؤلاء في غاية الحساسية والضعف . كائنات سريعة العطب وخطرة . لأنها تبحث دائماً عن القوة العتية ، وحين تصبح قوية تنفجر في نفسها وفي الآخرين . وغالباً ما يكون ثمن الوصول إلى القوة هو السقوط في هاوية الفناء ، أو الرحيل إلى دنيا جديدة ! من بين هذه الكائنات أطل الكاتب الياباني ميشيما بقامته القصيرة ورأسه المدور وعينييه القاسيتين وقال : «أريد أن أجعل من حياتي قصيدة» . لأنه عرف سره الشخصي وسر العالم ، وباتت العبارة عاجزة عن إيصال الرسالة ، فلم يجد وسيلة أفضل من الدم . . .

في كتابه «أسطورة سيزيف» يذكر البيركامو حالة من حالات الانتحار التي

درسها وهي أن شاباً كتب رواية وانتحر ليؤمن لعمله الأدبي الدعاوة والشهرة اللازمة. وبالفعل تحدث الجميع يومها عن الرواية والروائي المنتحر، علماً أنها لم تكن رواية قيمة، كما يذكر كامو!!

أما يوكيو ميشيما فكان يوم انتحاره على طريقة (الساموراي): (الهراكيري)، يوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠، في عز مجده الأدبي، وكان صاحب سمعة أدبية عالمية وأحد أبرز المرشحين لنيل جائزة نوبل للآداب. ودخوله تجربة (الساموراي) كان عن وعي وإدراك بالغين بالاضافة إلى الدقة التي نفذ فيها انتحاره، رابطاً بذلك حاضره الشخصي بإحدى أبرز العادات اليابانية القديمة وأكثرها قسوة...

«الذاكرة هي الاثبات الأنقى ليومنا». هذا ما يقوله ميشيما في كتابه «غابة الأزاهير» ويضيف: «الحب أو التفاني - وهما شعوران لشدة نقائهما يصعب وجودهما في الواقع - لا يمكن وجودهما أو تصورهما أو السعي إليهما حقاً إلا عبر الذاكرة. كالساقية حين نسعى إلى رؤية انعكاس السماء الزرقاء فيها بينما تغطي مياهها الأوراق الميتة. الأوراق الميتة على صفحة المياه لا يمكن أن تعكس السماء...». ويتابع ميشيما في مكان آخر: «لدينا عدد لا متناه من الأسلاف. ويحدث أحياناً أنهم يستريحون في دواخلنا، كأشواق رائحة، ولكن يحدث أيضاً أنهم يبقون، بعناد، بعيدين عنا، ويحافظون على مسافة مؤلمة. ان أسلافنا يأتون إلينا عبر طرقات عديدة. ربما الناس تشك بذلك. ولكنها الحقيقة».

كتاب «موت وحياة ميشيما» للبريطاني هنري سكوت ستوكز مليء بالمفاجآت والأخبار الآتية من حالات سحرية. لأن ستوكز عرف ميشيما معرفة قريبة في السنوات الأخيرة التي سبقت انتحاره. فقد كان مراسلاً لجريدة «التايمز» اللندنية لمدة طويلة في طوكيو، حيث تعرف إلى المجتمع الياباني بثقافته اليومية الحافلة بالأساطير والحكايات والأسرار. لذلك فإن كتابه «موت وحياة ميشيما» يعتبر من أهم الوثائق حول حياة الكاتب، وصدوره بالانكليزية، واليابانية، والألمانية والفرنسية في آن واحد، يدل على أهمية الكتاب. فقد استطاع ستوكز أن يتابع ميشيما منذ ولادته عام ١٩٢٥ حتى انتحاره عام ١٩٧٠.

علماً أن ميشيما كان يتهم الغرب، والمثقفين الغربيين خصوصاً، بأنهم غير

قادرين على فهم الشخصية اليابانية، وهذا ما قاله لستوكز نفسه، إذ اعتبر أن المثقفين في الغرب يأخذون من الشخصية اليابانية ما يحلو لهم وما يتناسب مع ظروفهم السياسية والتاريخية. «في الثلاثينيات كانوا في الغرب يصورون اليابانيين بأنهم مقاتلون أشداء لا رحمة في قلوبهم ولا شفقة ولا يرتوون من الدم. . . أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد أخذوا يصورون هذه الشخصية بأنها دمثة مسالمة لا تحب العنف ولا تكثرث لغير التجارة. . .».

وميشيما حينما يتحدث عن الشخصية اليابانية يصورها كحالة شاملة وبالغة التعقيد من حيث تعدد مصادرها. فإنه محافظ ومتحلل، يدعو إلى إعادة الاعتبار إلى روح الساموراي التاريخية في حاضر المجتمع الياباني، ويعتقد أن الإمبراطور هو الصورة المجسمة لروح الأمة اليابانية.

وإذا كان ميشيما صاحب خطاب سياسي ملتزم، لاسيما في الفترة الأخيرة من حياته، فقد بقي في العمق غير ميسيس. وعلى الرغم من أفكاره اليمينية فقد بقي بعيداً عن القوى اليمينية اليابانية، والتي كانت موضعاً لانتقاداته اللاذعة، في روايته «الخيول الهاربة». بل كان يحترق رجال السياسة ورجال الأعمال الذين يديرون أمور البلاد «كأنها شركة» على حدّ قوله. ولكنه لم يلتق يوماً مع أفكار المثقفين اليساريين. لذلك كان أكثر قرباً من العسكر لأنهم يجسدون الوطنية العمياء والرائعة. فالإمبراطور الياباني الذي هتف بحياته ثلاث مرات قبل إدخال السيف في أحشائه، كان بالنسبة إليه روح اليابان المجردة.

ولد ميشيما في ١٤ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٥، وجدته لأبيه كانت متحدرة من عائلة لها تقاليدها في الساموراي.

والساموراي في اليابان القديمة، هي طبقة متميزة من المقاتلين اليابانيين كانت تشكل نسبة ٥٪ من مجموع الشعب الياباني. ومن ميزات الساموراي هي الاقدام والشهامة وعدم الخوف من الموت. ولكن في المجتمع الياباني الحديث لم يبق من الساموراي غير اللقب. يقال لشخصية ساموراي أي شخصية نبيلة. وكانت جدة ميشيما تنظر باحتقار لزوجها لأنه من غير عرق الساموراي أي أنه من أصل غير نبيل ولأنه موظف في إحدى الدوائر الحكومية.

لذلك عندما ولد ميشيما وعندما أعطي اسماً من قبل جده، بعد أسبوع من

ميلاده، في حفلة كبيرة حضرها حشد من الأصدقاء والأقارب، أخذته جدته من بين يدي أمه قبل أن يمضي الشهر الأول من عمره، لتربيته «تربية لائقة» كما قالت. فالأم عليها أن تخضع خضوعاً كلياً لوالدة الزوج وتنفذ مشيئتها كاملة . . . حتى وإن كان الأمر يتعلق بحرمانها من ابنها البكر كما هي حال كيميكا هيرادكا (اسم ميشيا الأصلي) . . . وفي حياته مع جدته عرف ميشيا المראה المبكرة، فهي كما يصفها كانت قاسية فظة وتنظر إلى الآخرين باستعلاء، وكانت تعتمد تربية صلبة مع حفيدها فهي تريده وريثاً يليق بلقب الأسلاف الساموراي. وعلى الرغم من مرض الجدة فكانت ترفض أن يعاد الحفيد إلى أهله. بل كان ينام في سرير إلى جانب سريرها وكان ممنوعاً من الخروج من الغرفة إلا بأذن. وهو في سيرته الذاتية «اعترافات قناع»، يصف تلك الغرفة البائسة والمظلمة، التي كانت تعبق برائحة المرض والموت.

بالإضافة إلى ذلك كله. فقد وقع ميشيا في الخامسة من عمره ضحية مرض، اعتقد الجميع يومها أن نجاته باتت مستحيلة. لكن المرض لم يقض على الطفل، ولكنه رافقه طوال طفولته ومراهقته ولم يشف منه إلا رجلاً بالغاً وهذا المرض هو نوع من «التسمم الذاتي» ويقال إن ميشيا أصيب به بسبب ابتعاده عن والدته.

يترك ميشيا منزل جدته في الثانية عشرة من عمره ويعود إلى والديه، حيث تأخذه والدته وتعطيه العناية الخاصة بسبب تدهور صحته، كما أخذت باكتشاف ذوقه وحده الأدبيين. فهي من عائلة معروفة باهتمامها بالأدب.

وفي أكثر من مرة وقع ميشيا ضحية كره والده للأدب ولاهتمام ابنه به، ومرة دخل والده إلى غرفته، وكان الفتى في الرابعة عشرة من عمره، ووجد مسودة لرواية يخط ابنه فأنزل عليها جام غضبه ومزقها. حيث أخذ الفتى بالبكاء والنحيب. إنها الرواية الوحيدة التي لم ينجزها «ميشيا». فقد التهمها غضب أبيه. والرواية كانت بعنوان «مسكن» . . .

وبعدها حرص ميشيا على ألا يترك أوراقه المخطوطة في مكان سهل الاكتشاف، بل كان يخبئها. . . ويتحين فرص غياب والده ليقرأ لأمه فصولاً أنجزها وفي السادسة عشرة من عمره أنهى عمله الروائي الأول وهو «غابة الأزاهير». وقد

لاقت روايته استحساناً من قبل النقاد والروائيين .  
وفي هذه الفترة كان حدسه الأدبي يتفتح على أكثر من نوع من المسرح إلى  
الشعر فالرواية . . .

ويقول ميشيما في كتابه «اعتراف قناع»، الذي صدر عام ١٩٤٩ والذي  
يروى فيه سيرته الذاتية وحكاياته مع ذويه وجدته واستيهاماته العاطفية الجنسية  
وأحواله الميتافيزيقية: «كانت تصيبي العرشة مع لذة غريبة حينما كنت أفكر  
بموتى . كنت أشعر أنني ملكة العالم بأسره» .!!؟

كتاب «اعترافات قناع» يعتبر البداية الأدبية الكبرى في حياة ميشيما، فهو  
المفترق الأدبي الذي عبره بنجاح حيث أخذ أبرز النقاد يتحدثون عن «النجم  
الصاعد في الأدب الياباني المعاصر» . فقد استطاع ميشيما أن يكتشف الطريق التي  
رسمها لنفسه ولم يتخل عنها بعد ذلك . وهي الطريق التي يتبع فيها الكاتب  
نفسه ، من دون تعب أو ضجر إنه يريد أن يكتشف حقيقته ، علماً أنه كان يتبرم  
من المحللين النفسيين والباحثين في قضايا الإنسان عبر إدعاء اكتشاف لاوعيه .

في الثلاثية الروائية التي ختم بها حياته «ثلوج الربيع» عام ١٩٦٦ ، «الخيول  
المهارية» عام ١٩٦٨ ، و«معبد الفجر» ، يستمر في الكتابة حول حياته ومحيطه  
ومشاهداته حتى يصل إلى تصور يوم موته . فهو كان قد أسس ميليشيا خاصة به ،  
عام ١٩٦٨ ، مكونة من مجموعة من الطلاب الجامعيين المعجبين بأدبه وأفكاره .  
وكان بدأ منذ عام ١٩٦٦ يتلقى تدريبات عسكرية في القوات اليابانية المسلحة ،  
علماً أنه كان نحيلًا وذا صحة رديئة ، من جراء المرض المزمن الذي أصابه صغيراً .  
ولكنه استطاع خلال مدة زمنية محدودة ، أن يصبح صاحب بنية قوية ، مفتول  
العضلات . فقد بدأ يتعلم لعبة الكاراتيه في الـ «٤١» من عمره ، واستطاع خلال  
ثلاث سنوات أن يصبح أحد محترفيها . . .

ويتحدث ستوكز عن ميشيما الممثل . ويقول عنه إنه ليس ممثلاً رديئاً، وإن  
كان أحياناً يفشل في التأدية الدقيقة . . .

لقد وجد ميشيما في الموت الهدف الحقيقي لحياته . لذلك يصبح من الصعب  
الاعتقاد أن ميشيما مات من أجل قضية سياسية . فهو أخذ في السنوات الأخيرة من  
عمره يتذمر من وطأة السنوات التي تلتهم عمره خلصة ، وفي أكثر من مكان عبر عن

رغبته في إيجاد الوسيلة التي يمكنها أن توقف نزيف الوقت . فالموت عند ميشيا هو حاجة غريزية ورثها من مشهد ثقافي وحضاري عريق القدم في بلاده .

لذلك حين قرر القيام بعمل إنقلابي هو والميليشيا التي أسسها كان قد قرر أن يضع حداً لحياته . فلم تكن لديه القدرة العسكرية على القيام بهذا العمل ولم تكن لديه النية في النجاح . فقد اتفق مع خمس من الميليشيا أن يدخلوا إلى الثكنة العسكرية التي كان يجري فيها ميشيا تدريباته وسيطروا على قائدها وبعدها يرغمون الجنود على تنفيذ أوامره . والثكنة هي قاعدة «ايشيغايا» للقوات المسلحة اليابانية . وقائدها هو الجنرال ماشيتا أحد أبرز العسكريين في اليابان ، وكان قائداً لعدد من المعارك البارزة في المحيط الهادىء .

خطة ميشيا كانت السيطرة على الجنرال وعبره السيطرة على القاعدة كلها ، فقد دخل هو ورفاقه إلى الجنرال الذي كان في انتظارهم باعتباره يعرف ميشيا معرفة شخصية لأنه يتدرب في قاعدته بالإضافة إلى كونه شخصية أدبية مرموقة ولها حضورها في الرأي العام الياباني . كان ميشيا ورفاقه يرتدون ألبسة الساموراي التقليدية ومسلحين بالسيوف والمديات . الأمر لم يربك الجنرال لأنه معروف أن لميشيا ميليشيا وأنه يتدرب مع عناصره على السيوف والخناجر والكراتيه . وبعدما دخلوا مكتبه اعتقلوه وربطوه إلى كرسيه . وانتشر الخبر سريعاً في القاعدة العسكرية . وحين حاول عدد من الضباط الدخول للتفاهم معه ومعرفة معنى تصرفه لم يستجب لهم . وطلب منهم الخروج من الغرفة وحين لم يلبوا استعمل سيفه وجرح ستة . . وكاد يقطع يد أحدهم .

مطالب ميشيا كانت تتلخص بالتالي :

■ جمع جنود القاعدة الذين يبلغ عددهم حوالي «٣٠٠٠» جندي ليلقي بهم كلمة . . . ويوزع عليهم بياناً مكتوباً .

■ إعلان الهدنة لساعة . وبعدها يسلم الجنرال . وفي حال عدم احترام هذين المطالبين فإنه سيقتل الجنرال وسيُتحر بالهراكري . . .

وجاء في البيان الذي وزعه ميشيا على الجنود أن عناصر ميليشيا ميشيا لم تقم بهذا العمل ضد القوات المسلحة بل ضد شكل الحكم الذي لم يعد يحترم العسكريين الذين تقع عليهم مسؤولية الدفاع عن الأمة : «لقد انتظرنا طويلاً

انتفاضة القوات المسلحة ولكن انتظارنا كان عبثاً. إذا لم نتحرك فإن القوى الغربية ستبقى مهيمنة على اليابان حتى نهاية القرن القادم. . . . فإما نبقي يابانيين بالمعنى الحقيقي أو نموت. أم أنكم لم تعودوا تكثرثون إلا بالعيش وتكون الروح تموت؟ إننا نقدم لكم قيماً أهم وأرقى من العيش السطحي. لا تهمنا الديمقراطية أو الحرية، ما يهمنا هو اليابان، أرض التاريخ والتراث، اليابان التي نحب». . . .

هذا البيان الشبيه بخطب هتلر أو موسوليني كان ميشيما أعده بنفسه، وبعدها وقف على الشرفة وأخذ يخطب بالجنود على الإيقاع القومي العسكري تاري نفسه. لكن أحداً من الجنود لم يكثرث به، بل أن العديد منهم أخذ يشتمه ويطلبه بأن ينزل عن الشرفة: «أخرس أيها الشاذ. . . اليابان اليوم تعيش بسلام. . . . كلام مجانين». بعد نصف ساعة من الخطاب الذي كان يقاطع بشتائم الجنود، هتف ثلاث مرات بحياة الإمبراطور الياباني وترك الشرفة برفقة قائد ميليشيا مازاكاتسو موريتا ودخلا إلى الغرفة حيث الجنرال وفكا وثاقه. ثم خلع ميشيما قميصه وفك بنطلونه وجلس في وسط الغرفة وهتف بحياة الإمبراطور ثلاثاً.

«لا تفعل هذا إنه الجنون» هتف الجنرال. لكن ميشيما كان قد اتخذ قراره هو وموريتا فيما أمر الثلاثة الباقين من رفاقه أن يبقوا أحياء. أخذ المدينة وفي ضربة قوية أدخلها في أسفل المعدة وأخذ يفتح جرح بلغ مسافة (١٣) سم. ونظر إلى موريتا وقال لا تتركني أنزع طويلاً. فهم موريتا أنه حان الوقت ليضربه ضربة الخلاص ويقطع رأسه. فضرب ضربة قوية ولكن السيف فلت من يده. وميشيما كان يراقب ما يحدث في صمت كلي وعينين عابستين. فأخذ موريتا السيف من جديد وضرب ولكنه لم يصب. كان موريتا في حالة إنهيار كبير. لكن ضربته الثالثة أصابت من دون أن يتمكن من قطع الرأس، فتناول السيف منه أحد الرفاق وعاجل ميشيما بضربة تدحرج على أثرها رأس الكاتب الكبير على البلاط.

بعدها جاء دور موريتا فأخذ وضعية ميشيما وشاء أن يدخل المدينة في أسفل معدته. . . لكنه كان خائر القوى فلم تدخل المدينة عميقاً فالتفت إلى رفيقه الذي يحمل السيف فوق رأسه وقال له: «اضرب» وبضربة واحدة تدحرج رأسه قرب رأس ميشيما، وملأت دماؤهما أرض غرفة الجنرال.

يصعب الاعتقاد أن ميشيما انتحر من أجل قضية سياسية. لأنه كان حذيقه

من الأسرار وغابة. كان في حياته لغزاً كما في كتابته. وفي رواياته العديدة، على الرغم من عمره القصير، كان يحاول أن يشرح هذا اللغز أو يفهم. كان زوجاً وأباً لولدين وكان شاذاً. . . متحلاً في هواجسه الخلقية وكان يقدر الامبراطور. لكن الحقيقة الواضحة في حياته هي أنه كان عاشقاً من عشاق الموت. ولعله كان في منتهى المازوشية.

### نموذج من أدب يوكيو ميشيما

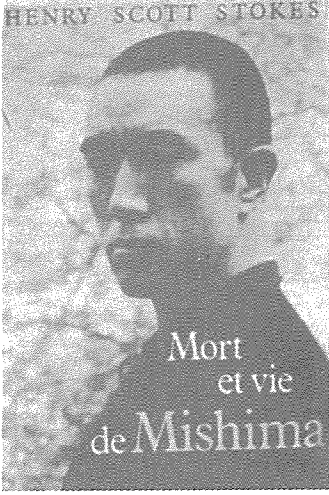
« . . . وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٤٤، في السنة السابقة على نهاية الحرب، تخرجت من المدرسة التي انتظمت فيها منذ الطفولة، والتحقّت بإحدى الجامعات، ولأن أبي لم يتح لي اختيار آخر فقد التحقت بقسم القانون، ولكني لم اتضايق كثيراً لذلك حيث أي كنت أتوقع أن أستخدم قريباً إلى الجيش، حيث سأمت في الميدان، وأن أسرتي سوف تُقتل من باب الرحمة، بالغارات الجوية، فلا يبقى منا أحد . . . »

بدأت الغارات الجوية تتزايد، كنت خائفاً منها بشكل غير عادي، ومع ذلك فقد كنت أتطلع إلى الموت بفارغ الصبر، بنوع من التوقع العذب . . . وهكذا فقد كنت أحن إلى الشعور العظيم بالراحة الذي لا بد وأن يأتي به الموت . . . وعندما كانت صفارات الانذار تدوي كنت أنا أسرع من الآخرين ركضاً نحو ملاجئ الغارات الجوية . . . »

وفي مكان آخر من كتاب «اعترافات قناع» يقول ميشيما:

« . . . وعندما وصلت إلى منزلنا الذي في الضواحي في تلك الليلة فكرت جدياً في الانتحار لأول مرة في حياتي، ولكن وأنا أفكر فيه، كانت الفكرة تتحول إلى شيء مرهق للغاية، وأخيراً قررت أنه أمر مضحك، لقد كان لدي نفور غريزي من الاعتراف بالهزيمة، بل إنني قلت لنفسني إنه لا حاجة بي إلى الاقدام على مثل هذا العمل الحاسم، ليس وأنا محاط بهذا الحصاد السخي من كل هذه الأنماط من الموت، الموت في الغارة الجوية، الموت في الموقع، الموت في الخدمة العسكرية، الموت في ميدان المعركة، الموت عندما تدهمك الأقدام، الموت من المرض - ولا شك أن اسمي قد أدرج بالفعل في قائمة واحدة من هذه: كلا - فمهما درست الأمر لم

يكن يبدو لي الموسم ملائماً للانتحار، وبدلاً من ذلك كنت أنتظر شيئاً ما يسدي لي  
معروفاً ويقتلني . . . .»



غلاف كتاب حياة وموت ميشيما



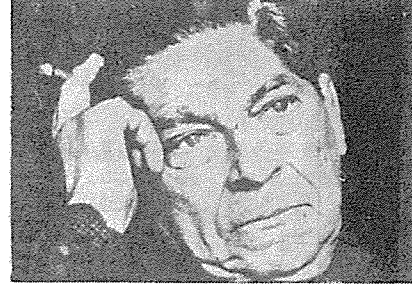
مقاتل من الساموراي

---

#### المصادر:

- المجلة كل العرب، العدد ١٤٦، ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٨٥، تحقيق بقلم الأستاذ بسام منصور.
- اعترافات قناع، يوكيو ميشيما، ترجمة: أسامة الغزولي، دار التنوير - بيروت، ص ٨٧ و ١٣٨.

## آرثر كوستلر



آرثر كوستلر . ( ١٩٠٥ - ١٩٨٣ ) ، كاتب يهودي ولد في المجر وانضم إلى الحزب الشيوعي إلا أنه ما لبث أن ارتد عنه ووصف تجربته مع عدد آخر من الكتاب في كتابه (الإله الذي هوى) .

وأظهر كوستلر اهتماماً بالموضوعات التي تهم اليهود، فعمل مراسلاً لحدى الصحف الألمانية من فلسطين التي هاجر إليها منذ عام ١٩٢٦ . وكتب قصة (اللصوص في الليل) التي تصف الصراع بين العرب والمستوطنين الصهاينة، وفيها يبدي تحيزه الصهيوني الواضح .

وبعد قيام الدولة الصهيونية كتب كوستلر رواية (الوعد والانجاز: فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٩) وأعلن أن يهود العالم أمام بديلين لا ثالث لهما: أما الهجرة إلى «إسرائيل» أو الاندماج الكامل . أما هو فقد اختار البديل الثاني . ومن كتبه الشهيرة أيضاً التي ترجمت إلى العربية كتاب (القبيلة الثالثة عشرة) وفيها يعلن أن اليهود الغربيين ليسو من أصل سامي ولم يهاجروا، منذ أكثر من ألفي عام «ليتشتوا» في كل أنحاء العالم بل هم أحفاد الخزر الذين قدموا من منطقة واقعة على التخوم الروسية التركية . وعلى الرغم من أن كوستلر لم يدن الصهيونية إدانة قاطعة فمن الواضح انه بكتاباته الأخيرة قد هدم أحد «ذرائعها» التاريخية الزاعمة ان اليهود في كل العالم قد خرجوا من فلسطين . وأن فلسطين هي من «حقوقهم» التاريخية . ومن أقواله المشهورة: «إن إسرائيل نزوة من نزوات التاريخ» .

ترك فلسطين عام ١٩٣١ إلى برلين حيث انتسب إلى الحزب الشيوعي الألماني، ثم سافر إلى الاتحاد السوفيتي حيث أقام لفترة قصيرة. وعند اندلاع الحرب الأهلية في أسبانيا سارع إلى تغطيتها صحفياً - كما فعل أرنست همنغواي - فعمل مراسلاً لصحيفة «نيوز كرونيكل» اللندنية.

اعتقله أعوان الجنرال فرانكو وحكموا عليه بالاعدام إلا أن حملة الاحتجاج العالمية أنقذته من موت مؤكد. وقد روى تجربته هذه في كتابه الشهير (الوصية الأسبانية) ومن ثم في (حوار مع الموت). وكان من تأثير ذلك عليه أن أصبح من أشد المتحمسين لإلغاء عقوبة الاعدام. بدليل أنه في عام ١٩٥٥، شرع آرثر كوستلر في شن حملة صحفية للمطالبة بإلغاء عقوبة الاعدام في انكلترا. وبعد حملته هذه بمدة قصيرة من الزمن وافق مجلس العموم البريطاني على إلغاء هذه العقوبة، ولكن مجلس اللوردات المحافظ - آنذاك - حال دون ذلك.

وفي عام ١٩٥٧، كتب الأديب الفرنسي البير كامو دراسته بعنوان: (المقصلة)، ليضم صوته إلى صوت كوستلر، ويطالب بإلغاء عقوبة الاعدام في فرنسا. . .

ارتد كوستلر عن الشيوعية منذ عام ١٩٣٨، وأصدر عدة كتب ضد الستالينية لعل أشهرها (الظلام في الظهيرة) الذي صدر عام ١٩٤١ بالانكليزية. اعتقل في فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم تمكن من اللجوء إلى بريطانيا حيث أصبح مواطناً بريطانياً وانخرط في الجيش البريطاني. ترك بعد ذلك السياسة ليتفرغ للعلوم والفلسفة.

انتحر هو وزوجته في اليوم الأول من شهر آذار (مارس) عام ١٩٨٣ بسبب إصابته بمرض عضال (سرطان الدم). وقد انتحر الزوجان في وقت واحد عن طريق تناول جرعة كبيرة من الحبوب المهدئة، وعثر على الجثتين جالستين في جلال ووقار على مقعدين في منزلها بلندن. ولم تكن زوجته الثالثة المتحرة وتدعى سنثيا قد تجاوزت الستة والخمسين من عمرها. كما كانت تتمتع بصحة جيدة ولكنها كانت تدرك أنها لن تستطيع العيش بدونه بعد أن ارتبطت معه أكثر من ثلاثين سنة، عملت خلالها أولاً كسكرتيرة له، ثم عاشته بغير زواج لسنوات طويلة، إلى

أن تزوجها بعد وفاة زوجته (الثانية) التي كان قد تزوجها بدورها بعد انفصاله عن زوجته الأولى .

وكان كاستلر ينادي بأن حياة الفرد هي ملك لصاحبها وأن يستطيع بناء على ذلك أن يتخلص منها بالموت الارادي (الانتحار) حين يجد أنها تمثل عبئاً ثقيلاً عليه بسبب الشيخوخة أو العجز أو المرض .

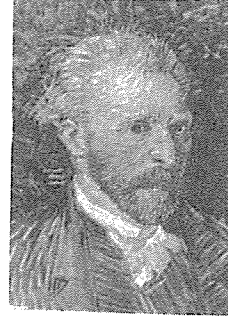
وأعمال كوستلر في عمومها نوع من التأمل العميق في مشكلة الموت كما أنها تفضح عجز الانسان وقصور قدراته . وقد تطرق لذلك في كثير من أعماله الروائية وبالأخص في أشهر رواياته وأفضلها على الإطلاق (الظلام في الظهيرة) التي كتبها بالأصل في الألمانية عام ١٩٤٠ . ثم ترجمت كما ذكرنا إلى اللغة الانكليزية وبعدها إلى اثنتين وثلاثين لغة أخرى . والتي تعتبر بحق أحد الأعمال الكلاسيكية الهامة في عصرنا الحديث .

وفي هذه الرواية الرائعة يكشف لنا كوستلر عن الموت البطيء الذي يتعرض له أعداء النظام في المجتمعات الاستبدادية عن طريق إهدار آدميتهم وتحطيم شخصيتهم بمختلف الوسائل والأساليب التي يتبعها البوليس السياسي لانتزاع اعترافات بأخطاء وجرائم لم يقترفوها . . . لذلك فإن كوستلر ظل يؤمن بحرية الفرد ودافع عن كرامة الانسان ، بأن يكون سيد نفسه وسيد حياته بما في ذلك حق التخلص من تلك الحياة إذا وجد أنها تهين كرامة الانسان ، نتيجة المرض الذي لا شفاء منه ، أو الشيخوخة .

---

#### المصادر:

- موسوعة السياسة ، الجزء الخامس ، أسسها الدكتور عبد الوهاب الكيالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ص ٢٣١ .
- المقصلة ، البر كامو ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار ومكتبة الحياة - بيروت ، من مقدمة المترجم .
- العربي العدد ٢٩٦ ، تموز (يوليو) ١٩٨٣ ، بقلم د . أحمد أبو زيد .



## فان كوخ

ملايين الناس . لا تعرف عن الفنان الهولندي فانسننت فان كوخ، الذي ولد في ٣٠ آذار (مارس) عام ١٨٥٣، سوى أنه كان مصاباً ببلوثة عقلية، جعلته يطلق الرصاص على صديقه الفنان بول غوغان، الذي التقى به بعد أن جمعتها مأساة مشتركة وفجيرة واحدة.

كلاهما معذب يفتش عن الصدق والبراءة، وكلاهما يعمل ويناضل من أجل رسالة الفن العظيمة، مع الأخذ بالحسبان أنها كانا على خلاف دائم فيما يتعلق بالآراء الفنية. هذا الاختلاف أو التناقض قاد كوخ إلى إطلاق رصاصة من مسدسه، لا على رأس غوغان، بل بالقرب منه، احتجاجاً على موقف صديقه من آرائه. . فكانت النتيجة أنهما افترقا عن بعضهما إلى الأبد. وفي هذا الصدد يكتب غوغان في مذكراته:

«لم نكن على وفاق تام، أنا وكوخ، ولا سيما في التصوير. كان يعجب بدوميه ودوبيني وروسو، وهم جميعاً لا أتذوق رسومهم. وكان يكره انغرس وديغاس ورافائيل وأنا أعجب بهم كثيراً. ولكنني كنت أقول له دائماً حرصاً على الهدوء: أنت على صواب! وكان يحب رسومي كثيراً. ولكن ذلك لم يكن ليمنعه عن انتقادي عندما أرسمها، فيجد لي فيها خطأ هنا، وخطأ هناك. إنه رومانتيكي وأنا أميل إلى النزعة الابتدائية».

وفي أحد الأيام مرض غوغان ولزم الفراش خمسة عشر يوماً، فاضطر كوخ

إلى ترك عمله الفني للعناية به وكان في ذلك عذاب للآثنين . وقد كتب كوخ :  
«يا الله ! متى نرى جيلاً من الفنانين بأجسام صحيحة . في بعض الأحيان  
أثور حقاً على نفسي ، لأنه لا يكفي أن لا تكون مريضاً في قليل أو كثير بالنسبة  
للآخرين ، بل أن تكون ذا مزاج قوي يتيح لك أن تعمر ثمانين سنة ، وأن يكون  
دمك مع ذلك دماً جيداً حقاً . غير أن ما يعزينا في هذا ، أن نحس أنه لا بد من  
ظهور جيل من الفنانين أكثر سعادة منا» .

ولكي يثبت بعض الباحثين جنون كوخ وغرابة سلوكه . . يقولون إنه قطع  
أذنه ولفها في منديل وسلمها إلى فتاة سيئة السمعة اسمها (غابي) تعمل ساقية في  
حانة باريسية قائلاً :

- إليك هذه الهدية الثمينة ، ذكرى مني فاحتفظي بها !؟

وعاد أدراجه إلى المنزل ، فأغلق النوافذ ، وأشعل المصباح ، ووضع قرب  
النافذة ، واستغرق في الرقاد . . وكاد النزف يؤدي بحياته . . .

صحيح . . أن كوخ قطع أذنه ! لكن الهدف نبيل يكمن في نفسه الثائرة !  
لقد أراد أن يعيد إلى فتاة الحانة إنسانيتها الضائعة بين الرجال . . وضباب  
الدخان . . والليل الأسود . . وأقداح الخمر . . فقال لها أحبك ! فلم تصدق  
كلامه . . إنه بحاجة إلى دليل أو برهان . . فهي سمعت هذه الكلمة الرومانسية  
أحبك من مئات الرجال الذين يتبنون مقولة : (كلام الليل يمحوه النهار) .

غادر كوخ الحانة وهو في حالة يائسة إلى منزله ، وهنا أراد الثأر من الفتاة التي  
رفضت حبه دون أن يؤذيها . . فقطع أذنه التي أبدت إعجابها بها ! وحين شاهدها  
صرخت من الخوف والفرح . . لأنها عثرت على إنسان أحبها بكل مشاعره  
وجوارحه . . لكن بعد فوات الآوان .

لم يكن الحب بالنسبة لكوخ مجرد كلمات مستهلكة فارغة المضمون . . إنه  
موقف وحالة خاصة . لهذا السبب لم يكن مجنوناً بل كان عاشقاً كبيراً ، وإنساناً  
كبيراً ، كما كان فناناً كبيراً .

في أصيل يوم الأحد ٢٧ تموز (يوليو) عام ١٨٩٠ ، توقف كوخ مدهوشاً أمام  
مشهد ، كان منذ زمن قديم يحلم بتصويره . . وكان المشهد قريباً من قرية  
(اوفر سورواز) الفرنسية ، فرسمه حقلاً ذهبياً تشعب فيه دروب صغيرة شقراء ،

يحيط بها اخضرار مشرق، وفي البعيد يطل أفق عميق الزرقة كأمواج البحر في الشتاء، تسرح في أبعاده غربان بلون الظلام.

وأتم اللوحة وهو يحس ناراً محرقة تلتهب في أصعابه، وشعر بإعياء شديد، وتصيب العرق على جبينه، واجتاحه هم مرهق، الهم الذي لزمه طول حياته: ماذا بقي لهذا القلب المعذب وقد أعطى كل شيء!!

وكانت بعض الغربان تحوم حوله، فتناول المسدس، كمن يريد أن يطلق النار على هذه الطيور الكوالح، فقد كان سوادها يلوث المكان، ولكنه صوب المسدس إلى قلبه، وأطلق رصاصة واحدة فكانت نهايته.

شيع في جنازة متواضعة إلى ركن هادئ من مقبرة القرية. ووجدت في سترته رسالة طويلة إلى أخيه تيويقول في نهايتها:

«حسناً، هذا ما فعلت، أنا وحدي، وقد غامرت فيه بحياتي».

وبكلمات قليلة. . فإن سبب انتحار كوخ هو وقوعه تحت تأثير نوبات الجنون، نتيجة المرض الشديد الذي أصابه منذ فجر شبابه، حيث كان يعاني من صداع شديد في رأسه.

لقد حاولت لوحات فان كوخ أن تقبض على موضوعين: الوجه البشري، ووجه المكان. والمكان عنده إما حقل حنطة أصفر تحلق فوقه غربان سود، أو واجهة مقهى باريس تحت ثلج الخريف.

أما الوجه البشري فهو بسطاء الناس الذين تحترق في نظراتهم لوعة الفقدان واليتم الروحي. وربما أكثر من هذا كله وجهه هو. . هذا الوجه الذي سعى دوماً إلى أن يكتشف سرّاً كأنه يحاول أن يكتشف فيه الانسان.

كوخ يرى باريس. . . يكتشف أسرارها. . . وأسرار نفسه. . المنفى، العزلة، البؤس، ولكن عبر الرسم والابداع الفني كرس حياته لهذه الأشياء جميعاً. . ومن أجلها كافح ضد الجميع. . وحتى ضد نفسه. الرسم قتله وأنقذه في آن واحد. لأنه كان يرى الرسم مثل المطلق، بل أبعد من المطلق. . الجنون والجوع. إنها مغامرة عرض الأشياء للآخرين. . يعرض الشمس لمن لا يراها. . . لكنه في الوقت ذاته حوّل جزءاً من حياته لشمس سوداء لموته الاختياري.

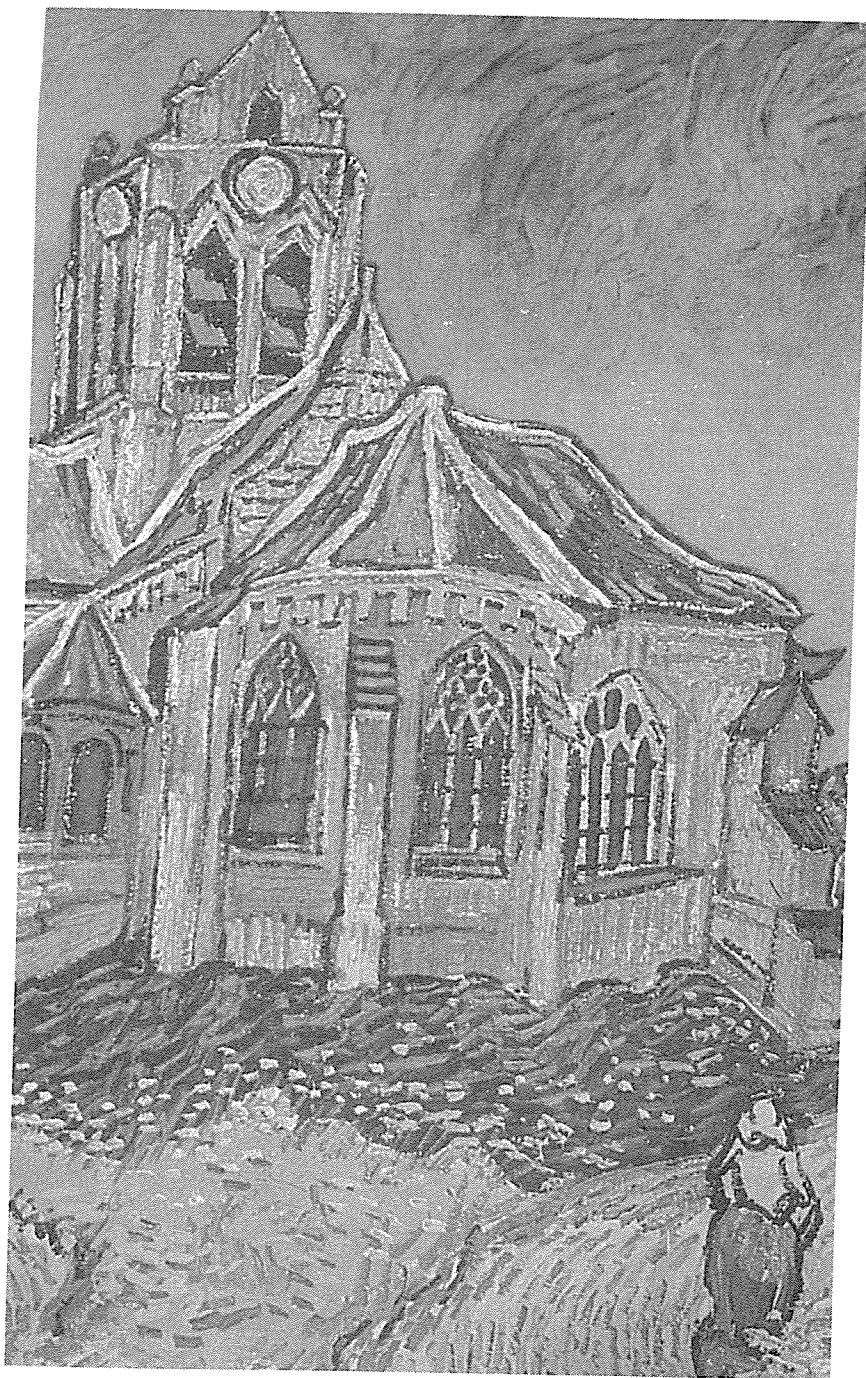
وتجدر الإشارة. . إلى أن هذا الرسّام العالمي الذي لم يبع في حياته سوى

لوحة واحدة بـ (٤٠٠) فرنك فرنسي، لم يكن أحد يعرف أن لوحات هذا الفنان العظيم الذي عانى الجوع والمرض والمنفى والبؤس، ستحقق أعلى أرقام البيع في أسواق الفن. إحدى لوحاته (عباد الشمس) بيعت في عام ١٩٨٧ بـ ٣٦,٣ مليون دولار! ولوحة (ايريس) بيعت بـ ٥٣,٩ مليون دولار. . والحبل على الجرار! وبالرغم من أن حياة كوخ كفنان استغرقت عشر سنوات فقط، إلا أنه كان يرسم بنهم شديد، ولذلك ترك أعمالاً كثيرة تقدر بـ (١٥٠٠) لوحة، مهدت إلى المذهب التعبيري الحديث.

---

#### المصادر:

- فان كوخ حياته وفنه، صدقي اسماعيل.
- مجلة كل العرب، تحقيق للصحفي شاكرونوري.
- رحلة إلى عالم المعرفة، السيد بهنسي، مكتبة القدسي - القاهرة، ص ١٣.



مشهد من قرية اوفر سورواز بريشة الفنان كوخ وهي القرية التي دفن فيها

## داليدا



لم تستطع المطربة العالمية داليدا، أن تتحمل المزيد من الفراغ في حياتها الشخصية، رغم أن شهرتها وصلت إلى أقاصي الأرض طوال (٣٠) عاماً باعت خلالها حوالي (٨٥) مليون اسطوانة مسجلة بثماني لغات، فأقدمت على الانتحار مساء الأحد ٣ أيار (مايو) سنة ١٩٨٧، بابتلاعها كمية من الأقراص المنومة!! «الحياة لا تحمل... ساحوني... إنني أحبكم». هذه الكلمات الأخيرة التي تركتها المغنية العالمية داليدا وصية لمحبيها، قبل أن تضع حداً لحياتها البالغة (٤٥) سنة، بابتلاعها أنبوب من الحبوب المنومة في منزلها الباريسي الكائن في شارع «اورشامت» أحد أحياء منطقة مونمارتر المزدهمة سكناً وعملاً بالفنانين والرسامين الهامشين منهم كما المعروفين.

بالطبع السبب الحقيقي لانتحار داليدا دفتته معها في قبرها... ولكن التكهّنات التي أطلقها معارفها، ردت ذلك، إلى أنها أصيبت بنكسة عاطفية شديدة، عندما تخلى عنها عشيقها الشاب الذي يصغرها بثلاثين ربيعاً إلى غير رجعة، بالرغم من محاولاتها اليائسة والمتكررة لاعادته إلى دفة قلبها النابض حناناً متسلحة بالاعراض المادية الهائلة بعد أن فقدت سحر جمالها الذابل، الذي أفرع الحبيب الفتى، ودفعه إلى البحث عن البديل، ليجده في فتاة يانعة وبارعة الجمال تجاريه طموحاً وأحلاماً...

والذي يعزز هذا الكلام، أن داليدا لها سوابق حافلة في التضحية حتى

الموت من أجل الرجال . . وهذا ما حدث بالفعل معها، قبل عشرين عاماً، عندما حاولت اللحاق بحبيبها لوففي تانكر الذي قتل نفسه برصاص مسدسه، ولم تطق العيش بدونه، فجرعت مواد سامة . . ولكن القدر أنقذها وهي على الرmq الأخير من لفظ أنفاسها . . .

ومع ذلك فقد بقيت طيلة عامين متأثرة بذيول الصدمة، منهارة الأعصاب ومنحطة المعنويات، تحيا منزوية معزولة عن الناس في أوقات فراغها من مشاغلها الفنية المتكاثرة وجولاتها الغنائية في جهات الدنيا الأربع . وسط تشجيع المعجبين بها الذين لم يتمكنوا من اخراجها من الحزن المطبق على نفسيستها وخصوصاً أن دايدا لا تحب الاظهار والتعبير عن مكنوناتها الداخلية إلى الغير مهما كان موقعهم قريباً منها . . . ولم يبق أمامها غير الزمن الكفيل بشفاء الجرح النازف . . ومن ثم النسيان لتعود إلى حياتها الفرحة . . وإلى سجيته، وكان زواجها من الرسام ريشار سان جبرمان حيث أسست معه منزلاً يغلب عليه الطابع الجمالي الحميم والمليء باللوحات والمنحوتات الشرقية والتاريخية .

ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً . . وغابت عنه السعادة . . ولعبت وسائل الاعلام دوراً بارزاً في تعميق الخلافات بينهما، وقد اعترفت دايدا بذلك صراحة بقولها: «أكثر ما حطم حياتي، كانت أقلام صحافة الفضائح»!

في الواقع أن انتحار دايدا فاجأ الجميع الذين لم ينتظروا منها بعد أن بلغت من العمر عتياً، أن تتصرف أسوة بما يفعلنه المراهقات . . كما أنها، لم تكن تظهر خلال الأشهر الماضية أية حالة اكتئاب وان كانت كتومة الطبع لا يفهم من ملامحها خيراً أم باطلاً، بل بالعكس كانت تبدو بكامل كياستها وعافيتها وذروة انتاجها وعطائها الفني، حيث كانت تعكف على تسجيل اسطوانة جديدة، لتضيفها إلى تراثها العامر بأجمل الأغاني والتي حازت بفضلهم اعجاب الامريكيين قبل الفرنسيين، والعرب الذين أحببتهم وانبهرت بأوطانهم بقدر ما أحبوها، ورددوا كلمات أغانيها التي أنشدتها بلغتهم: «سلمى يا سلامة»، و«حلوة يا بلدي»، و«أحسن ناس»، و«جميل الصورة» . . .

وقصة اعجاب دايدا بالوطن العربي، تعود إلى ولادتها ونشأتها في حيّ شبرا الشعبي في القاهرة، حيث كانت تعيش عائلتها الايطالية، واسمها الحقيقي يولاند

جيفليوني، تلقت دروسها الابتدائية والثانوية في مدرسة راهبات «ماريا اوزيليازيس» في العاصمة المصرية، واستمرت على علاقتها الطيبة بالمدرسين والقائمين على الدير حتى بعد ارتقائها سلم النجومية، ولم تغب مرة عن زيارتها لهم في كل زيارة جديدة لمصر.

أحبت الفن منذ الصغر ولكنها لم تتمكن من مزاولته لضيق الفرص والمجالات، فاضطرت إلى العمل في مطلع شبابها، ضاربة على الآلة الكاتبة في شركة استيراد وتصدير. وفي أحد الأيام من العام ١٩٥٦، قرأت إعلاناً عن إقامة مباراة لانتخاب ملكة جمال مصر. فلم تتردد دليدا لتكون بين المتباريات وتفوز بالتاج، الذي كان لها المفتاح الذهبي لولوج باب المجد الفني، ووقعت في اليوم التالي من انتخابها ملكة جمال، عقداً لتمثيل دور بسيط في فيلم (أرض الفراعنة) بعد أن رفضت الممثلة البريطانية جوان كولنيز تمثيله... ولكن السينما لم تحقق طموحها، لأن الغناء كان يسري في حنجرتها الرخامية، وكانت نصيحة المخرج الفرنسي (ماركو دونستيني) لها بالسفر إلى باريس في حال أرادت النجاح... فلم تتأخر عن تنفيذ ما اقتنعت به، وحزمت حقائبها الفارغة من الثياب الفاخرة والأموال، وطارَت إلى فرنسا في عام ١٩٥٨، يشد أزرها عناء النجاح والوصول إلى القمة، وبدأت تدور وتصول وتجول حول «ستديوهات» التسجيل علَّها تحظى بابتسامة فنان يمد لها يد العون في باريس الباردة على من يجهلها... بدون أن تغفل صقل موهبتها الغنائية وبتهذيب أوتار صوتها في معهد رولان بروجيه، مؤمنة مصاريف الدراسة من أعمال بسيطة كانت تقوم بها، في تلك الأثناء كان المذيع برونو كوكاتريكس يعد برنامج (نجوم الغد) في إذاعة أوروبا فقررت دليدا الفتاة السمراء قبل أن تصبغ شعرها باللون الأشقر، المشاركة فيه بكل ثقة وكانت أغيتها في المسابقة (الغريب في الفردوس) حيث لقيت استحسان مدير برامج الإذاعة لوسيان موريس، وادي بركلاي، صاحب شركة الاسطوانات الشهيرة الذي كان بين الحضور حيث اتفق مع المغنية على توقيع عقد عمل معه وكان ذلك أول درجة من سلم الشهرة الذي صعدته دليدا، وتربعت فوقه مع كبار المغنيين العالميين مسجلة على (٨٥) مليون اسطوانة بشماني لغات لأروع (٦٠٠) أغنية بات يرددها اليوم المعجبون في كل أنحاء العالم...

وحصلت داليدا على جوائز تقديرية عديدة بينها «الوسكار العالمي للاسطوانة» في عام ١٩٧٤، وحوالي (٢٠) ميدالية ذهبية، و(٣٥) اسطوانة مذهبة، كما حازت في عام ١٩٦٨ على «ميدالية رئاسة الجمهورية الفرنسية» التي قدمها إليها الجنرال شارل ديغول. . . ناهيك عن شهادات التنويه والثناءات من الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، الذي يعد من أشد المعجبين بها، كما يعترف بفضلها العظيم على نجاح حملته الانتخابية الرئاسية في عام ١٩٨١. . . حيث لم يخف دمة تأثره عندما بلغه خبر انتحارها وكان تعليقه بالقول: «يا للخسارة الرهيبة التي منيت بها فرنسا وأغنيتها الرقيقة. . .».

ويبقى أن داليدا شبت افراطاً في تقدير مواهبها الفنية، ولكنها بقيت عطشانة إلى من يجيد العزف على أوتار عواطفها. . . فكان انتحارها المريع. . . مع أنها لمحت أكثر من مرة عن معاناتها هذه بالقول: «النجاح ليس الحياة السعيدة إنما هو مكمل لها. . .».

#### ■ محطات سريعة في حياة داليدا

اشتهرت داليدا بأغنيات مثل «بامبينو»، و«غوندوليه»، و«لاموروزو» وكان جمهورها يطالب في كل استعراض جديد بإعادة هذه الأغنيات التي صنعت نجاحها. كما وغنت داليدا أغنيات جديدة تتناسب مع روح العصر في كل مرحلة من مراحل نجاحها الفني. ولم تتردد عن إعادة توزيع أغنيات انكليزية وإيطالية مشهورة. مثلت داليدا في فيلم مصري اسمه «سيكارة وكأس» للمخرج نيازي مصطفى، وكان دورها فيه صغيراً جداً (كومبارس) ومع ذلك أثبتت فيه قدرتها الصوتية إذ غنت أغنية واحدة في الفيلم.

وتمتعت داليدا - أيضاً - خلال حياتها بصداقة قوية مع عمر الشريف رفيق نجاحها، وكانت تعرفت إليه يوم وقوفها كبديلة لجوان كوليز، إذ وقف عمر إلى جوارها كبديل للممثل جاك هاوكنز. ثم انطلق كل منهما في سماء النجومية واحتفظا بعلاقة متينة عبر السنوات على الرغم من انشغالهما المستمر في العمل والحياة اليومية.

#### المصادر:

- الصياد، ١٥ أيار (مايو) ١٩٨٧.
- المستقبل، ٩ أيار (مايو) ١٩٨٧.

## كريستينا أوناسيس



في المساة اليونانية . . . ويبدو الانسان محكوماً بصراع أزلي مع القدر. وكلما  
قويت قدرة هذا الانسان على المواجهة والمقاومة، كلما استشرى عليه قدره وبغى،  
حتى ينتهي مهزوماً دون رجاء!

هذه النظرة المأساوية الأسطورية قد تكون منطبقة، أكثر مما هي منطبقة،  
على حياة عائلة أوناسيس، التي كان آخر ضحاياها في صراعها مع القدر، كريستينا  
التي انتحرت في الارجتين عن عمر يبلغ (٣٧) سنة، وذلك بتاريخ  
١٩٨٨/١١/١٩.

وعلى عكس حياتها التي كانت برغم قصرها، مملوءة بالاثارة، وصاخبة بأمور  
الدنيا ومشغولة بها، كان موتها هادئاً، مفاجئاً وسريعاً. ما بين حياة مملوءة  
بالمغامرات العاطفية والمشاكل المادية والقضائية، ونهاية مباغتة وباهتة، فراغ عابر  
ملأته عبارة قصيرة رددتها وكالات الأنباء العالمية بجفاف وروتين: «ماتت المليونيرة  
كريستينا أوناسيس ابنة المليونير اليوناني الراحل أرسطو أوناسيس، اثر اصابتها  
بنوبة قلبية في ناد بإحدى ضواحي العاصمة الارجنتينية عن عمر يبلغ ٣٧ عاماً».  
وفيما بعد وجد قرب جثتها علبة حبوب منومة، وكانت المليونيرة قد توجهت للنوم  
مساء يوم الجمعة حوالي الساعة الحادية عشرة ووجدت ميتة في سريرها صباح يوم  
السبت.

■ ولدت كريستينا في نيويورك في «كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٠، لكنها

تخلت عن جنسيتها الأمريكية لاحقاً لأسباب تتعلق بالضرائب، بعدما أصبحت الوريثة الوحيدة لآل أوناسيس، اثر مقتل أخيها - في حادث سقوط طائرته - وموت أمها تينا ليفانوس في حادثة انتحار، ووالدها أرسطو أوناسيس في مرض عضال . وإذا كان طبيعياً أن يشغل ثراء كريستينا الفاحش صحف العالم، بدا أن حياتها الخاصة، ولاسيما الناحية العاطفية منها، هي التي طغت على شهرتها المادية وتحولت وارثة الملايين السعيدة، في نظر صحف العالم، إلى الفتاة الصغيرة المسكينة، بعد سلسلة من النكسات العاطفية الحادة أصيبت بها وحرمتها طعم الاستقرار والسعادة .

تزوجت كريستينا أربع مرات، وفي كل مرة كانت الحية السوداء تنتظرها خلف بياض فستان عرسها الأبيض، فيكون الانفصال والطلاق والصدمة . ومن زيجاتها الأربع أنجبت طفلة واحدة أسمتها (أثينا) من زوجها الرابع صاحب شركة الأدوية الفرنسي تيري روسيل . و (أثينا) الآن هي أصغر مليارديرة في العالم، لأنها الوريثة الوحيدة لأمها، ولأن عمرها لا يتجاوز الست سنوات ! والظاهر أن عقدة الانجاب كانت من أبرز العقد التي تحكممت بحياة كريستينا، وجعلتها في حالة من القلق والتوتر والحزن . فبعد أربعة أشهر من وفاة والدها تزوجت من المليونير اليوناني الكسندر اندرياس، على أمل انجاب طفل يملأ عليها حياتها ويكمل سعادتها . ولكن حلمها بالانجاب ظل حلماً مستحيلًا وتحول مع مرور الزمن إلى هاجس قُصَّ عليها مضجعها، فلجأت إلى العرافين وأشهر الأطباء دون أية نتيجة . وتكررت مأساة عدم الانجاب مع زوجين لاحقين، مما جعلها تحيا في حزن عميق .

وفي غمرة تعاستها وحرمانها من الأمومة، وقعت كريستينا في حب رجل الأعمال المليونير الفرنسي تيري روسل، الذي اشترط لزواجه منها أن تنقص وزنها، الذي وصل آنذاك إلى (٩٠) كغ، ومن أجل حبها لتيري ضحت كريستينا بحبها للمأكّل، وتمكنت من انقاص وزنها . وشعرت أن سعادتها اكتملت عندما رزقت من زوجها هذا، بابنتها الوحيدة «أثينا» . وانها استطاعت أخيراً أن تقرن المال بالبنين . ولكن القدر كان هذه المرة أيضاً بالمرصاد فأخفق زواجها وسقط، ونقص وزن كريستينا من جديد لا لحب هذه المرة، بل لتعاسة وألم وحسرة .

ومشاكل كريستينا لم تكن مقتصرة على الناحية العاطفية وحدها، بل تعدتها إلى مشاكل ونزاعات مالية كثيرة واجهتها، أولاً مع جاكليين كيندي التي تزوجت من أوناسيس الوالد عام ١٩٦٨. وثانياً مع سلطات الضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية.

وحتى في بلادها دخلت كريستينا في نزاع حاد مع الحكومة اليونانية بشأن الضرائب على إرث والدها الضخم، اضطرت معه إلى التخلي عن اليخت، الذي أطلق والدها عليه اسمها، سداداً لدين الحكومة اليونانية عليها الذي بلغ (٦٠) مليون دولار. وهذا اليخت هو نفسه الذي شهد قصة الحب المعروفة بين أرسطو أوناسيس ومغنية الأوبرا الشهيرة ماريا كلاس، التي من أجلها تخلى أوناسيس عن والدة كريستينا، وأوجد بينه وبين ابنته شرخاً عميقاً مات ولم يستطع تطويق ذيلوه. وفي سنواتها الأخيرة.. حاولت كريستينا بذل الجهود للحفاظ على ثروة العائلة وتنميتها، ويظهر أنها سئمت الدنيا والناس وبرز فيها ميل للزواج والاستقرار بعيداً عن ضجيج عالم المال والأعمال. ولكن الموت كان أسرع منها واختطفها من بين ملايينها، حارماً إياها واقعها والحلم!

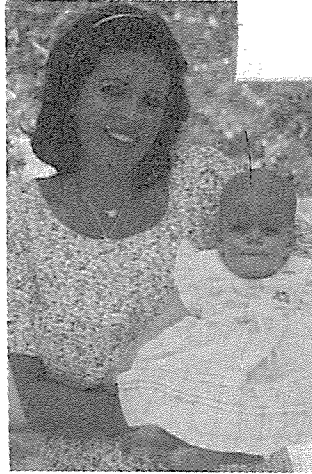
أما عن أرث كريستينا، فقد أكد أحد محاميها، ستيليوس بابا ديمتريو، أن ابنة كريستينا الوحيدة (أثينا) هي الورثة الوحيدة والشرعية لثروة والدتها الهائلة. وهكذا وببساطة موجعة.. تطوى صفحة من صفحات تاريخ آل أوناسيس، أو لنقل من دراما آل أوناسيس الأغريقية، التي ظلت العقود الأربعة الأخيرة حديث العالم وشغل اليونانيين الشاغل، وتفتح صفحة أخرى بطلتها طفلة اسمها (أثينا) ورثت عن والدتها مليارات الدولارات، وعن أسرتها ارثاً عريضاً من الأبحاد والهزائم. فهل ستعوض (أثينا) ما فات كريستينا؟ أم أن القدر سيلعب لعبته من جديد، وتبعث المأساة مرة جديدة، كاتبة على آل أوناسيس أبداً الألم والدمع؟!

لقد كانت كريستينا تقول: «أبكي بلا انقطاع.. إنه قدرى المساوي. خسرت كل شيء والدتي، وأخي، ووالدي، وبقيت وحيدة لأحزاني». انها كلمات قليلة معبرة وموحية تعكس عمق المرارة وهول الكارثة.

إننا نستطيع أن نصنف هذا النوع من الموت الغامض . . ضمن حالات الانتحار المقنّع أو المبطن .



كريستينا مسجاة على فراش الموت



مع ابنتها أثينا أغنى طفلة في العالم

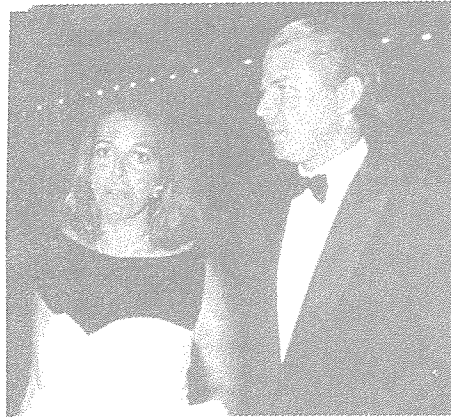
---

#### المصادر:

- الصياد، ٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ .
- المجلة، ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨ .



(مع زوجها الأمريكي الأول جوزيف بولكر) (مع زوجها اليوناني الثاني الكسندر اندرياديس)



مع زوجها الرابع تييري روسيل

## من مشاهير المنتحرين في العصر القديم



نيرون



بويبا

■ ■ ساينا بويبا

لا يعرف تماماً في أية سنة ولدت. ولكن المعروف أنها ماتت سنة ٤٦ للميلاد، وكانت حينذاك في ريعان العمر وأوج الشهرة.

وقبل أن تبلغ الخامسة عشرة من عمرها، تزوجت رجلاً يدعى «تيتوس اوليوس». لكنها لم تعيش معه طويلاً، بل افترقت عنه، وتزوجت نبياً يدعى «بوليوس سيبون» كانت أسرته في طليعة الأسر النبيلة العريقة في روما القيصرية! ولكن الحياة الزوجية لم ترق لها. كانت تقول عن نفسها إن الآلهة خلقتها من عناصر صافية، وجعلت منها امرأة صالحة للحب، يجب أن تسطو على قلوب الرجال، دون أن يحول حائل بينها وبين ما تريد؟! وهذا ما فعلته ساينا بويبا في حياتها. . . فلما تبين لها أن زوجها الثاني

«سبيون» ليس بالرجل الذي يضطرم في قلبه بركان ثائر من العواطف كالذي يضطرم في صدرها بحثت عن ضالتها بين غيره من الرجال، وسرعان ما وقع اختيارها على «مناستر» الذي اشتهر في عالم الرقص والغناء، كما اشتهر بجماله الصارخ الذي كان يجتذب إليه النساء، كما يجتذب النور الفراشات. وقد أكد هواة الجمال والخبراء فيه - وما أكثرهم في ذلك العهد - أن هذا المغني الراقص الشاب كان نموذجاً فذاً رائعاً من نماذج الجمال الكامل. . . ووجدت مع هذا الشاب الفنان البهي الطلعة الذي اتخذته عشيقاً لها، سعادة كبيرة. ولكن سعادتها هذه لم تدم طويلاً، إذ أبى سوء حظها ألا أن تحرم من الحياة مع عشيقها الجميل المختار. وذلك لأن امرأة أخرى، أقوى نفوذاً منها، افتتنت به بدورها، فسعت حتى

احتكرته لنفسها واستأثرت به من دونها. ولم تكن هذه المرأة سوى الأمباطورة «مسالينا» زوجة الأمباطور كلوديوس.

كانت الأمباطورة مسالينا هذه، دائمة الظمأ إلى الحب والهيام. ولم يكن بين الرجال الكثيرين الذين عشقتهم من استطاع أن يروي ظمأها ويشفي غليل قلبها المضطرم. فلما وجدت في «مناستر» ما لم تجده لدى هؤلاء الذين سبقوه جميعاً، كان طبيعياً أن تتشبث به، وأن تبذل كل ما في وسعها للاستحواذ عليه!

ولم تتردد في استعمال العنف، واقتراف أية جريمة في هذا السبيل. فلما وجدت في طريقها امرأة أخرى بارعة الجمال مثلها، تسيطر على قلب الشاب الذي أرادت الأمباطورة أن يكون لها، سارعت إلى التخلص من تلك الغريمة الخطرة! وأبى الطمع والجشع اللذان عرفت بهما، إلا أن تصيد عصفورين بحجر واحد. وكان العصفور الآخر رجلاً من كبار الموظفين يدعى «فاليريوس ازياتييكوس» له حدائق واسعة غناء، تطمع في أن تكون لها هي.

فعهدت إلى زبانيتهما في أن يلفقوا تهمة مزدوجة، لتوقع بالرجل والمرأة - غريميها - معاً. وكان ان اتهمت سابيننا بوبيا بأنها ارتكبت جريمة الزنا مع «فاليريوس ازياتييكوس» حال كونها متزوجين!

ومن عجائب قوانين روما - المدينة الفاسقة الفاجرة التي كانت تهدر فيها الفضائل ليلاً ونهاراً - كانت تقضي بإعدام الزوجة الزانية والزوج الزاني. وعلى هذا لم يجد الأمباطور كلوديوس بداً من الحكم بإعدام المتهمين، بعد أن أجمع شهود الأمباطورة على صحة اتهامهما. ولم تمض أيام حتى نفذ الحكم في «فاليريوس ازياتييكوس» برغم صداقته القديمة للأمباطور. ودبّ الذعر في صدر سابيننا بوبيا، ولم تشأ أن تلقى منيتها بيد الجلاد، فقطعت عرقاً في يدها، وماتت منتحرة وهي ممددة في حوض حمامها.

وهكذا استولت الأمباطورة «مسالينا» على حدائق الرجل الغناء، وعلى عشيق المرأة الجميل. غير أن الأمباطورة القاتلة لم تعش طويلاً بعد انتحار غريميتها بوبيا. فقد ماتت مقتولة بيد الجنود.

## ■ ■ سقراط

قليل دائماً في سقراط إنه أكثر الرجال حكمة في العالم القديم (٤٧٠ -

٤٠٠ ق.م). بدأ حياته كفنان ، ثم تحول إلى الفلسفة ، وسرعان ما كسب سمعة عظيمة كمفكر أصيل .

طوّر أسلوباً في الاستفهام والمناقشة ، يتم بطرح سلسلة من الأسئلة ، بهدف الوصول إلى تعبير واضح ومتناسك ، عن شيء يفترض أن يفهمه كل عاقل . بحث دائماً عن الحقيقة ، وتوافقاً لجعل مصاعب الحياة المعقدة أيسر فهماً ، ولذلك حكمته ظروف أجبرته على مناقشة عدة معتقدات وتقاليد ، انتهت بخلق عداوات له .

كان سقراط آمناً حتى موت بيريكليس ، إذ أعجب به ذلك السياسي العظيم ، وبعد ذلك بدأ أعداء سقراط يضغطون عليه للتراجع عن كثير من آرائه ، ولكنه رفض وواصل العمل فيما كان يستلزم الاستفهام والمناقشة ، فحوكم بتهمة إفساد شباب أثينا ، وحكم عليه بالموت بشرب السم ، فرضخ للقرار الظالم ، على الرغم من أن تلامذته نجحوا في تأمين طريقة لإخراجه من السجن ، ورفض الفرار . وجرع السم دون اضطراب . . ودون خوف .

#### ■ ■ هنيبال

من أعظم القادة العسكريين في التاريخ القديم (٢٤٧ - ١٨٣ ق.م) ، أربع قلب كل روماني سمع باسمه في زمنه . .

برهن على أنه قائد يمتاز بعبقريّة عسكرية ، لاسيما في فن مفاجئة العدو . واستطاع هنيبال سحق الجيوش الرومانية في أربع معارك كبيرة ، واعتبرت معركة (كان) واحدة من أسوأ الكوارث التي أصاب الجيش الروماني . هُزم هانيبال في معركة (زاما) فكانت أول هزيمة عسكرية لهذا القائد القرطاجي الفذ ، الذي تمكن من عبور جبال الألب لأول مرة في تاريخ الحروب ، مستعيناً بالفيلة ،

وبعد هزيمته المحزنة . . هرب إلى آسيا . وكان يعيش في إحدى مدن تركيا . وكان له بيت كبير وكان البيت خالياً من الأثاث . ولكن كانت للبيت ستة أبواب ليتاح له الهروب إذا هاجمه أحد . كما كان هناك سرداب تحت البيت يفضي إلى إحدى الغابات المجاورة .

ويقال إن الرومان طالبوا به حياً . ولكنه هرب . وفي أحد الأيام رأى من بيته

عدداً من الجنود الرومان فهرب إلى السرداب . وعند مدخل السرداب رأى جنوداً  
فعاد إلى البيت ودخل غرفة الطعام وشرب النبيذ ومعه السم وهو يقول : الآن يجب  
أن يستريح الرومان من مطاردة إنسان يريدونه حياً أو ميتاً!

### ■ ■ كليوبترا

هي أشهر ملكات مصر ( ٦٩ - ٣٠ ق.م ) وقع في غرامها يوليوس قيصر  
وماركو أنطونيوس . وعند وفاة ماركو انطونيوس ، قررت أن تكون إلى جواره وأن تحمل  
معه كل مجوهراتها .

وعندما جاء أوكتافيو أبلغها أنه سوف يحملها أسيرة إلى روما وأنه سوف  
يعرضها عارية أمام الناس . وكان الغرض من ذلك أن يدفعها إلى الانتحار .  
وفي يوم ١٢ آب ( أغسطس ) ٣٠ ق.م ذهبت كليوبترا إلى الحمام وملأته  
بالحليب الدافئ . وألقت به العطور ونثرت الورد . وأتت بخادمتها يغسلن ساقها  
وذراعيها . وارتدت أجمل ملابسها . وابتلعت سمًا وماتت . وقبل أن تموت طلبت إلى  
خادمتها أن تأتيها بالمرأة لترى حاجيها وشفتيها . . . ورأت نفسها في المرأة وقبلت  
المرأة . . .

أما خادمتها فقد ابتلعت السم . وسقطت على الأرض . ودخل مبعوث  
أوكتافيو ورأى كليوبترا في جمالها الهادئ وسأل الخادمة : من الذي فعل بها ذلك ؟  
قالت الخادمة : هي يا سيدي . . . موت الملكات !

وفوجيء المبعوث بأن الخادمة قد سقطت ميتة !!  
ويقال أيضاً ان كليوبترا كانت تخفي ثعباناً في إناء مجاور لها . ويقال إنها  
تلقت سلة من الفاكهة بها ثعبان . . . واقترب الثعبان والتف حول ذراعها  
ولدغها . . . وماتت كليوبترا وهي تقول لحاشيتها :  
- مادامت هذه النهاية فلماذا لا نجعلها أجمل !

### ■ ■ نيرون

أصبح نيرون امبراطور على روما ( ٥٤ - ٦٨ م ) ، عندما قتلت أمه أجربينا  
زوجها الامبراطور كلوديوس . وقد ورث هذه النزعة الدموية عن أمه . فقتل كل  
إنسان يهدده أو يبدو عليه ذلك . وقد وصفه المؤرخون بأنه إنسان مشوه ، له كرش

وله ساقان نحيفتان وشعر أصفر منكوش دائماً. وعينان زرقاوان ليس لهما بريق. وكانت علاقاته الجنسية تشمل كل أصدقائه من الشبان وكذلك والدته. وبعد حريق روما الشهير في ١٨ تموز (يوليو) سنة (٦٤ م) فرض الضرائب على الشعب ليتمكن من إعادة بناء روما.

فثار الشعب الذي لا يجد الطعام. والجنود الذين لا يقبضون مرتباتهم، والأغنياء الذين استولى على أموالهم وقتل منهم الكثيرين. والسفن لم تعد تنقل البضائع. إنما تنقل الرمال اللازمة لبناء أماكن للمصارعة. وقد تخلى عنه الحرس الخاص. وأعلن مجلس الشيوخ أن نيرون لم يعد امبراطوراً. ونصبوا «جالياً» امبراطوراً جديداً. فهرب نيرون إلى بيت بعيد عن روما. وقرر الانتحار وطلب إلى جنوده أن يحفروا له قبراً. ونزل في القبر وتمدد فيه ليتأكد من أنه يساوي جسمه طولاً وعرضاً. وجاءت الأنباء تقول إن مجلس الشيوخ قرر إعدامه على الطريقة القديمة. وسأل هو عن هذه الطريقة ف قيل له: أن تخلع ملابسك وتضرب بالسياط ثم تشنق وتعلق من قدميك. ولذلك قرر الانتحار.

وأتى بسكين وراح يطعن في جسمه ويكي ويتهم نفسه بالجبن، ولما سمع اقتراب الخيول من البيت، ضرب نفسه بالسكين. وأدركه الجنود واقتربوا منه فقال لهم:

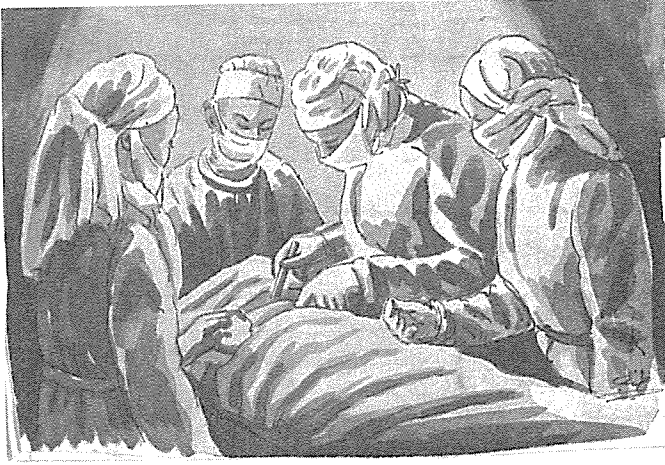
- إنكم مخلصون تطيعون الأوامر جداً. لولا أنكم جئتم متأخرين تماماً. . .  
والآن سوف أموت. . . إنني أكبر خسارة أصيب بها الفن في كل العصور.

---

#### المصادر:

- ١٠٠٠ شخصية عظيمة، إعداد بلانتاجيت وسومريت فراي، ترجمة: د. مازن طليعات، دار طلاس - دمشق ص ٣٢.
- على رقاب العباد، أنيس منصور، ص ٢٠٩ و ١٦٣.
- الهلال آذار (مارس) ١٩٥٦، بقلم الأستاذ حبيب جاماتي.

## للانتحار.. دعايات.. وطرائف.. وحماقات



### ■ ■ هورس وليز وهضم حقه في شرف الأولوية

في اليوم العاشر من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٤٤ م، حضر طبيب الأسنان هورس وليز محاضرة كان يلقيها الأستاذ الكيمياوي كولتون، وفي نهاية المحاضرة طلب كولتون ممن يجب من الحضور استنشاق الغاز المضحك (أول أكسيد الآزوت). لاحظ وليز أن أحد مستنشقي الغاز قد فقد وعيه وهرست قدمه بشكل عنيف من الزحام دون أن يشكو. وبعد زوال تأثير المخدر سأله وليز فأفاد بأنه لم يشعر بأي ألم. هذه الحادثة أثارت تفكير وليز الذي كان يبحث دوماً عن طريقة لازالة الألم الشديد الحاصل من الأعمال السنية وبخاصة القلع. وفكر هذا الطبيب من الاستفادة من خواص (أول أكسيد الآزوت) في إحداث غيبوبة مؤقتة تقلع خلالها الأسنان. وبالفعل فقد قُلعت إحدى أسنانه بعد أن استنشق الغاز المضحك الذي كان قد حضره كولتون بنجاح دون ألم. وذلك بتاريخ ١١/١٢/١٨٤٤، الذي يعد مولد التخدير العام.

بعد تجارب دامت شهراً كاملاً في عيادة وليز، ذهب إلى مستشفى ماساتشوستس في بوسطن وألقى محاضرة قصيرة تلاها قلع سن من أسنان طالب طب أمام جمع من الأساتذة والطلاب، لم تكن التجربة موفقة بسبب اضطراب وليز أمام الحضور حيث صاح الطالب من الألم، ووصف وليز بالخداع، مع هذا ثابر وليز على استعمال هذه المادة في عيادته بقلع أسنان المرضى.

خلال الفترة نفسها التي كان وليز يستعمل فيها (أول أكسيد الآزوت)، ظهرت عدة ادعاءات لنيل شرف الأولوية في اكتشاف المخدر العام. أعلن الدكتور مورتون زميل وليز وشريكه في عمله عن اكتشاف خواص (الاثير سولفوريك) كمادة مخدرة، حيث أوضح مفعول هذه المادة في مستشفى ماساتشوستس في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٨٤٦، وأجريت العملية واستؤصل ورم عظمي من فك أحد المرضى بنجاح كامل، واستعملت بعدها مادة (الاثير) كمخدر عام من قبل الهيئات الطبية.

بعد هذا أعلن الجراح الانكليزي سيمسون عن اكتشافه للخواص المخدرة العامة «للكلوروفورم» التي حلت محل (الاثير) لعدة سنوات.

لقد هضم حق وليز في شرف الأولوية، وحدث خلل في توازن قواه العقلية، ومات متحزراً في نيويورك بعد أن قطع أحد أوردته، بعدها منحه المجمع العلمي الفرنسي لقب دكتور في الطب تخليداً لذكراه واعترافاً بفضله. كما صنع له تمثال نصفي وضع في متحف العلوم بواشنطن كتب تحته: «هورس وليز مكتشف التخدير العام».

### ■ انتحر لعدم استطاعته الجري

انتحر عداء (الماراتون) الياباني الشهير (كوكيش) بطريقة الهاراكيري<sup>(١)</sup>، وترك رسالة ذكر فيها أنه انتحر لعدم استطاعته الجري وتحقيق طموحه. وكان قد أصيب في كعبه ولم يستمر في المباراة بعد أن سبق وحصل على الميدالية البرونزية الأولمبية.

---

(١) بمعنى جرح في البطن

■ تنتحر بمناسبة خروج زوجها من السجن  
انتحرت زوجة لما سمعت أن زوجها السجين قد أفرج عنه . وكانت قد  
أخبرت عنه الشرطة لارتكابه جريمة وتسببت في سجنه .

■ انتحرت لاعترافها بعمرها الحقيقي  
وانتحرت امرأة لاضطرابها الاخبار عن عمرها الحقيقي لضابط الجوازات  
في مطار ميونيخ ، وكانت في الأربعين من عمرها لكنه رفع حاجبيه أمامها دهشة  
واستغراباً .

■ انتحار عاشق الكلاب  
وانتحر عاشق الكلاب (جاك أشورت) وعمره ٤٦ سنة بعد أن توفي كلبه  
البالغ من العمر ١٣ سنة ، وكان قد بكاه عدة أيام . . .

■ انتحرت من أجل أن يبصر ابنها  
انتحرت سيدة إيطالية عمرها (٧٤) عاماً ، لكي تتبرع بعينيتها إلى ابنها  
الأعمى الذي يحتاج إلى ترقيع القرنية ، فألقت بنفسها من شرفة عالية قرب روما .  
وقمت فعلاً العملية بنجاح وأصبح بمقدور ابنها الابصار . . .

■ حيلة منتحرة  
انتحرت مطلقة أستاذ جامعي مصري في القاهرة بمصر الجديدة ورسمت  
خطة انتحارها بذكاء لتبدو وكأنها مقتولة . إذ أمسكت في يدها بورقة كتبت عليها  
بالانكليزي (غالب . . قاتل) لتوهم التحقيق أن مطلقها هو قاتلها . وقد كشف  
رجال المباحث حيلتها وتبين أنها أرادت الانتقام من زوجها الذي تزوج من غيرها  
بعد أن ساء سلوكها وتراكت عليها العلل الجسمية طيلة «٢٥» عاماً من زواجهما .

■ المنتحرة تنجو والبريء يموت  
نشرت الصحف المصرية يوم أول تموز (يوليو) عام ١٩٧٧ ، خبراً مثيراً تحت  
عنوان :

### (تحاول الانتحار من الدور الخامس)

شهد أهالي حيّ العجوزة حادثاً غريباً أمس ، عندما أُلقت فتاة بنفسها من فوق إحدى العمارات العالية محاولة الانتحار، فسقطت فوق عامل مسكين تصادف سيره أسفل العمارة، ولقى العامل مصرعه على الفور. . . بينما لم تصب الفتاة بأي سوء، وقد وجهت لها النيابة العامة تهمة قتل العامل بطريق الخطأ!

### ■ تقليد شعبي

في منطقة (ديفون) قرب مدينة (بليموث) في انكلترا، يوجد قبر على تقاطع طرق يرجع تاريخه إلى أكثر من قرنين من الزمان. . . اعتاد الناس أن يضعوا عليه باقات وعلب الأزهار الطرية كل يوم. وهو قبر الفتاة الوحيدة اليتيمة (كيثي جيمز) الجميلة التي عشقها ابن أحد النبلاء وأغراها بتأثير خدمتها لأسرته، فحملت منه سفاحاً. لكن أهله رفضوها وتنكروا لها.

وأمام مستقبل مظلم وتشرد أكيد وعدم وجود عون مادي لها انتحرت شنقاً. وجرت محاكمة لجثمانها كمنتحرة - كما كان سائداً في القديم - . وحكم عليها بأنها كانت متهمكة لقواها العقلية أثناء الانتحار، أي لم تكن مجنونة، لذا فهي تستحق العقاب بعد موتها، بحرمانها من الدفن في صحن الكنيسة بل في قارعة الطريق ومحل تقاطعها.

ولم يعطف عليها المحلفون بقرار مخفف هو أنها كانت في حالة عقلية غير طبيعية أثناء الانتحار. لكن أناساً مجهولين من القرية أحاطوا قبرها بالحجارة ونصبوا له شاهدة، وأصبح التقليد الشعبي لتلك القرية وضع الزهور الطرية على قبرها كل يوم ومنذ «٢٣٠» عاماً وحتى اليوم!

### ■ فن الانتحار

الكتاب صدر في باريس عام ١٩٨٢، فأصبح قبلة، وتناثرت شظاياه في كل مكان، وترددت أصداء الانفجار فيما بين أوروبا وأمريكا. وسجل أعلى نسبة توزيع. ومع ذلك صاحب انتشار الكتاب موجة هائلة من السخط العام بين الأطباء ورجال القانون وعلماء الاجتماع، بل وأيضاً من رجال الشرطة اثر البلاغ

الأول الذي تلقوه من الدكتور مورو المسؤول الأول عن غرفة الانعاش بكلية طب (تولوز) والذي يطلب فيه التحقيق مع مؤلفي الكتاب، (كلود جيلون)، و (إيف لوبوبتيك)، حيث استقبل الدكتور مورو بنفسه ثلاث حالات انتحار، اتبع فيها المنتحرون بدقة وصفات الكتاب التي لا تخيب... تلاها انتحار شاب في الرابعة والعشرين من عمره وجد ميتاً في حجرته وإلى جواره الكتاب مفتوحاً على بابه العاشر...

يحكي الكتاب أن بداية الهمس عن تزايد حالات الانتحار لم تأخذ شكلها العلني حتى بعد تناثر حالات الانتحار في أنحاء فرنسا حتى بين الأطفال الذين قد يتجاوزون الثالثة عشرة، فيعرض لبعض حالات الانتحار بين العشاق الصغار... لكن إعلاناً صغيراً في جريدة «ليبراسيون» شدّ الانتباه إلى أن الانتحار أصبح ظاهرة تستحق الدراسة. فقد نشر أحدهم إعلاناً بدون توقيع في الاعلانات المبوبة في ١٤ حزيران (يونيو) عام ١٩٧٧ يدعو فيه إلى (حفلة انتحار) بكلمات تقول «إن الموت بشكل ثنائي أو مع مجموعة قد تحول إلى إحتفال».

ولم تمض السنة ذاتها حتى ظهر إعلان آخر يتساءل «من يدلنا على ميتة هادئة، إن من حقنا الرغبة في الموت ولكن ليس بإلقاء أنفسنا من الطابق العشرين أو إطلاق الرصاص على رؤوسنا، هيا أيها الأطباء تخلوا عن أنانيتكم وأرشدونا إلى ميتة سهلة بريئة رائعة. التوقيع بياتريس!!»

ويتساءل المؤلفان مع هذه البياتريس: إذا كان الموت حقيقة يومية واردة...

فلماذا لا يكون الطريق إليه واضح المعالم... سهلاً لكل راغب فيه؟! آخر وأخطر فصول الكتاب بعنوان «دليلك إلى الموت» وهو يقع في «٥٧» صفحة، ويضم أسهل الطرق إلى الموت بالعقاقير التي تبدو أنها الوسيلة المفضلة للفرنسيين مرتبة في مجموعات يسهل الحصول عليها من الصيدليات... تحت عناوين تحمل - على سبيل المثال - أسماء:

أدوية ضد الألم - أدوية منشطة لعضلة القلب - أدوية لعلاج ضغط الدم - أدوية ضد الاكتئاب - أدوية مهدئة - أدوية منومة...

مع تصنيف لأنواع العقاقير ووصف الكمية اللازمة بالغرام لموت هادئ جميل، بل ودراسات مقارنة بين تأثيراتها المختلفة السريعة والبطيئة. كيف تعمل؟

ومن أين سيواتيك مصيرك من الرئة . . أو القلب . . أو من شرايين المخ . !!

---

#### المصادر:

- التخدير الموضعي في جراحة الفكين، د. عبد الاله طليبات، منشورات جامعة دمشق، ص ٦- ٨.
- الموت اختياراً، د. فخري الدباغ، ص ١٠٤.
- كيف تموت مستريحاً، السيد فرج، ص ١٢٣.
- مجلة العربي العدد (٢٨٨) ١٩٨٢، بقلم د. ليلى ابراهيم شلبي.

## الانتحار . . في مؤتمر صحفي



دعاهم إلى آخر وليمة اعلامية . . . آخر مأدبة كلامية يرتب أطباقها قبل الموت .

دعاهم إلى المفاجأة . . . إلى طقس من طقوس الموت . . لم يكن أحد يشعر بقدم هذا الطقس للحوية التي أداها صاحب المؤتمر الصحفي أمين صندوق ولاية بنسلفانيا الأمريكية في ذلك الخميس من عام ١٩٨٨ .

قال لهم : تسلموا جيداً «بكاميراتكم» و«مايكروفوناتكم» وأفلامكم فياني مسلح بما يكفي وضع حد لحياة إنسان أو أكثر . وبعدما قرأ تصريحاً غير مترابط يستنكر فيه الحكم عليه في قضية رشوة ، أخرج «باد دواير» من مغلف كبير كان يحمله مسدساً أدخل فوهته في فمه وضغط على الزناد ، وترك بعض الدم والنخاع على وجوه الصحفيين الحاضرين !!

الصحافي مارك شوالتر والمصور غاري ميللر اللذان كانا يسجلان المؤتمر لاحدى شبكات التلفزيون الأميركي وكانا يوجدان أمام منصة دواير ، قال إنه أنذر جميع الحاضرين قائلاً : «ابقوا بعيدين لأنه يمكن أن أخرج أحداً منكم» . وكانت الطلقة القاتلة أمام رعب الجميع . . .

هي جرأة وشجاعة . . كان يتساءل البعض . لا ، كان يتضحك بعضهم ، لم يكن دواير يملك من الشجاعة ما يمكنه من إطلاق الرصاصة الثانية . خبير الأسلحة من الدائرة المركزية لشرطة بنسلفانيا يؤكد بعد معاينة المسدس ان دواير

لم يكن يلعب الروليت الروسية لأن مسدسه كان محشواً برصاصات جميعها قاتلة إذا ما كان أطلقها بالطريقة نفسها . . .

دواير كان قد حُكم عليه في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٨٨ بتهمة التواطؤ مع رئيس ولاية بنسلفانيا الأمريكية الأسبق روبرت آثر (من الحزب الجمهوري) بقبولهما رشاوي كبيرة لقاء توقيعهما على عقد بدون تلزيم لبيع ماركة من ماركة العقول الالكترونية.

## ختم الكتاب حالة انتحار.. وليس «مسكاً»!؟

### ■ ■ سيرجي أخروميف



المارشال: سيرجي أخروميف

في عام ١٩٨٨، اختار الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف المارشال سيرجي أخروميف مستشاراً عسكرياً له، وكان حتى ذلك الحين رئيساً لأركان الجيش السوفيتي.

وآنذاك، حرص أخروميف على أن يوضح أنه كان شريكاً في اختيار موقعه، وأنه اختاره لأنه بينما لم يعد لديه جديد يضيفه إلى المؤسسة العسكرية السوفيتية، فإنه - مع آخرين مثله - لديهم ما يضيفونه إلى السياسة العسكرية، أي إلى مسألة الأمن.

وأوضح أخروميف أن أمن الدولة في عالم اليوم، أصبح مسألة سياسية أكثر منها قدرة عسكرية، أي أنه لم يكن من فريق الاقناع بالدرع النووية وقيمتها الرادعة ولا بقدرات الأسلحة التدميرية الفائقة ومداها الخارق، ولا من أنصار الحرب الباردة فضلاً عن الساخنة.

ولم يكن أخروميف من أنصار الانقلاب العسكري الذي أخفق، فلم يتهمه أحد حتى في تأييده.

لكن أخرومييف، وبعد أقل من يومين من فشل الانقلاب، الذي وقع عام ١٩٩١، كتب رسالة حزينة ينعي فيها نفسه، ثم أطلق على رأسه رصاصة قاتلة!! ولم يكن أخرومييف ينعي سيرجي أخرومييف الشخص، إنما كان ينعي مرحلة مديدة وحافلة من تاريخ الشيوعية وتاريخ روسيا.

قال أخرومييف أنه انتحر لأنه رأى «كل ما وهبت له حياته ينهار»!! وقد يجد أصحاب الدراما، ومنهم أصحاب التراجيديات، في انتحار أخرومييف، نموذجاً للرومانتيكية الروسية العريقة، التي لم يسمع العالم منها ولا عنها جديداً منذ زمان طويل.

لكن الروس، وبعد أن يخفت ضجيج الاضطراب، خليقون بأن يجدوا في كلمة أخرومييف الأخيرة ما هو أغنى من هذا وأعمق.

قد يذكرهم أخرومييف بأبطال التراجيديات الرومانتيكية في تراثهم. فقد يعيد إلى ذاكرتهم شخصاً مثل بيوتر شادييف، الذي وقف منذ أكثر من قرن من الزمان، أمام محكمة قيصرية تتهمه في ولائه لوطنه، فكان دفاعه هو قوله «لم أعد أستطيع أن أحب بلادي»!!

ولقد كان شادييف من الدعاة المبكرين للبريسترويكا والجلاسنوست، فالكلمتان لم يستحدثهما غورباتشوف في اللغة الروسية. ولم تفارق كلمات شادييف الموجزة والبلغية ذاكرة الروس حتى اليوم، ولن تغادرها. وسوف تصطف إلى جانبها كلمات المارشال المنتحر أخرومييف...

والروس سوف يرون في انتحار أخرومييف أنه لم يكن عقاباً لنفسه، وإنما كان كتابة بالدم، تعلن أن نصال أعداء «ما وهب له حياته» قد تكاثرت وغلبت، وأن نصله في منازلها ضعف بل تهشم.

وبعد دفن المارشال المنتحر بملابسه العسكرية، كما تقضي بذلك التقاليد، تسلل لص سوفيتي إلى مقبرته في الليل ونبشها وخلع عنه رداءه العسكري ونياشينه، وباعها لسائح أمريكي من هواة التذكارات الأثرية.

#### المصادر:

- المنصور، العدد (٣٤٩١)، ٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٩١.
- حرب الخليج أوهام القوة والنصر، محمد حسين هيكل، ص ٢٨، مؤسسة الأهرام - القاهرة.

## المراجع والمصادر

### الكتب :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفصيل آيات القرآن الحكيم ، جول لايوم ، تعريب محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٣ - الموت اختياراً ، د . فخري الدباغ .
- ٤ - الانتحار والأخلاق ، ليون مينارد ، ترجمة : د . عادل العوا .
- ٥ - الانتحار ، د . ناجي الجيوش .
- ٦ - كيف تموت مستريحاً ، السيد فرج .
- ٧ - الموتى يتحدثون ، هاني الخير .
- ٨ - موسوعة المستشرقين ، د . عبد الرحمن بدوي .
- ٩ - موسوعة السياسة ، أسسها الدكتور عبد الوهاب الكيالي .
- ١٠ - ١٠٠٠ شخصية عظيمة ، إعداد بلانتاجيت وسومريت فراي ، ترجمة د . مازن طليحات .
- ١١ - الخالدون مائة ، مايكل هارت ، ترجمة أنيس منصور .
- ١٢ - على رقاب العباد ، أنيس منصور .
- ١٣ - شخصيات لا تنسى ، مصطفى أمين .
- ١٤ - حكايات دبلوماسية ، نجدة فتحي صفوت .
- ١٥ - متمردون أدباء وفنانون ، د . محمود السمرة .
- ١٦ - سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، سامي الكيالي .

- ١٧ - الراحلون، سامي الكيالي.
- ١٨ - التماثيل المكسورة، رجاء النقاش.
- ١٩ - فان كوخ حياته وفنه، صدقي اسماعيل.
- ٢٠ - حول مائدة المعرفة، ترجمة د. نظمي لوقا.
- ٢١ - من أعلام الفكر العربي والعالمي في القرن العشرين، سليمان سعد الدين، مراجعة وتقديم هاني الخير.
- ٢٢ - أسرار مثيرة من العالم، هاني الخير.
- ٢٣ - مأساة مايرلنج، بول ريبو، ترجمة د. أمير بقطر.
- ٢٤ - بابا همنغواي، هوتشنر، ترجمة: مآثر البطوطي.
- ٢٥ - همنغواي حياته وجيله المفقود، باشراف الدكتور رؤوف سلامة موسى.
- ٢٦ - كازانوف، ستيفان زفايغ، ترجمة: قصي أتاسي وميشيل واكيم.
- ٢٧ - رسالة من امرأة مجهولة والحب الجنوني، ستيفان زفايغ، ترجمة انجيل عبود.
- ٢٨ - اعترافات قناع، يوكيو ميشيما، ترجمة أسامة الغزولي.
- ٢٩ - الاشتراكية والأدب، د. لويس عوض.
- ٣٠ - خليل حاوي رسائل الحب والحياة.
- ٣١ - عبد الباسط الصوفي الشاعر الرومانسي، ممدوح السكاف.
- ٣٢ - المقصلة، البير كامو، ترجمة جورج طرايشي.
- ٣٣ - المآسي الكبرى - بعض الكوارث التي وقعت في القرن العشرين، إعداد جون كاننغ، ترجمة منذر الصالحاني المعط (مخطوط).
- ٣٤ - هتلر في مبادله، البرت زولر، ترجمة لويس الحاج.
- ٣٥ - التخدير الموضوعي في جراحة الفك، د. عبد الاله طليبات.

#### الدواوين الشعرية:

- ٣٦ - الأعمال الشعرية الكاملة، علي محمود طه.
- ٣٧ - آثار عبد الباسط الصوفي الشعرية والنثرية، تقديم د. ابراهيم كيلاني.
- ٣٨ - ديوان الجواهري.
- ٣٩ - الأعمال الشعرية الكاملة، خليل حاوي.

- ٤٠ - أنشودة المطر، بدر شاكر السيّاب .  
٤١ - ماياكوفسكي مع مختارات من شعره، ترجمة عارف حديفه .

#### المجلات والدوريات :

- ٤٢ - مجلة الفصول العدد (١٤) تموز ١٩٤٥ .  
٤٣ - صوت سورية العدد (٢٣) و (٢٤)، ١٩٥٤ .  
٤٤ - العربي (٢٨٨) ١٩٨٢ .  
٤٥ - العربي (٢٩٦) ١٩٨٣ .  
٤٦ - المختار من ريذرز دايجست أيار ١٩٨٦ .  
٤٧ - المختار من ريذرز دايجست حزيران ١٩٨٦ .  
٤٨ - الهلال آذار، ١٩٦٥ .  
٤٩ - الهلال حزيران، ١٩٦١ .  
٥٠ - الهلال كانون الأول، ١٩٦٨ .  
٥١ - الهلال نيسان، ١٩٧٧ .  
٥٢ - مجلة دراسات عربية العدد (٧) أيار ١٩٨٥ .  
٥٣ - مجلة الطريق العدد (١) شباط ١٩٨١ .  
٥٤ - الصياد ١٥ أيار ١٩٨٧ .  
٥٥ - الصياد ٢ كانون الأول ١٩٨٨ .  
٥٦ - مجلة كل العرب العدد (١٤٦) حزيران ١٩٨٥ .  
٥٧ - مجلة دنيا العرب العدد (٤٥) حزيران ١٩٨٨ .  
٥٨ - المستقبل ٩ أيار ١٩٨٧ .  
٥٩ - الحوادث ١٣/٦/١٩٨٦ .  
٦٠ - المجلة ٧ كانون الأول ١٩٨٨ .  
٦١ - مجلة اكتوبر العدد (٤٨٢) ١٩ كانون الثاني ١٩٨٦، لقاء مع أستاذ الطب النفسي د. يسري عبد المحسن .

### مصادر ثانوية :

- ٦٢ - أسطورة سيزيف ، البير كامو، ترجمة أنيس زكي حسن ، دار الحياة - بيروت .
- ٦٣ - كفاحي ، أدولف هتلر، ترجمة : لويس الحاج ، دار طلاس - دمشق .
- ٦٤ - رحلة إلى عالم المعرفة ، السيد بهنسي ، مكتبة القدسي - القاهرة .
- ٦٥ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ، ج ١ ، دمشق ، هاني الخير .
- ٦٦ - الأسبوع العربي العدد (٦٩٥) ٢ تشرين الثاني ١٩٧٢ .
- ٦٧ - المصور العدد (٣٤٩١) ٦ أيلول ١٩٩١ .
- ٦٨ - الدنيا العدد (٣٥٠) دمشق ١٩ شباط (فبراير) ١٩٥٤ .
- ٦٩ - الشيخ والبحر ، أرنت همنغواي ، تعريب منير البعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت .
- ٧٠ - حرب الخليج أوهام القوة والنصر ، محمد حسنين هيكل .

## الفهرس

|     |                             |
|-----|-----------------------------|
| ٧   | الإهداء                     |
| ٩   | تمهيد                       |
| ١٣  | الأرشيدوق رودلف             |
| ٢٥  | القبطان ادوارد سميث         |
| ٢٧  | حكاية الادميرال ماكينج جونس |
| ٣٠  | عبد المحسن السعدون          |
| ٤٠  | فرجينيا وولف                |
| ٤٢  | ستيفان زفايغ                |
| ٤٥  | أدولف هتلر                  |
| ٥٤  | جوزيف غوبلز                 |
| ٥٦  | اسماعيل أدهم                |
| ٦٠  | فخري أبو السعود             |
| ٦٢  | بول كراوس                   |
| ٦٦  | تشيزارة بافيزة              |
| ٦٦  | هربرت نورمان                |
| ٧٥  | أرنست همنغواي               |
| ٨٢  | سيرغي يسينين                |
| ٨٥  | ايزادورا دنكان              |
| ٨٩  | فلاديمير مايكوفسكي          |
| ١٠٠ | عبد الباسط الصوفي           |
| ١٠٥ | خليل حاوي                   |

|     |                                      |
|-----|--------------------------------------|
| ١١٣ | درية شفيق                            |
| ١١٩ | يوكيو ميشيما                         |
| ١٢٨ | آرثر كوستلر                          |
| ١٣١ | فان كوخ                              |
| ١٣٦ | داليدا                               |
| ١٤٠ | كريستينا أوناسيس                     |
| ١٤٥ | من مشاهير المنتحرين في العصر القديم: |
| ١٤٥ | - سابينا بوبيا                       |
| ١٤٧ | - سقراط                              |
| ١٤٧ | - هنيبال                             |
| ١٤٨ | - كليوبترا                           |
| ١٤٩ | - نيرون                              |
| ١٥٠ | للانتحار دعايات وطرائق وحقائق:       |
| ١٥٠ | - هورس ويلز وهضم حقه في شرف الأولوية |
| ١٥١ | - انتحر لعدم استطاعته الجري          |
| ١٥٢ | - تنتحر بمناسبة خروج زوجها من السجن  |
| ١٥٢ | - انتحرت لاعترافها بعمرها الحقيقي    |
| ١٥٢ | - انتحار عاشق الكلاب                 |
| ١٥٢ | - انتحرت من أجل أن يبصر ابنها        |
| ١٥٢ | - حيلة منتحرة                        |
| ١٥٢ | - المنتحرة تنجو والبريء يموت         |
| ١٥٣ | - تقليد شعبي                         |
| ١٥٣ | - فن الانتحار                        |
| ١٥٦ | الانتحار في مؤتمر صحفي               |
| ١٥٨ | ختام الكتاب حالة انتحار وليس مسكاً   |
| ١٦٠ | المراجع والمصادر                     |

## من مؤلفات هاني الخير المطبوعة

- ١ - دراسات في التراث العربي .
- ٢ - تراث ومعاصرة .
- ٣ - يحدثونك عن أنفسهم ج ١ .
- ٤ - يحدثونك عن أنفسهم ج ٢ .
- ٥ - يحدثونك عن أنفسهم ج ٣ .
- ٦ - يحدثونك عن أنفسهم ج ٤ .
- ٧ - رباعيات عمر الخيام في العربية .
- ٨ - أسرار مثيرة من العالم ، الطبعة الثانية .
- ٩ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج ١ ، الطبعة الثامنة .
- ١٠ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج ٢ ، الطبعة السادسة .
- ١١ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج ٣ ، الطبعة الرابعة .
- ١٢ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج ٤ ، الطبعة الثالثة .
- ١٣ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم ج ٥ ، الطبعة الثانية .
- ١٤ - حرب الاغتيالات السياسية والمؤامرات الصامتة ، الطبعة الثالثة .
- ١٥ - الأصابع الخفية ضد الأهداف البشرية ج ١ ، الطبعة الثالثة .
- ١٦ - الأصابع الخفية ضد الأهداف البشرية ج ٢ .
- ١٧ - جرائم عالمية - أرشيف الجرائم الغامضة .
- ١٨ - القصائد الأخيرة للشاعر أحمد الصافي النجفي (تقديم وجمع) .

- ١٩ - الرسالة اللازوردية في موت الأولاد، للامام السيوطي (تحقيق).
- ٢٠ - الروض العاطر في نزهة الخاطر، للشيخ النفزاوي (تحقيق) الطبعة الثانية.
- ٢١ - الموتى يتحدثون. (ريبورتاج صحفي).
- ٢٢ - هذا أنت أيها الموحش (قصص ساخرة).
- ٢٣ - من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيّر (جمع).
- ٢٤ - طرائف وصور من تاريخ دمشق.
- ٢٥ - مقتطفات من تاريخ دمشق.
- ٢٦ - صور وطرائف من مجتمع دمشق.
- ٢٧ - مشاهير وظرفاء القرن العشرين (قيد الطباعة).
- ٢٨ - أشهر الاغتيالات السياسية في العالم، ج ٦.
- ٢٩ - الكتاب الجديد من سلسلة أشهر الاغتيالات السياسية في العالم.